The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Ossoul Eddin

Master of Interpretation & Sciences Quran

الجامعـــــــــة الإســـلاميــة بغــزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كـليـــــــــــة أصـــول الديـــن

ماجستير التفسير وعلـــــوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين من القرآن الكريم (سورة الذَّاريات – الطُّور – النَّجم – القمر)

The analytical Study of Purposes and Objectives of the Fifty third party Quran from (Surat Al-Thariyat) (At-Tur)–(An-Najm)–(Al Qamar).

إعدَادُ البَاحِثِ

وليد يوسُف عبد الله الحَاج أحمد

إشرَافُ الدُّكتُور

عبد الكريم حمدي الدَّهشان

قُدِّمَ هَذا البَحثُ استِكمَالًا لمُتطَلّباتِ الحُصولِ على دَرجةِ المَاجِستِيرِ فِي التَّفسِيرِ وعلومِ القُرآنِ بكُلّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ فِي الجَامِعةِ الإسْلامِيَّة بِغَزَّة

مارس/٢٠١٨م _ جمادى الثانية/١٤٣٩هـ

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين من القرآن الكريم (سورة الذَّاريات – الطُّور – النَّجم – القمر)

The analytical Study of Purposes and Objectives of the Fifty third party Quran from (Surat Al-Thariyat) (At-Tur)–(An-Najm)–(Al Qamar).

أُقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرِّسالة إنَّما هو نِتاج جُهدي الخاص، باستثناء ما تمَّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنَّ هذه الرِّسالة ككُل أو أي جزءٍ منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجةٍ أو لقبٍ علميٍّ أو بحثيٍّ لدى أي مؤسسةٍ تعليميةٍ أو بحثيةٍ أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**وليد يوسف الحاج أحمد**	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية-غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:
التاريخ: 2018/03/14م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **وليد يوسف عبد الله الحج أحمد** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين من القرآن الكريم
(سورة الذاريات والطور والنجم والقمر)

The Analytical Study of the Purposes and Objectives of the Fifty Third Party Quran from
(Sura Al-Thariyat , At-Tur, An-Najm and Al Qamar)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 26 جمادي الثانية 1439**هـ الموافق **2018/03/14**م، الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. عبدالكريم حمدى الدهشان	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. زكريا ابراهيم الزميلي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عبد الله سالم سلامة	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكتروني

نموذج رقم (4)

15

المواد المصاحبة: د/ 3106421

التاريخ: ٦ / ٥ / 201٨ م

الموضوع/ مطابقة مواصفات النسخة الإلكترونية

بعد الإطلاع على الأسطوانات التي تحتوي على رسالة الطالب/ د. لبيب يوسف الحاج أحمد
رقم جامعي: 120131 29 كلية: أصول الدين قسم: التفسير وعلوم القرآن
فإننا نحيطكم علماً بأنها مطابقة للمواصفات المطلوبة المبينة أدناه:

جميع فصول الرسالة في ملف (WORD) واحد وليست ملفات متفرقة.
تحتوي الأسطوانة على ملف (PDF + WORD).
مطابقة التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.
مطابقة النص في الصفحة الورقية مع النص في الصفحة الإلكترونية لجميع صفحات الرسالة.

ملاحظة: ستقوم عمادة المكتبات بنشر الرسالة العلمية كاملة (PDF) على موقع المكتبة.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب تم استلام النسخة الالكترونية

د. لبيب يوسف الحاج أحمد

توقيع المكتبة المركزية

المكتبة المركزية - الجامعة الإسلامية غزة - Central Library

مُلخَّص الرِّسالة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات.. فقد تمَّ بحمد الله وعونه إتمام هذا البحث، والذي كان بعنوان: (الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين من القرآن الكريم **(سورة الذَّاريات الآيات:٣١-٦٠)، (سورة الطُّور)، (سورة النَّجم)، (سورة القمر)، وقد جاء هذا البحث في مقدمةٍ وتمهيدٍ وأربعة فصولٍ وخاتمة.**

تحدَّث الباحث في مقدمة البحث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختيار البحث، وأهداف البحث، والدِّراسات السَّابقة، ومنهج البحث، وخطوات البحث. وتحدَّث في التَّمهيد عن المقصود بالدِّراسة التَّحليليَّة والمقاصد والأهداف، ثمَّ تحدث في فصول الرِّسالة الأربعة عن الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف هذه السُّور الأربع، وكلُّ فصلٍ منها مقسمٌ إلى عدَّة مباحثٍ، مشتملةٌ على عدَّةِ مطالبٍ، حيث يشتمل كل مطلبٍ منها هدفًا ومقصدًا من مقاصد وأهداف السُّور الأربع.

وقد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي والتَّحليلي والموضوعي في التفسير، حيث تناول كلُّ مطلبٍ من المطالب ذكر الآيات المراد تحليلها، وتقسيمه إلى عدَّة عناوينٍ موجزةٍ، وهي على الترتيب: بيان مناسبة الآيات، وذكر أسباب النُّزول، وتحليل معاني الكلمات وبيان أصلها في اللُّغة وذكر أقوال العلماء والمفسرين فيها، وبيان الأسرار البلاغيَّة والقراءات القرآنية، وتفسير الآيات تفسيرًا إجماليًا، وأخيرًا استنباط أهم المقاصد والأهداف.

- **أهم نتائج الدراسة:**

١. إنَّ علم المقاصد يُعين على فهم كتاب الله ﷻ فهمًا صحيحًا وواضحًا ، من خلال استنباط المعاني والأهداف ، والتبحر في دلالاته ودقائق مكنوناته الخفية.

٢. عناية القرآن بكافة جوانب الحياة، فمنهج القرآن منهجٌ متكاملٌ مثاليٌ في عرضه للقضايا المحورية الكلية والجزئية.

- **أهم توصيات الدراسة:**

يوصي الباحث طلبة العلم الشرعي بالاهتمام بعلوم القرآن، والتركيز على علم المقاصد منها؛ فإنه يعين على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا، وتوجيه الأنظار نحو القرآن الكريم، فإنَّه خيرُ دستورٍ لهذه الأمة الاسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

All praise to Allah, who by his grace all good things are accomplished, great peace and blessings on the most honorable Prophet Muhammad (PBUH) and his companions.
After then …,
This thesis has been completed with the title (The analytical Study of Purposes and Objectives of the Three party Quran from fifty (Surat Al-Thariyat) verses from (31-60) (At-Tur) – (An-Najm) –(Al Qamar). The research involves an introduction, an abstract, four chapters and a conclusion.
In the preface, the researcher talks about what is meant by the analytic study, the reasons of selecting , the purposes and aims and the definitions of Surah.
In the four chapters, the researcher talks about the analytic study for the purposes and objectives of these Surah's. Whereas, each chapter is divided into four subjects, including several demands. Each demand has an aim and apurpose from the holy Quran Surah's and also deducing the most important lessons and morals for the four Surah .

The researcher uses the deductive and analytic method in the explanation. In each demand , he discusses mentioning the verse or verses that he wants to analyze , their aims and purposes and dividing them into some brief titles to facilitate for the reader to understand the purpose of the verse and feel it. They are in the following order: the analysis for the verse vocabulary, explanations, its original meaning in the language and the explainers' and philologist opinions, what it includes of the secret rhetorical issues, Quran readings, the total meaning of the verse, extract the most important purposes and lessons and morals utilized.

The most important results that the researcher reaches:
1-The methodical study of the purposes of the Surah's helps to fully and correctly understand the Holy Quran throughout deducing and meditating the needed meanings and aims.
2-The approach of the Holy Quran is a comprehensive and integrated one in showing the central issues. It also cares about all the sides of the life.

The most important recommendations:
I recommend myself and all the believers to fear the God firstly, seeking to his satisfaction, caring about the Holy Quran sciences and focusing on the science of purposes mostly. I also recommend the preachers of Allah and all the students to proliferate the Holy Quran sciences, teaching them to the people as much as possible since it's the greatest blessed book for the Islamic nation.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

[النساء:٨٢]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإِهْدِاءُ

– إلى سيِّد ولد آدم، شفيع الخلق، مَنْ شرَّفنا ليلة الإسراء والمعراج، وعبَّق نسائم الأقصى مسكًا وعنبرا.

– إلى مَنْ أيَّدوا النبي ﷺ وعزَّروه ونصروه، وأعلوا كلمة الحق وتحملوا الأذى.. الآل الأطهار والصحابة الأبرار، رضوان الله تعالى عليهم.

– إليهم.. شُموع الظلام، وأمل الحياة، وبلسم الجروح، ودواء القلوب، إلى والديَّ الكريمين – أطال الله في عمريهما – اللذين كانا وما زالا نبراسًا ومنارةً لي.

– إلى زوجتي الغالية رفيقة دربي التي ساندتني وآزرتني ورافقتني كل لحظاتي، حفظها رب السماواتِ.

– إلى ابني العزيز روح قلبي ونور عيني "عمر" حفظه الله ورعاه وجعله للمتقين إماما.

– إلى شقيقتي الرَّؤوم.. أمي الصغيرة، وزوجها وأولادها الأعزاء.

– إلى أشقائي وأزواجهم وأولادهم، وإلى أصدقائي وزملائي ورفقاء دربي، وكل مَنْ شدَّ عضُدي ودفعني قُدمًا.

– إلى ورثة الأنبياء.. أولي الألباب الراقية، والقلوب الحكيمة، صُناع الحياة، العلماء الأجلاء.

– إلى أرواح شهداء فلسطين.. مَنْ رووا بدمائهم الطاهرة ثرى الوطن.

– إلى أسرى الحرية.. مَنْ قالوا للظلم لا، ورفعوا كلمة الحق عالية.

إليهم جميعًا أهدي هذا البحث المتواضع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شُكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، الذي أنزل في محكم التنزيل: ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾[إبراهيم:٧]، فمن منطلق ذلك، وعملًا بقول رسوله الأكرم ﷺ: " **لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**"(١)، فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي ومشرفي صاحب الفضيلة **الدكتور/ عبد الكريم حمدي الدهشان** – حفظه الله–، على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، والذي منحني من جهده وعلمه ووقته، وأسدى إلي النصح والتوجيه، فجزاه الله خيرًا.

والشكر ممتدٌ إلى عضوي لجنة المناقشة، اللذين تكرما بقبول مناقشة هذه الرسالة:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي، مناقشًا داخليًا.

فضيلة الدكتور/ عبد الله سالم سلامة، مناقشًا خارجيًا.

كما لا يفوتني أن أسجل شكري وعرفاني إلى الجامعة الإسلامية الغراء، منارة العلم والعلماء، وإلى كليتي كلية أصول الدين، وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا على إتاحتها الفرصة لي لإكمال دراستي العليا فيها.

ولا أنسى أن أشكر أخي **الأستاذ/ هشام**، وزوجته **الأستاذة/ هدى**، على ما بذلوه من جهدٍ مباركٍ في تنقيح وتهذيب الرسالة من الناحية اللغوية والترجمة، كي تخرج بأجمل حلَّةٍ وهيئة.

وشكري موصولٌ إلى كل مَنْ أعانني على إثراء هذه الرسالة، وقدم لي نصحًا، أو أسدى لي توجيهًا، ومَنْ دعا لي في ظهر الغيب.

أشكرهم جميعًا وأسأله تعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء، وأن يجعل عملهم في ميزان حسناتهم إنه سميعٌ مجيب الدعاء.

---

(١) [الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة / باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٣٣٩/٤، رقم الحديث:١٩٥٤] قال الترمذي: هذا حديثٌ صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

إقـــرار .... ب
ملخص الرسالة .... ت
Abstract .... ج
الإِهْدِاءُ .... خ
شُكرٌ وتَقديرٌ .... د
فهرس المحتويات .... ذ
المقدمة ١
أولًا: أهمية الموضوع: ١
ثانيًا: أسباب اختيار البحث: ٢
ثالثًا: أهداف البحث: ٢
رابعًا: الدراسات السابقة: ٢
خامسًا: منهج البحث: ٢
سادسًا: خطوات البحث: ٢
سابعًا: خطة البحث: ٣
التَّمهيد ٨
تَعريفُ الدِّراسةِ التَّحليليَّةِ والمقاصدُ والأهداف ٨
أولًا: تعريفُ الدِّراسةِ التَّحليليَّةِ وبيانُ مُتطلباتِها. ٨
ثانيًا: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميَّتها. ١١
أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السُّور والآيات. ١٦
الفصلُ الأَوَّل:الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصدِ وأهدافِ سُورةُ الذَّاريات، الآيات (٣١-٦٠) ١٨
المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٣١ -٣٧). ١٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمطلب الأوَّل: قصَّةُ ضيفِ إبراهيمَ عليه السلام وإهلاكِ قومِ لوط.. ١٨

المطلب الثاني: أخذ العبر والعظات من هلاك الكافرين.. ٢٤

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٣٨ -٤٦). ٢٧

المطلب الأول: قصة موسى عليه السلام مع فرعون.. ٢٧

المطلب الثَّاني: تدمير عادٍ قومِ هودٍ عليه السلام.. ٣٢

المطلب الثَّالث: القُدرةُ الإلهيةِ في تدمير ثمود.. ٣٥

المطلب الرابع: الاتعاظ من هلاك قوم نوح عليه السلام.. ٣٩

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٤٧ – ٦٠). ٤٢

المطلب الأول: إثبات وحدانية الله عز وجل وعظيم قدرته.. ٤٢

المطلب الثاني: اللُّجوء إلى الله عز وجل وتجنب الشِّرك.. ٤٩

المطلب الثَّالث: التَّهديد والوعيد بالعذاب لمن يكذِّب بالرَّسول صلى الله عليه وسلم.. ٥٣

الفصل الثاني:الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الطور ٦٤

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الطور ٦٤

أولًا: أسماء سورة الطور وترتيبها وعدد آياتها.. ٦٤

ثانيًا: مكان نزول السورة:.. ٦٥

ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها:.. ٦٥

رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي:.. ٦٦

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (١-١٦). ٦٨

المطلب الأول: قَسَمُ الله تعالى بمخلوقاته الدالة على كمال قدرته.. ٦٨

المطلب الثاني: إيقاع العذاب بالكفار يوم القيامة.. ٧٣

المطلب الثالث: التوبيخ والتقريع والتهكم بالكفار الذين ينكرون يوم القيامة.. ٧٧

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (١٧-٢٨). ٨١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: جزاءُ المتقين الجنَّات والنَّعيم. ٨١
المطلب الثاني: أسباب قبول العمل. ٨٦
المطلب الثالث: أهل الجنة يجدون ثوابهم في الجنَّة.. ٩٠
المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (٢٩-٤٣). ٩٥
المطلب الأول: متابعة التذكير والموعظة بالرغم من المكائد.................................. ٩٥
المطلب الثاني: إثبات وجود الخالق وقدرته على الحشر. ١٠١
المطلب الثالث: تسفيه أحلام كفار قريش وتنزيه الله عن نسبة الشريك له.......................... ١٠٥
المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (٤٤-٤٩). ١١٠
المطلب الأول: الإعراض عن الكفار لمكابرتهم في المحسوسات، وتهديدهم بالهلاك السريع. ١١٠
المطلب الثاني: التوجيه الإلهي بالصبر والتسبيح والتحميد لتقوية العزيمة وتفريج الكربات. ١١٥
الفصل الثالث:الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النجم ١٢١
المبحث الأول: تعريفٌ عامٌ بسورة النجم. ١٢١
أولًا: أسماء سورة النجم وترتيبها وعدد آياتها. ١٢١
ثانيًا: مكان نزول السورة:.. ١٢٢
ثالثًا: فضائل السورة وجوِّ نزولها:... ١٢٢
رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي: ١٢٣
المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (١-١٨). ١٢٤
المطلب الأول: إثبات ظاهرة الوحي وصدقها. ١٢٥
المطلب الثاني: صفة الوحي جبريل عليه السلام.. ١٢٩
المطلب الثالث: الإنكار على الكفار؛ لتكذيبهم معراج النبي ﷺ ورؤيته لآيات الله الكبرى.......... ١٣٣
المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (١٩-٣٠). ١٣٨
المطلب الأول: أصنام الجاهلية العديمة الفائدة. ١٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: توبيخ المشركين؛ لتسميتهم الملائكة بنات الله.......................................١٤٣

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (٣١-٥٤). ١٤٦

المطلب الأول: جزاء المحسنين وأوصافهم، وبيان جزاء المسيئين...............................١٤٦

المطلب الثاني: توبيخ أحد كبار أغنياء المشركين؛ لإعراضه عن الحق، تذكيره بما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام...١٥٠

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (٥٥-٦٢). ١٥٩

المطلب الأول: الاتِّعاظ برسالة الرسول ﷺ، والتحذير من أهوال يوم القيامة. ١٥٩

المطلب الثاني: الاتعاظ بالقرآن الكريم، والأمر بالخضوع والانقياد لأمر الله ﷻ...................١٦١

الفصل الرابع:الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة القمر ١٦٦

المبحثُ الأول: تعريفٌ عامٌ بسورةِ القمر. ١٦٦

أولًا: أسماءُ سورةِ القَمر وترتيبُها وعددُ آياتِها...١٦٦

ثانيًا: مكان نزول السورة وزمانها:...١٦٧

ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها:..١٦٧

رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي: ١٦٨

المَبحثُ الثَّاني: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (١-٨). ١٧٠

المطلب الأول: موقف المشركين من انشقاق القمر. ١٧٠

المطلب الثَّاني: أَهوالُ يوم القيامةِ وشدائِدها. ١٧٥

المَبحثُ الثَّالِث: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (٩-١٧). ١٨٠

المطلب الأول: قِصَّة نُوحٍ عليه السلام مع قَومه. ١٨٠

المطلبُ الثَّاني: التَّنبيه على الاستِذكَار والاتِّعَاظ والحِفظ. ١٨٤

المَبحثُ الرَّابع: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (١٨-٤٢). ١٨٧

المطلب الأول: قِصَّةُ عادٍ قومَ هودٍ عليه السلام. ١٨٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلبُ الثَّاني: قِصَّةُ ثمود قومِ صالحٍ ﷺ. ١٩١
المطلب الثَّالث: قِصَّةُ قَومِ لوطٍ ﷺ. ١٩٧
المطلب الرابع: قِصَّةُ آل فرعون، وسوء عاقبتهم. ٢٠١
المَبحثُ الخامس: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (٤٣-٥٥). ٢٠٥
المطلبُ الأول: توبيخ المشركين، وإهلاكهم في الدُّنيا. ٢٠٥
المطلبُ الثَّاني: بيانُ حال المُجرمين في الآخرة. ٢٠٩
المطلب الثَّالث: إنكار الكفار للقضاء والقدر. ٢١٢
المطلب الرَّابع: الاعتبار بهلاك الأمم السَّابقة. ٢١٥
المطلبُ الخامِس: الجنَّة ثوابُ المتقين. ٢١٨
المصادر والمراجع ٢٢٥
فهرس الأيات ٢٣٤
فهرس الأحاديث ٢٤٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، نزَّل الكتاب تبيانًا لكلِّ شيءٍ وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين، والصلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، الذي تلقى ما أُوحي إليه من ربِّه فبلَّغه على أكملِ وجهٍ وأعظمه للعالمين، ونَشَر هدايته بأفصح كلامٍ مبين، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أما بعد، فلقد منَّ الله على عباده بنبيه محمدٍ المُرسل، وكتابه القرآن المنزَّل الذي لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، وقد أنير به سلوك المنهج القويم، والصِّراط المُستقيم، بما فصَّل فيه من أحكامٍ، وفرَّق بين الحلال والحرام، فهو نورٌ وضياء، وعلاجٌ لما في الصُّدور وشفاء، مَنْ تمسَّك به هُدي إلى الصِّراط المستقيم، ومن أعرض عنه ضلَّ عن الطريق السَّليم.

والمسلم يدرك شدَّة احتياجه للقرآن الكريم؛ ليطهِّر نفسه من عوالق الدُّنيا وشواغلها، حتى يحظى على كل اهتمامه، ويعتمد عليه في كل زمانه، ويرشده إلى محبة الله ورضوانه.

فلذلك رغبت في المشاركة ضمن السلسلة التي اعتمدها قسم التفسير وعلوم القرآن للوقوف على أهداف ومقاصد الحزب الثالث والخمسين من القرآن الكريم.

والله ﷻ أرجو منه التوفيق والنفع، وأن يعينني في بحثي **(الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصدِ وأهدافِ الحزبِ الثَّالث والخمسين من القرآن الكريم (سورة الذَّاريات الآيات:٣١-٦٠)، (سورة الطُّور)، (سورة النَّجم)، (سورة القمر))**، حيث كان هذا البحث نصيبي من هذه السلسلة فأسأله تعالى العون والسَّداد والنَّجاح، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

أولًا: أهمية الموضوع:

١. إبراز مقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين.
٢. بيان الأخلاق والسلوكيات التربوية التي يجب أن يتحلى بها المجتمع المسلم وذلك من خلال دراسة الآيات دراسة تحليلية.
٣. إبراز جمال الأسلوب القرآني وبلاغته ووحدة بنائه ونظمه.
٤. المساهمة في تقديم الحلول المناسبة التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، وتقديم بعض النصائح والإرشادات للدعاة والواعظين والخطباء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: أسباب اختيار البحث:

١. تعلُّق موضوع الدراسة بأشرف وأجل علم على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم.
٢. التَّأمُل والتَّدبُّر والتَّمعُّن في معاني وآيات القرآن الكريم؛ لاستنباط المقاصد والأهداف.
٣. خدمة القرآن الكريم في البحث عن مقاصد السُّور وربطها بالواقع ما أمكن.

ثالثًا: أهداف البحث:

١. ابتغاء الأجر والثَّواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة.
٢. بيان أهميَّة الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين.
٣. ربط مقاصد وأهداف بعض الآيات بواقع المسلمين المعاصر، ومحاولة وضع حلول مناسبة لها.
٤. فتح آفاق جديدة للباحثين وطلاب العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات التي توصَّل إليها الباحث.
٥. صقل الخبرة الذاتية للباحث عبر هذا البحث، وترقيته في الصياغة والكتابة للألفاظ.
٦. إثراء المكتبات الإسلامية بهذا النوع من التفسير.

رابعًا: الدراسات السابقة:

يعد هذا البحث استكمالًا لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم، وكان نصيبي أن أختار الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين.

خامسًا: منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج التحليلي الاستقرائي والموضوعي والذي بيَّن فيه الباحث دراسته التحليلية من خلال هذا المنهج.

سادسًا: خطوات البحث:

١. تقسيم آيات الحزب الثالث والخمسين إلى فصولٍ ومباحث، وجعلت ما أمكنت لكل مطلبٍ آياته المناسبة له.
٢. كتابة الآيات مضبوطةً بالحركات وفق الرسم العثماني، وتوثيقها في متن الرسالة.
٣. تحليل مقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين تحليلًا مفصَّلًا وعميقًا.
٤. الرجوع إلى المصادر الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير وعلوم القرآن واللغة وغيرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. تخريج الأحاديث التي سترد في البحث تخريجًا علميًا، مع إيراد حكم العلماء عليها باختصار عدا أحاديث الصحيحين.
٦. الرجوع إلى المعاجم اللُّغوية في بيان معاني المفردات الغريبة.
٧. عمل تراجم للأعلام المغمورين الذين سيرد ذكرهم في البحث.
٨. عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها، وتوثيقها حسب الأصول.
٩. بيان معاني المفردات الغريبة في الحاشية.
١٠. إثبات المراجع في الحاشية بذكر اسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة.
١١. إعداد الفهارس اللازمة التي تخدم هذا البحث.

سابعًا: خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس، وبيان ذلك فيما يأتي:

❖ **المقدمة: وتشتمل على ما يلي:**
- **أولًا:** أهمية الموضوع.
- **ثانيًا:** أسباب اختيار الموضوع.
- **ثالثًا:** أهداف البحث.
- **رابعًا:** الدراسات السابقة.
- **خامسًا:** منهج البحث.
- **سادسًا:** خطوات البحث.
- **سابعًا:** خطة البحث.

❖ **التمهيد: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف وفيه:**
- **أولًا: تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها**
  ١. المقصود بالدراسة التحليلية.
  ٢. متطلبات الدراسة التحليلية.
- **ثانيًا: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها**
  ١. تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.
  ٢. أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.
  ٣. طرق معرفة مقاصد السور والآيات.
  ٤. أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **الفصلُ الأوَّل: الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف سورة الذَّاريات من الآية (٣١-٦٠)**

ويشتمل على ثلاثةِ مباحثٍ:

➢ **المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٣١-٣٧)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: قصة ضيف إبراهيمعليه السلام وإهلاك قوم لوط.
- المطلب الثاني: أخذ العبر والعظات من هلاك الكافرين.

➢ **المبحث الثَّاني: مقاصد وأهداف سورة الذَّاريات من الآية (٣٨-٤٦)**

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: قصة موسى عليه السلام مع فرعون.
- المطلب الثاني: تدمير عاد قوم هودعليه السلام.
- المطلب الثالث: القدرة الإلهية في تدمير قوم صالح عليه السلام.
- المطلب الرابع: الاتعاظ من هلاك قوم نوح عليه السلام.

➢ **المبحث الثَّالث: مقاصد وأهداف سورة الذَّاريات من الآية (٤٧-٦٠)**

وفيه ثلاثةُ مطالبٍ:

- المطلب الأول: إثبات وحدانية الله عز وجل وعظيم قدرته.
- المطلب الثاني: اللُّجوء إلى الله عز وجل وتجنب الشرك.
- المطلب الثَّالث: التَّهديد والوعيد بالعذاب لمن يكذب بالرسول ﷺ.

❖ **الفصل الثَّاني: الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف سورة الطُّور**

ويشتمل على خمسةِ مباحثٍ:

➢ **المبحث الأول: تعريف عام بسورة الطور.**

- أولًا: أسماء السورة وترتيبها وعدد آياتها.
- ثانيًا: مكان نزول السورة.
- ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها.
- رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي.

➢ **المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (١-١٦)**

وفيه ثلاثةُ مطالبٍ:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- المطلب الأول: قسم الله تعالى بمخلوقاته الدالة على كمال قدرته.
- المطلب الثاني: إيقاع العذاب بالكفار يوم القيامة.
- المطلب الثالث: التوبيخ والتقريع والتهكم بالكفار الذين ينكرون يوم القيامة.

➢ **المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (١٧-٢٨)**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: جزاء المتقين الجنات والنعيم.
- المطلب الثاني: أسباب قبول العمل.
- المطلب الثالث: أهل الجنة يجدون ثوابهم في الجنة.

➢ **المبحث الرَّابع: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (٢٩-٤٣)**

وفيه ثلاثةُ مطالبٍ:

- المطلب الأول: متابعة التذكير والموعظة بالرغم من المكائد.
- المطلب الثاني: إثبات وجود الخالق وقدرته على الحشر.
- المطلب الثالث: تسفيه أحلام كفار قريش، وتنزيه الله ﷻ عن نسبة الشريك له.

➢ **المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (٤٤-٤٩)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الإعراض عن الكفار لمكابرتهم في المحسوسات، وتهديدهم بالهلاك السريع.
- المطلب الثاني: التوجيه الإلهي بالصبر والتسبيح والتحميد لتقوية العزيمة وتفريج الكربات.

❖ **الفصلُ الثَّالث: الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف سورة النَّجم**

ويشتمل على خمسة مباحث:

➢ **المبحث الأول: تعريف عام بسورة النجم**

- أولًا: أسماء السُّورة وترتيبها وعدد آياتها.
- ثانيًا: مكان نزول السُّورة.
- ثالثًا: فضائل السُّورة وجو نزولها.
- رابعًا: أغراض السُّورة ومحورها الرَّئيسي.

➢ **المبحث الثَّاني: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (١-١٨)**

وفيه ثلاثةُ مطالبٍ:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- المطلب الأول: إثبات النبوة وصدق ظاهرة الوحي.
- المطلب الثاني: صفة الوحي جبريل عليه السلام.
- المطلب الثالث: الإنكار على الكفار لتكذيبهم معراج النبي ﷺ ورؤيته لآيات الله الكبرى.

➢ **المبحث الثَّالث: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (١٩-٣٠)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أصنام الجاهلية العديمة الفائدة.
- المطلب الثاني: توبيخ المشركين لتسميتهم الملائكة بنات الله.

➢ **المبحث الرَّابع: مقاصد وأهداف سورة النَّجم من الآية (٣١-٥٤)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: جزاء المحسنين وأوصافهم، وبيان جزاء المسيئين.
- المطلب الثَّاني: توبيخ أحد كبار أغنياء المشركين لإعراضه عن الحق، وتذكيره بما في صحف إبراهيم وموسى – عليهما السَّلام-.

➢ **المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (٥٥-٦٢)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الاتِّعاظ برسالة الرسول ﷺ، والتحذير من أهوال يوم القيامة.
- المطلب الثاني: الاتعاظ بالقرآن الكريم، والأمر بالخضوع والانقياد لأمر الله عز وجل.

❖ **الفصلُ الرَّابع: الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف سورة القمر**

ويشتمل على خمسة مباحثٍ:

➢ **المبحث الأول: تعريفٌ عامٌ بسورة القمر.**

- أولًا: أسماء السورة وترتيبها وعدد آياتها.
- ثانيًا: مكان نزول السورة.
- ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها.
- رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي.

➢ **المبحث الثَّاني: مقاصد وأهداف سورة القمر من الآية (١-٨)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: موقف المشركين من انشقاق القمر.
- المطلب الثاني: أهوال يوم القيامة وشدائدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

➢ **المبحث الثَّالث: مقاصد وأهداف سورة القمر من الآية (٩-١٧)**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: قصَّة نوحٍ عليه السلام مع قومه.
- المطلب الثاني: التَّنبيه على الاستذكار والاتِّعاظ والحفظ.

➢ **المبحث الرَّابع: مقاصد وأهداف سورة القمر من الآية (١٨-٤٢)**

وفيه أربعةُ مطالب:

- المطلب الأول: قصَّة عادٍ قوم هودٍ عليه السلام.
- المطلب الثَّاني: قصَّة ثمودٍ مع نبيهم صالحٍ عليه السلام، وعقاب الله لهم جزاءَ كفرهم وتكذيبهم.
- المطلب الثالث: قصَّة قوم لوط عليه السلام.
- المطلب الرابع: قصَّة آل فرعون وسوء عاقبتهم.

➢ **المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة القمر من الآية (٤٣-٥٥)**

وفيه خمسةُ مطالبٍ:

- المطلب الأول: توبيخ المشركين وإهلاكهم في الدنيا.
- المطلب الثَّاني: بيان حال المُجرمين في الآخرة.
- المطلب الثَّالث: إنكار الكفار للقضاء والقدر.
- المطلب الرَّابع: الاعتبار بهلاك الأمم السَّابقة.
- المطلب الخامس: الجنَّةُ ثوابُ المتَّقين.

❖ **الخاتمة: وستشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.**

❖ **الفهارس**

وتحتوي على:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث النبويَّة.
٣. فهرس الأعلام المغمورين المترجم لهم.
٤. فهرس المصادر والمراجع.
٥. فهرس الموضوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التَّمهيد

تَعريفُ الدِّراسةِ التَّحليليَّةِ والمقاصدُ والأهداف

أولًا: تعريفُ الدِّراسةِ التَّحليليَّةِ وبيانُ مُتطلباتِها.

١-المقصُودُ بالدِّراسةِ التَّحليليَّة:

مُصطلح الدِّراسة التَّحليليَّة مُصطلحٌ مركبٌ من كلمتين هما (الدِّراسة)، (التَّحليليَّة) وكان لا بد أنْ أعرِّف كلَّ مصطلحٍ على حدة.

أ- تعريف (الدِّراسة) لغةً:

مصدرٌ من الفعل (دَرَسَ) فالدَّال والرَّاء والسِّين أصلٌ واحدٌ، دَرَسَ يَدْرُسُ دَرْسًا ودِرَاسَةً،[١] ودَرَسْتُ القُرآنَ: قَرأتُه وتَعَهَّدتُه؛ لأحفَظَه.[٢]

والدِّراسة: القراءة، ودَرَسَ الكِتَابَ يَدْرُسُهُ ويَدْرِسُهُ دَرْسًا ودِرَاسَةً: قَرَأَهُ.[٣]

وعلى ضوء ذلك، فالدِّراسة إذن هي القراءةُ، ومتابعتُها ومعاهدتُها من حينٍ إلى حين، فالدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه، ومنه الدراسة أي: الطريق الخفي.[٤]

ب-تعريف(التَّحليليَّة) لغةً:

تحليليَّة: اسمٌ مؤنَّثٌ منسوبٌ إلى تحليل، ودراسةٌ تحليليَّةٌ: تتخذ التَّحليل أساسًا لها.[٥]

وهي مصدرٌ من الفعل (حَلَّلَ)، يقال: حللْتُ العُقدة أحُلُّها حَلاًّ، وحَلَّلَ اليمين تحليلًا وتَحِلَّةً، أي: كفَّرَها، وحلَّل المشكلة: أمعن في بحثها والتَّدقيق فيها.[٦]

والتَّحليل: هو عمليَّةُ تقسيم الكل إلى أجزائه، وردُّ الشَّيء إلى عناصره، وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها.[٧]

---

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس (ج١٦/٦٥).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٦/٧٩)، المديني أبو موسى، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (ج١/٦٥٠).

(٣) انظر: الفيروزآبادى، القاموس المحيط (ج١/٥٤٤).

(٤) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج٢/٢٦٨).

(٥) انظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/ ٥٥٠).

(٦) انظر: المرجع السابق (ج١/٥٤٩)، الفيروزآبادى، القاموس المحيط (ج١/٩٨٦).

(٧) انظر: المعجم الوسيط (ج١/١٩٤)، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/ ٥٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمكن القول: بأنَّ الدراسة التحليلية هي تفكيك المعنى اللغوي لألفاظ النص القرآني كلمة كلمة لإزالة اللبس والوصول إلى المراد منه.

ت-تعريف الدِّراسة التَّحليليَّة اصطلاحًا:

تعريف الدِّراسة التَّحليليَّة القرآنية من وجهةِ نظر الباحث أنَّها: بذل الجهد في تقصي آيات القرآن، وتحليل ألفاظه لفظة لفظة، بهدف الكشف عن أسرار النص القرآني، واستنباط مقاصده وأهدافه ودلائله، وما تشتملُ عليه من أحكامٍ ومعانٍ وبيانٍ وبديعٍ وغيرها.

٢-متطلباتُ الدِّراسةِ التَّحليليَّةِ:

البحث العلمي النَّزيه أساسُ المعرفة الحقَّة التي تعود على طلابها بالنَّفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل؛ ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحثٍ أمرٌ له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشَّرعية عامةً وفي التَّفسير خاصَّةً من أهم ما يجب الاعتناء به والتَّعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفوَ مشرَبُه، ويحفظَ روعةَ الوحيِ وجلاله.(١)

والدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصد وأهداف سور القرآن الكريم تتناول كلام الله ﷻ لبيان مراده، والغاية منها، لذلك يجب على كلِّ باحثٍ يريد أن يتبحَّر في هذا المجال أن تتوفَّر فيه متطلبات هذه الدِّراسة لخدمة كتاب الله ﷻ أُلخِّصها على النَّحْو الآتي:

➢ **متطلباتٌ ذاتيةٌ:**(٢)

- صحَّة التوحيد ولزوم عقيدة السلف الصالح؛ لأنَّ صحَّة التَّوحيد له أثرٌ كبيرٌ في نفس صاحبها، وما يتأثَّر به الإنسان يظهر في كلامه منطوقًا ومكتوبًا.
- تقوى الله ﷻ وإخلاص النِّيَّة له، بأن يكون هدفه الخير العام وخدمة الإسلام، وأن يزهد في أغراض الدُّنيا الفانية؛ ليظفر بالتَّوفيق والإعانة من الله.ﷻ
- الاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، والتَّجرد عن الأهواء والعصبية؛ لأنَّ الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم والتعصُّب لها ولو كانت على غير الحقِّ.

---

(١) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ج١/٣٢١).

(٢) انظر: المرجع السابق، محمد معبد، نفحات من علوم القرآن (ج١/١٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أن يتحلى بالتَّأنِّي والتَّركيز والرَّوية في حديثه، فلا يسرد كلامه سردًا سريعًا، ولا ينطق به نطقًا غامضًا بحيث لا يفهمه المستمع، بل عليه أن يفصِّل الكلام ويبيِّنه ويوضحه من غير غموضٍ، وعليه أن يخرج الحروف من مخارجها من غير لحنٍ حتى يكون مفهومًا.
- أن يكون متواضعًا ليِّن الجانب حَسَنِ الخُلق.
- أن يحسن الإعداد وطريقة الأداء، ويتحرى الصدق والضَّبط في النَّقل فيضع كل شيءٍ في موضعه ويرتِّب الأبواب كلًّا حسبَ ما يقتضيه الحال.(١)

➢ **متطلباتٌ علميَّةٌ:**(٢)

هناك متطلباتٌ علميَّةٌ يجب أن تتوفَّر في صاحب الدِّراسة لأهدافِ ومقاصدِ سور القرآن الكريم، فيجب على الباحث أن يكون مُطَّلعًا على العلوم المتصلة بعلم التفسير، والتي تعينه على فهم الألفاظ ومدلولاتها، ومن هذه العلوم:

- العلم باللغة العربية وفروعها: فإنَّ القرآن العظيم نزل بلسانٍ عربيٍّ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.
- أن يكون الباحث مطلعًا وعالمًا بأصول العلوم المتَّصلة بالقرآن الكريم، كعلم القراءات؛ لأنَّ به يعرف كيفية النُّطق بالقرآن، ويترجَّح بعض وجوه الاحتمال على بعض.
- أن يكون عالمًا بعلم التَّوحيد، حتى لا يؤوِّل آيات الكتاب الحكيم التي في حق الله وصفاته تأويلًا يتجاوز به الحق. واطلاعه على علم الأصول، وخاصةً أصول التفسير مع التعمُّق في أبوابه التي لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها، كمعرفة أسباب النُّزول، والنَّاسخ والمنسوخ ونحو ذلك.
- أن يكون لديه اطلاعٌ على علم الفقه وأصوله إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام الشَّرعية والاستنباط، وترجيح أقوال الفقهاء والأخذ بالرَّاجح منها.
- أن يكون عنده دقَّة الفهم التي تمكِّن المُفسِّر من ترجيحِ معنى على آخر، وربط النُّصوص القرآنيَّة مع بعضها، أو استنباط معنى يتَّفق مع النُّصوص الشَّرعيَّة.

---

(١) انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ج١/٣٢٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص:٣٢٢-٣٢٣، ومصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص٥٢) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميَّتها.

١ -تعريف مقاصد وأهداف السُّور والآيات.

أ-تعريف المقاصد لغةً:

جمع مقصد، فيقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً ومَقْصِداً، وقد استُعملت كلمة القصد في اللُّغة لمعانٍ عدة جاءت على النحو التالي:

- **استقامة الطريق.** ومنه قوله تعالى:﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ** ﴾[النحل:٩]، أي على الله تبيين الطَّريق المستقيم والدُّعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ** ﴾[النحل:٩] أي: ومنها طريقٌ غير قاصدٍ.(١)
- **العدل والوسط بين الطَّرفين:** والقصد في الشَّيء يكون ضد الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقدير.
- **والقصد في المعيشة:** هي أن لا يسرف ولا يقتر، يقال: فلانٌ مقتصدٌ في النَّفقة وقد اقتصد، واقتصد فلانٌ في أمره أي: استقام. وقصد في الأمر: لم يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتَّوسط.(٢)
- **الاعتمادُ والأَمُّ والإتيان بالشيء:** قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْدًا، وقَصَدَ له وأَقْصَدَني إليه الأَمر وهو قَصْدُكَ، وقَصْدَكَ أَي: تُجاهك.(٣)
- **الكَسْرُ:** في أيِّ وجهٍ كان، تقول: قَصَدْتُ العود قَصْداً: أي كَسَرْتُه، أو هو الكسر بالنِّصف، كالتَّقصيد قَصَدْتُه أَقْصِدُه، وقَصَّدْتُه تَقْصيدًا وانْقَصَدَ وتَقَصَّدَ.(٤)
- ومن خلال ما سبق، فإن المقاصد تجمع بين معانٍ متعددة، إلا أنَّ الغالب عند إطلاقها هو انصرافها إلى التوجه إلى الشيء والعزم عليه.

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٣/٣٥٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (ج٣/٣٥٤)، الزبيدي، تاج العروس (ج٩/٣٦).

(٣) انظر: المرجعين السابقين. نفس الموضع.

(٤) انظر: الزبيدي، تاج العروس (ج٩/٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب-تعريف المقاصد اصطلاحًا:

للمقاصد عدَّة تعريفاتٍ اصطلاحيةٍ منها:

- تعريف الإمام الشاطبي[١]، حيث لم يقف العلماء على تعريف للمقاصد عند الشاطبي، ولكن بعض الباحثين المعاصرين من خلال دراسته لكتاب الموافقات استطاع أن يستنبط تعريفًا على النحو الآتي: "إنَّها كلُّ المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام والمعاني الدَّلالية المقصودة من الخطاب التي تترتَّب عن تحقيق امتثال المكلَّف لأوامر الشَّريعة ".[٢]
- والإمام ابن عاشور[٣] يعرِّف المقاصد العامة للشَّريعة بقوله: "مقاصد الشَّريعة العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشَّارع في جميع أحوال التَّشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوعٍ خاصٍّ من أحكام الشَّريعة".[٤]
- وعرفها الدكتور أحمد الريسوني[٥] فقال: "إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد".[٦]
- وقد جمع العلامة علال الفاسي[٧]مقاصد الشريعة في تعريفٍ موجزٍ واضحٍ، قال فيه: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها".[١]

---

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أصولي حافظ من أهل غرناطة بالأندلس، كان من أئمة المالكية، وله عدة مؤلفاتٍ منها: الموافقات، والاعتصام في أصول الفقه، توفي عام ١٣٥٥م. (انظر: الزركلي، الأعلام(ج١/٧٥)).

(٢) انظر: إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند ابن عاشور (ص:١١٥).

(٣) محمد الطاهر بن عاشور: ولد ودرس بتونس، وهو نقيب أشراف تونس ومن كبار علمائها، وشيخ جامع الزيتونة، مالكي المذهب، تولى قضاء تونس سنة١٢٦٧هـ، ثم الفُتيا في نقابة الأشراف، وله عدة مؤلفات أشهرها: تفسير التحرير والتنوير. (انظر: الزركلي، الأعلام (ج٦/١٧٣)).

(٤) انظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ص:١٦٥).

(٥) د. أحمد عبد السلام الريسوني، ولد عام١٩٥٣ م بمدينة القصر الكبير في المغرب، حاصل على درجة الدكتوراه في أصول الفقه، وهو عضوٌ مؤسسٌ للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ألَّف في التفسير وعلوم القرآن. (نقلًا عن موقع الدكتور أحمد الريسوني، http://www.raissouni.ma.)

(٦) انظر: أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص:٧).

(٧) علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد الفاسي الفهري، زعيمٌ وطني من كبار الخطباء العلماء في المغرب=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- كما عرفها الدكتور يوسف القرضاوي: بأنَّها الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفرادًا وأسرًا وجماعات وأمة.(٢)

وخلاصة القول: فإنَّ تعريفات العلماء تهدف إلى أنَّ المقاصد الشرعية متعلقةٌ بالأدلة والأحكام الشرعية، وفهم مرادها ومقصودها لتحقيق المصلحة، ودرء المفسدة لجميع المسلمين.

وبعد النظر والتمحيص في تعريف العلماء لمعنى المقاصد، فإنَّ التعريف الذي أراه موافقًا ومناسبًا لتعريف المقاصد هو تعريف الشيخ ابن عاشور؛ لأنَّه تعريفٌ شاملٌ لجميع أنواع المقاصد والمعاني والحكم الملحوظة في الأحكام والتي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين، وتحقيق مقاصد الناس النافعة، وحفظ مصالحهم العامة.

ج. تعريف الأهدافِ لغةً :

جمعُ هَدَفٍ، وهَدَفَ من أهْدَفْتُ ودَنَوْتُ مِنك، يقال: أَهْدَفَ لِي الشَّيء، فهو مُستَهدَفٌ، والهَدفُ: كلُّ شيءٍ عظيمٍ مرتفعٍ، وكُلُّ بناءٍ مرتفعٍ مشرفٍ؛ ومنه سُمِّي الغَرضُ هدفاً، وأَهْدَفَ الشَّيءُ، إذا انْتَصَبَ.(٣)

فالأهداف يُقصد بها الغايات والأغراض المرجو تحقيقها.

د. تعريف الأهداف اصطلاحًا:

هي الأهداف التي شُرعت الأحكام لتحقيقها وتنفيذها.

وأهداف الشارع: هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد.(٤)

=ولد بمدينة فاس عام١٩١٠، ويعد مؤسس حزب الاستقلال، صدر له عدة كتب، توفي عام ١٩٧٤م. (انظر: الأعلام، الزركلي (ج٤/٢٤٦-٢٤٧).

(١) انظر: د. عبد الرحمن الكيلاني، قواعد المقاصد عند الشاطبي (ج٤/٢٤٦).

(٢) انظر: القرضاوي، دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية (ص:٢٠).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٩/٣٤٥)، الفراهيدي، العين (ج٤/٢٩)، الفيروزآبادى، القاموس المحيط (ص:٨٦١).

(٤) انظر: يوسف حامد العلم، المقاصد العامة للشريعة (ص:٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢-أهميَّة معرفة مقاصد وأهداف السُّور والآيات.

- علمُ مقاصدِ السُّور راجعٌ إلى تحقيقِ المقصدِ من إنزالِ هذا القرآن كله وهو التَّدبر والهداية كما قال تعالى:﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص:٢٩] فالله ﷻ أمرنا بالتَّدبر لمعرفة مراده من كلامه، والعمل به. وليس المقصود بالتَّدبر هو النَّظر في عباراته وألفاظه دون النَّظر لمقاصده، قال الإمام الشَّاطبي: " فإن كلَّ عاقلٍ يعلم أنَّ مقصودَ الخطاب ليس هو التَّفقه في العبارة، وإنَّما التَّفقه في المعرفة والمراد به".(١)
- علم المقاصد يُبرز إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، فإنَّ السُّور والآيات في وحدةِ بنائِها وتناسقها في قمَّة الإعجاز والبلاغة، وبيان ذلك أنَّ القرآن الكريم تقرؤه من أوَّله إلى آخره فإذا هو محكم السَّرد، دقيقُ السَّبك، متينُ الأسلوب، قويُّ الاتصال، آخذٌ بعضه برقابِ بعضٍ في سوره وآياته وجمله، يجري دَمُ الإعجاز فيه كلِّه من ألفه إلى يائه كأنه سبيكةٌ واحدة، وعقدٌ فريدٌ يأخذ بالأبصار، حيث نظِّمت حروفه وكلماته ونُسِّقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقًا لأوله، وبدا أوَّله مواتيًا لآخره.(٢)
- يُعين علم المقاصد على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا دقيقًا، ويُوصل إلى المعرفة في تفسير كلام اللهﷻ، والتَّبحُّر في دلالته وغاياته، قال الإمام البقاعي في كلامه على مقاصد السور:" وغايته.. معرفة الحق من تفسير كلِّ آيةٍ من تلك السُّور، ومنفعته.. التَّبحُّر في علم التَّفسير ومعاين السور".(٣)
- حاجة الناس إلى معرفة هذه المقاصد والأهداف، والتي تمثل حلًّا وخروجًا لمشكلاتهم بأنواعها في شتى نواحي الحياة.
- الدعوة إلى الإيمان برسالة الإسلام العظيم من خلال بيان مقاصد القرآن الكريم وأهدافه لهم والتي من أجلها نزل.
- يساعد الباحثين في العصر الحديث على الفهم السديد للنَّص القرآني الذي يحفظ من الوقوع في الخطأ والزَّلل، ويصون من الانحراف والعلل.

٣-طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

إنَّ الكشف عن مقصد السُّورة والوصول إليه مبني على الاجتهاد ودِقَّة الاستنباط وإدراكه،

---

(١) انظر: الشاطبي، الموافقات (ج٤/٢٦٢).

(٢) انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير (ج١/٢٥).

(٣) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور(ج١/١٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتختلف فيه العقول، وذلك أنَّه مرتبةٌ بعد إدراك المعنى العام، ويتطلب فهمه صفاءٌ للذهن وصحةٌ في الذَّوق ومعرفةٌ في كلام العرب.(١)

والكشف عن مقصد السُّورةِ والوصول إليه وإدراكه يحتاج إلى عدةِ أمورٍ، منها:

- التخلص من أمراض القلوب كالحقد والتكبر والحسد والنفاق قال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد:٢٤].
- الاستعانة بالله ﷻ وإخلاص العمل له وحده: حيث إنَّ تحقيق المقصد من الخلق هو العبادة ولا يتم بدون اللجوء والاستعانة بالله ﷻ، لذلك قال:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥].
- الفهم الصَّحيح للمقصد: حيث إنَّ أول ما ينبغي معرفته للوصول لمقاصد السُّور هو الفهم
الصَّحيح للمقصد، فإنَّ ذلك يهدي للطَّريق الصَّحيح إليه.(٢)
- الالتزام بضوابط التَّفسير: ومن ذلك أن يفسِّر القرآن بالقرآن؛ لأنَّ القرآن يبيِّن بعضه بعضًا، وأنَّ يفسر القرآن بالسنة؛ لأنَّ النبيﷺ أعرف الخلق بالله ﷻ وبمعاني كلامه، وعلى الباحث أن يطَّلع على أقوال أعلام الصحابة والتابعين.
- معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها وموضوعاتها. فكان لابد لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكيَّةٌ أو مدنيةٌ، وسبب نزولها وفضائلها، وموضوعاتها، فإنَّ ذلك مفتاحٌ رئيسٌ للوصول لغرضها.(٣)
- الرجوع إلى الكتب والمراجع والآراء الواردة عند السَّلف الصالح في بيان الجو والسبب الذي أُنزلت فيه ومن أجله السُّور، وما يكون منطلقًا لتحديد مقاصدها وأهدافها.
- الاستعانة بالمراجع والمصادر من الكتب والتفاسير التي تهتم وتُعنى بمقاصد السُّور، والتي سأسرد بعضًا منها لاحقًا إن شاء الله.
- المعايشة الرُّوحية الحيَّة للسُّورة. قال سيد قطب –رحمه الله–: "إنَّ هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الرُّوح، رُوح المعرفة المنشئة للعمل".(٤)

---

(١) ينظر: محمد الربيعة، علم مقاصد السور (ص٤٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٤٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٠ –٥١.

(٤) سيد قطب، معالم في الطريق (ج١/١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السُّور والآيات.

اهتمَّ بعضُ أعلامِ المفسرين والعلماء الأوائل في آثارهم بمقاصد السور الكريمة، فمنهم من ألَّف فيه المصنفات، ومنهم من أشار إليه من غير تصريحٍ بلفظ الغرض أو المقصد، وهذا الصنف ظهر في المتقدمين من المفسرين أمثال: الإمام الطبري في تفسيره "جامع البيان"، وابن كثيرٍ في تفسير "القرآن العظيم"، وبعد ذلك بدأ التَّصريح بذكرِ مقصد السُّور من بعض المفسرون والعلماء الذين عنوا بهذا العلم وسلكوا به منهجًا أمثال: الزمخشري في تفسيره "الكشاف"، والرازي في تفسيره " مفاتيح الغيب".

وكثيرٌ من المفسرين والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السُّورة وسلكوا فيه منهجًا في تفاسيرهم ومن هؤلاء الأعلام:

١. الفيروزأبادي في كتابه: " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ".
٢. البقاعي في كتابيه: " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " و "نظم الدُّرر فيتناسب الآيات والسُّور ".
٣. أحمد مصطفى المراغي في كتابه: " تفسير المراغي ".
٤. الطَّاهر بن عاشور في تفسيره:" التحرير والتنوير ".
٥. سيد قطب في تفسيره:" في ظلال القرآن ".
٦. محمد علي الصابوني في كتابيه: " قبس من نور " و " صفوة التفاسير ".
٧. وهبة الزحيلي في كتابه: " التفسير المنير ".
٨. أبو بكر الجزائري في كتابه: " أيسر التفاسير ".
٩. سلطان العلماء العز بن عبد السلام في كتابه: " الفوائد في اختصار المقاصد ".
١٠. محمد صديق خان في كتابه: " فتح البيان في مقاصد القرآن ".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصلُ الأَوَّل

الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصدِ وأهدافِ سُورةُ الذَّاريات، الآيات (٣١- ٦٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصلُ الأَوَّل

الدِّراسة التَّحليليَّة لمقاصدِ وأهدافِ سُورةُ الذَّاريات، الآيات (٣١-٦٠)

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٣١ -٣٧).

❖ **المطلب الأوَّل: قصَّةُ ضيفِ إبراهيمَ ﷺ وإهلاكِ قومِ لوط.**

قال الله تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)** ﴾ **[الذاريات:٣١-٣٦]**.

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه الآيات الكريمة تتمة قصة إبراهيم ﷺ، بعد أن علم إبراهيمﷺ من محاورتهم فيما ورد ذكره في الآيات السابقة أنهم ملائكةٌ مرسلون من عند الله، فسألهم عن الشأن الذي أرسلوا لأجله. وإنَّما سألهم بعد أن قَراهم جريًا على سنة الضيافة ألا يُسأل الضيف عن الغرض الذي أَورده ذلك المنزل إلَّا بعد استعداده للرحيل كيلا يتوهم سآمة مُضيفه من نزوله عنده، وليعينه على أمره إن كان مستطيعًا، وهم وإن كانوا قد بشروه بأمرٍ عظيمٍ إلَّا أنَّه لم يعلم هل ذلك هو قصارى ما جاءوا لأجله؟[1]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **فَمَا خَطْبُكُمْ** ﴾ أي: ما شأنكم الخطير؟ والخَطْب: الشَّأن والقصة.[2]

والخَطْبُ: الأمر المُهم، وقلَّ ما يُعبَّر به إلا عن الشدائد والمكاره، فكأنَّه يقول لهم: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟[3]

فالخَطبُ يأتي بمعانٍ عدةٍ منها: الأمر الجليل والعظيم، ويأتي بمعنى الشأن والقصة. ومنه الخُطبة فهي كلامٌ بليغٌ مؤثِّرٌ يُسرد لأمرٍ عظيمٍ أو خطير.

والمعنى الذي يحتمل هذه الألفاظ هو الأمر المهم والخطير ذا الشأن والقصة.

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٥).

(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٠٦).

(٣) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/١٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢-﴿ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ أي: قومٌ كفارٌ مشركون، وهم يعنون قوم لوطٍ أهل سِدوم وعَمُورية، وأصل الجُرم القطع، والمجرم: فاعل الجرائم، وهي صعاب المعاصي، واحدتها جريمة. (١)

٣-﴿ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ الحجارة: اسمُ جمعٍ للحَجَر، ومعنى كون الحِجارةِ من طينٍ: أنَّ أصلها طينٌ تحجَّر بصهر النَّار، وتسمى حجارة السِّجيل، وهي طينٌ طبخ كما يطبخ الفخار، حتى صار في صلابةِ الحِجارة.(٢)

٤-(مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي: حجارةٌ مُعلَّمة، من السَّومة وهي العلامة على كل حجرٍ من الحجارة المسومة، عليها اسم من سيهلك به، وقيل: أعلمت بأنَّها من حجارةِ العذاب.(٣)

وقيل: السَّومة والسيما: هي العلامة التي يُعرف بها الخير والشر.(٤)

وعن ابن عباس ﷺ في تفسير للآية الكريمة قال: المسوَّمة: الحجارة المختُومة، يكون الحجر أبيضُ فيه نقطةٌ سوداء، أو يكون الحجر أسودٌ فيه نقطةٌ بيضاء.(٥)

٥- ﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ يعني للمتعدِّين حدود الله، الكافرين به، وذكر البغوي(٦) في تفسيره عن ابن عباس ﷺ: أي للمشركين وهم الذين أسرفوا في المعاصي، والشِّرك أسرفُ الذُّنوب وأعظمها، فكلُّ مشركٍ مسرفٍ في المعصية.(٧)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ قوله: (مُسَوَّمَةً): فيه ثلاثةُ أوجهٍ، **أحدها**: أنَّه منصوبٌ على النعت لـ(حجارة).

والثَّاني: أنَّه حالٌ من الضمير المستكن في الجارِّ قبله،

---

(١) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/١٧٨).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦)، الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٢).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٢).

(٤) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج١٣/٧٦).

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٢٩).

(٦) هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، يلقب بمحيي السنة، حافظ محدث مفسر من فقهاء الشافعية، كان إمامًا جَليلًا وَرِعًا زاهدًا فَقِيهًا جامعًا بين العلم والعمل سالكًا سبيل السَّلف، والبغوي نسبة إلى بَغَا من قرى خراسان، يعتبر كتابه معالم التنزيل من أجلِّ الكتب وأنبلها، وهو حاوٍ للصحيح من الأقوال، عارٍ عن الغموض والتكلف محلى بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة. (انظر: الزركلي، الأعلام (ج٢/٢٥٩-٢٦٠)، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج٧/٧٥)).

(٧) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج٦/٨٩٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثَّالث: أنَّه حالٌ من(حجارة).[1]

وقوله: ﴿ **عِندَ رَبِّكَ** ﴾ ظرفٌ لـ(مُسَوَّمةً) أي: مُعْلَمَةً عنده.[2]

٢- قوله: ﴿ **فِيهَا آيَةً** ﴾ يجوز أن يعود الضمير على القرية أي: تَرَكْنا في القرية علامةً كالحجارةِ أو الماء المُنْتِنِ، ويجوزُ أن يعود على الإهلاكةِ المفهومةِ من السِّياق.[3]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١-الإرسال الذي في قوله: ﴿ **لِنُرسِلَ عَلَيهِم حِجَارَةً مِنْ طِينٍ** ﴾ مستعملٌ في الرَّمي مجازًا. وهذا الإرسال يكون بعد أن أصعدت الحجارة إلى الجو وأرسلت عليهم، ولذلك سُميت مطرًا في بعض الآيات.[4]

٢- بين ﴿ **أَرْسَلْنَا** ﴾ وبين ﴿ **لِنُرْسِلَ** ﴾ جناسٌ؛ لاختلاف معنى اللَّفظين.[5]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

قال الخليل إبراهيم عليه السلام لمَّا علم أنَّهم رُسلٌ من عند الله حقًا، وبعد بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام بالغلام: ما شأنكم وما خبركم؟ قالوا: إنَّا أُرسلنا إلى قومٍ لوط، وهم قومٌ مجرمون كذَّبوا لوطًا عليه السلام وعَصَوْا أمر ربهم فحُقَّ عليهم عذابُ ربهم، وإنَّا أُرسلنا إلى هؤلاء القوم لنقلب ديارهم رأسًا على عقب، ونجعل عاليها سافلها، ونُرسل عليهم حجارةً من طينٍ، معلَّمةً من عند الله عز وجل، أُعدَّت لهؤلاء القوم المُسرفين المتجاوزين لكافَّة الحدود المحظور تعديها.

ثم قاموا من عند إبراهيم عليه السلام، وجاءوا لوطًا، فضاق بهم ذرعًا؛ لأنَّه أنكرهم أوَّل الأمر، وقال: هذا يومٌ عصيب، قالت الملائكة: يا لوطُ إنَّا رُسل ربك جئنا لإنقاذك من هؤلاء الظَّالمين فأَسْرِ بأهلِك في قطعٍ من اللَّيل، ولا يلتفت منكم أحدٌ إلَّا امرأتك، إنَّه مصيبُها ما أصابهم، وإنَّ موعدهم الصُّبح، وليس الصُّبح ببعيدٍ، فباشرت الملائكة ما أمروا به.[6]

وأخرجوا من كان في القرية من المؤمنين، فما وجدوا فيها غيرَ بيتٍ من المسلمين، وهو بيتُ لوطٍ عليه السلام.

---

(١) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٢-٥٣).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق (ج١٠/٥٣).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦) بتصرف.

(٥) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٣).

(٦) انظر: الحجازي محمد محمود، التفسير الواضح (ج٣/٥٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قريةً كاملةً يدعوهم نبيُّهم إلى توحيد الله، وإلى ترك الفاحشة، ما تبعه أحدٌ! حتى أهل بيته لم يخلصوا، فيهم من لم يؤمن بلوطٍ. وجاء الصبح وقد جعلوا عاليها سافلها، وأمطروا عليهم حجارةً من سجيل، لكنَّه ليس الطِّين الذي يتفتَّت بل الصَّلب العظيم الذي إذا أصابت هذه الحجارة أحدًا من النَّاس وضربته على رأسه خرجت من دبره، لا يردُّها عظمٌ ولا لحمٌ، لقوتها وشدَّتها وصلابتها مسومةً معلمةً عند الله، وما هي من الظَّالمين أمثالهم ببعيد.(١)

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١. في قصة ضيف إبراهيم الخليل ﵇ تسلية لقلب النبي ﷺ وذلك ببيان أنَّ غيره من الأنبياء -عليهم السلام- كانوا مثله، وجدوا المعاناة، وذاقوا الأمرَّين، وقاسُوا من أقوامهم شتَّى أنواع الإيذاء والعِناد.

٢. جواز تشكُّل الملائكة بصورة حسنة، وبصورة الرجال من البشر، وفي ذلك بيان لقدرة الله ﷻ في خلقه من خلال تشكل الملائكة وقدرتهم وهم مخلوقات من خلقه على فعل معجزات، وكانت الاستعانة بملائكة من ملائكة العذاب، مع أن الملك منهم يقلب المدائن بريشةٍ من جناحه، ولكن إظهارًا لقدرة الله ﷻ وتعظيمه وشدة قوته وغلبة جنده.(٢)

٣. جرت سنة الله ﷻ في إنزال الهلاك والدمار العام بإنجاء المؤمنين وتمييزهم، فلما أراد إهلاك قوم لوط أمر نبيه لوطًا بأن يخرج هو مع المؤمنين من أهل بيته إلا امرأته، لئلا يهلك المؤمنون.(٣)

٤. دلَّ قوله تعالى: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ على فائدتين:(٤)

- **إحداهما:** بيان القدرة والاختيار، لتمييز الله المجرم عن المحسن.
- **الثانية:** بيان أنه ببركة المحسن ينجو المسيء، فإن القرية ما دام فيها المؤمن لم تهلك، فلما خرج من القرية آل لوط المؤمنون، نزل العذاب بالباقين.

٥. دلَّ قوله تعالى: ﴿ **فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ على أنَّ الكفر إذا غلب، والفسق إذا عمّ وفشا، لا تنفع معه عبادة المؤمنين، أما لو كان أكثر الخلق على الطريق

---

(١) انظر: العثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (ج١/١٤٩).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٣) بتدخل.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٨/١٨١)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستقيم، وفيهم جماعة يسيرة يعصون ويكفرون، فلن يقع بهم عذاب.(١)

٦. الإشارة إلى سنة الله ﷻ في إهلاك الظالمين والمتجبرين في الأرض، فعن السيدة زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ – رضي الله عنها– **قالت يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: " نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ** ".(٢)

٧. المؤمنون والمسلمون من آل لوط سواء، لكن في الحقيقة أنَّ الإيمان: تصديقُ القلب، والإسلام: هو الانقياد بالظَّاهر لأحكام الله، فكلُّ مؤمنٍ مسلم، وليس كل مسلمٍ مؤمنا، فسمَّاهم تعالى في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما مِن مؤمنٍ إلا وهو مسلم.(٣)

قال الإمام الرازي(٤) – رحمه الله– مؤيدًا التفرقة بين الإيمان والإسلام: " والحق أنَّ المسلم أعم من المؤمن، وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه، فإذا سُمي المؤمن مسلمًا فلا يدل على اتحاد مفهوميهما، فكأنه تعالى قال: أخرجنا المؤمنين، فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتًا من المسلمين، ويلزم من هذا ألَّا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا تقريرُ حقيقةٍ علميةٍ وهي: أنَّ كل مؤمنٍ صادقِ الإيمان مسلم ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنا، حتى يحسن إسلامه بانبنائه على أركان الإيمان الستة ".(٥)

٨. إنَّ عمل قوم لوط (اللِّواط) هو جريمةٌ من أكبر الجرائم، وهي من الفواحش المفسدة للخلق وللفطرة وللدِّين والدُّنيا، وقد عاقب الله عليها بأقسى عقوبة، فخسف الأرض بقوم لوطٍ، وأمطر عليهم حجارةً من سجيل جزاءَ فعلتهم الشَّنيعة.

٩. أمر النبي ﷺ بقتل فاعل اللِّواط ولعنه، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ رسول ﷺ قال: " **مَنْ وَجَدتُمُوه يَعْمَلُ عَمَلَ قَومِ لُوطٍ، فاقْتُلُوا الفَاعِلَ والمَفعُول به** ".(٦)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٤) بتصرف.

(٢) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء / باب قصة يأجوج ومأجوج ١٣٨/٤ حديث رقم:٣٣٤٦].

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٤) بتصرف.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي، قرشي النسب، مفسر متكلم من أئمة الشافعية، يعد تفسيره مفاتيح الغيب من أشهر التفاسير التي تصنف ضمن التفسير بالرأي، توفي عام ٦٠٦هـ. (انظر: الزركلي، الأعلام (ج٦/٣١٣).

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٨/١٨١).

(٦) [سنن أبو داود، كتاب الحدود / باب فيمن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط ١٥٨/٤ حديث رقم: ٤٤٦٢] قال الألباني: حديثٌ حسنٌ صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولفظ النسائي: " **لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط** ".(١)

وإنَّما شدَّدت الشريعة الإسلامية في عقوبة فاعل هذه الجريمة لآثارها السيئة وأضرارها في الفرد والمجتمع.

١٠. اللِّواط لوثةٌ أخلاقيةٌ، ومرضٌ نفسيٌ خطير، فنجد جميع من يتصفون به سيئي الخلق فاسدي الطباع، لا يكادون يميزون بين الفضائل والرذائل.

كما أنهم ضعيفي الإرادة، ليس لهم وجدانٌ يؤنبهم ولا ضميرٌ يردعهم، لا يتحرَّج أحدهم ولا يردعه رادعٌ نفسي عن السَّطو على الأطفال، واستعمال العنف والشِّدة لإشباع عاطفته الفاسدة، والتجرؤ على ارتكاب الجرائم التي نسمع عنها كثيرًا، ونطالع أخبارها في الجرائد والإذاعات وغيرها، ونجد تفاصيل حوادثها في المحاكم وفي كتب الطِّب.(٢)

١١. اللِّواط يصيب مقترفيه بضيق الصَّدر وبخفقان القلب، ويتركهم بحالٍ من الضَّعف العام يعرضهم للإصابة بشتى الأمراض ويجعلهم عرضةً لمختلف العلل والأوصاب.(٣)

مما تقدم يتبيَّن لنا حكمةُ الشَّريعة الإسلامية في تحريم جريمة اللِّواط، وتظهر دقة أحكامه في التَّنكيل والتَّشنيع بمقترفيه، أو الإقدام على مثل هذا الخُلق البذيء، وإقامة الحد على من اعتدى على حُرمة الأطفال، أو مَنْ أشبع رغبته بالشُّذوذ، وخلاف ما شرعه الله، وما عهده عرف الناس والبشرية جمعاء، فوجب تخليص المجتمعات من هذه الشِّرذمة التي تريد أن تفسد على الناس أعراضهم، وتقضي على مروءة الرجال.

---

(١) [النسائي، السنن الكبرى، كتاب الرجم / باب من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط ٤٨٥/٦، حديث رقم: ٧٢٩٧].

(٢) انظر: سيد سابق، فقه السنة (ج٢/٤٣١) بتصرف.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٣٢. باختصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثاني: أخذ العبر والعظات من هلاك الكافرين.**

قال الله تعالى:﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** ﴾ [الذاريات:٣٧].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا ذكر تعالى ما دار من الحوار بين إبراهيم الخليل عليه السلام وضيوفه حول مصير قوم لوط، بما يفيد أن العذاب الأليم الذي استحقوه إنما ضرب الله به المثل لمن يأتي بعدهم، حتى يكون لغيرهم عبرة وذكرى.

وقد ثبت أن المكان الذي كان يعيش فيه قوم لوط قد تحول منذ حلَّ بهم عذاب الله إلى بحيرة خبيثة منتنة يتجنبها الناس.[١]

ثانيا: معاني الكلمات:

١-﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا** ﴾ من التَّرك، تَرَكَ الشَّيء تركًا وتركانًا أي طرحه وخلاه.[٢]

والتَّرك حقيقته: مفارقةُ شخصٍ شيئًا حصل معه في مكانٍ ففارق ذلك المكان وأبقى منه ما كان معه، ويطلق أيضًا على التَّسبب في إيجادِ حالةٍ تطول.[٣]

٢- ﴿ **آيَةً** ﴾ أي: علامةٌ دالةٌ على ما أصابهم من العذاب، وهي أحجارٌ كثيرةٌ منضودةٌ، وقيل: تلك الأحجار التي أهلكوا بها، وهي موجودةٌ ما بين الشَّام والحجاز، وقيل: ماءٌ أسودٌ مُنتنٌ انشقَّت أرضهم وخرج منها ذلك.[٤]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

- قوله: ﴿ **فِيهَا آيَةً** ﴾ يجوز أن يعود الضمير على القرية أي: تَرَكْنا في القرية علامةً كالحجارةِ أو الماء المُنْتِنِ، ويجوز أن يعود على الإهلاكةِ المفهومةِ من السِّياق.[٥]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

- قوله:﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا** ﴾ التَّرك في الآية: كنايةٌ عن إبقاء الشيء في موضعٍ دون مفارقةِ التَّارك، أو هو مجازٌ مرسلٌ في ذلك بتشبيه إبقاء تلك الحالة فيه بالشَّيء المتروك في مكان، ووجه الشَّبه

---

(١) انظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج٦/٩٢).

(٢) يراجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج١/٨٤).

(٣) يراجع: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٨).

(٤) انظر: الألوسي، روح المعاني (ج١٤/١٦)، الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٨/١٨١).

(٥) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عدم التغير.[١]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يعقب الحق ﷻ بعد عرض القصة بأنَّه يجب الاتعاظ بهلاك القوم المجرمين فيقول – عزَّ مَنْ قال– تركنا في القرية آيةً للذين يخافون العذاب الأليم، أي تذكرةً وعبرة، والعبرةُ موجودةٌ في قرى لوط جلية لِمَنْ مرَّ بها، فإنَّها أرضٌ سوداء، وجعل محلتهم من الأرض بحيرةً منتنةً قبيحةُ المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيلٍ مقيمٍ يمر بها المسافرون ليلًا ونهارًا ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الصافات:١٣٧–١٣٨].

أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟![٢]

ووقد يقال: معنى الآية المذكورة في قرى لوط هو ما بقي من الحجارة فيها.

وقد جعل الله فيها آيةً للذين يخافون العذاب الأليم، أي: كلّ من يخاف عذاب الله، ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، بأن يحلَّ بهم كما حلَّ بهذه القرى في الدنيا وهذه الآية هي آثار العذاب في تلك القرى، فإنها ظاهرة بينة.[٣]

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١– إنَّ في تعذيب قوم لوط على الكفر، وجريمتهم عبرةٌ وعلامةٌ لأهل ذلك الزمان ومَنْ بعدهم، غير أنَّ المنتفعين بالعِظة والعبرة هم الذين يخشون الله ويخافون عقابه، والمنتفعُ بها هو الخائف.[٤]

٢– الآية والعبرة في قوله: ﴿ **وَلَقَد تَرَكْنَاهَا آيَةً** ﴾ حسيةٌ ومعنويةٌ، أمَّا **الحسية**: فما نشاهد مكان قريتهم التي تسمى بحيرة لوط، فإنَّ هذا كان موضع القرية، كلٌ يمرُّ به ويراه ويشاهده، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكُم لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[الصافات: ١٣٧– ١٣٨].

والمعنوية: فكلُّ مَنْ قرأ قصتهم في جميع ما وردت فيه من السُّور الكريمة اعتبر واتعظ وخاف من مصيرهم من أن يحلَّ به ما حلَّ بأسلافه.[٥]

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩).
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٧/٣٣).
(٣) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٩/٢٥٩) بتصرف.
(٤) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٤).
(٥) ينظر: العثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (ج١/١٥٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- إنَّ في الآية إيماءٌ إلى أنَّ الكفر متى غلب، والفسق إذا انتشر، لا تنفع معه عبادةُ المؤمنين، أمَّا إذا كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمةٌ يسيرةٌ يسرقون ويفجرون، فإنَّ الله لا يأخذ الكثرة الصالحة بذنب العدد القليل من الفاجرين.[(١)]

٤- إن أسباب هلاك قوم لوط هو إصرارهم على فعل الفواحش التي نهاهم عنها نبيهم لوط ﷺ، وحذرهم من مغبة عصيانهم وطغيانهم وإفسادهم في الأرض فكانت نهايتهم القاسية ومصيرهم البائس الذي استحقوه من العزيز الجبار، وفي هذا استئناسٌ من هلاك السابقين ، فإن الله ﷻ يسلط على الكافرين والمتجبرين في الأرض أصنافًا شتى من العذاب مثل تدميرهم بالزلازل والبراكين، وتسليط الأمراض والأوبئة التي تفشى بينهم والتي تقضي عليهم، أو إذاقة الناس بعضهم بأس بعض قال تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام:٦٥].

---

(١) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٣٨ -٤٦).

❖ المطلب الأول: قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

قال الله تعالى:﴿ **وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)** ﴾ [الذاريات:٣٨-٤٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد بيان العبرة والعظة في قصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، من أجل الإيمان بقدرة الله، عطف تعالى على ذلك قصصُ أقوامٍ آخرين، عُذِّبوا على تكذيبهم للرسل بعذاب الاستئصال، منهم فرعون موسى وأتباعه. وعقبت قصة قوم لوط بقصة موسى وفرعون لما بينهما من تناسب في أن العذاب الذي عذب به الأُمّتان عذاب أرضي إذ عذب قوم لوط بالحجارة التي هي من طين، وعذب قوم فرعون بالغرق في البحر، وقد تبين في تعذيبهم نهاية الطغاة والمكذبين والكفار الظالمين، ليعود الناس إلى رشدهم، ويؤمنوا بالله وباليوم الآخر، ويكفّوا عن تكذيبهم للرسول ﷺ ودعوته الإسلامية.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ وهو الذي أرسل الله به موسى إلى فرعون، هو الحجة القوية الظاهرة الواضحة، والبرهان القاطع، وهو الهيبة الجليلة التي خلعها عليه. وهو معهما يسمع ويرى.(٢)

والسلطان ما يكون به التسلُّط ويطلق على ذلك مع شموله للواحد والمتعدد؛ لأنَّه في الأصل مصدر.(٣)

٢- ﴿ **فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ** ﴾﴿ **فَتَوَلَّى** ﴾ يعني فرعون، وفي توليه وجهان:(٤)

- أحدهما: أدبر.
- الثاني: أقبل، وهو من الأضداد.

٣- ﴿**بِرُكْنِهِ**﴾ من الرُّكن، ورَكَنَ إليه ركنًا ورُكُونًا: مَالَ إليه، وسَكَن، واعتمد عليه.(٥)

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩).

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٨٣-٣٣٨٤).

(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/١٥).

(٤) انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج٥/٣٧٢).

(٥) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج١/٣٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرُّكْن أحدُ الجوانب التي يُسْتَند إليها الشيء ويقوم بها، وجزءٌ من أجزاء حقيقة الشَّيء والأمر العظيم وما يتقوى به من ملك وجند وقوم.(١)

قال الماتريدي(٢): "وهذا يخرَّج على وجهين:

- **أحدهما**: أي فتولّى هو ورُكنه، وهم جنوده وقومه عن اتِّباع موسى ﷺ وما يدعوهم إليه.
- **والثاني**: أي فتولّى هو وركنه، وهم قومه، أي: تولَّى عن الحق واتِّباع موسى ﷺ بقوة قومه".(٣)

٤- ﴿**سَاحِرٌ**﴾ وأصل السِّحر: صرف الشَّيء عن حقيقته إلى غيره، وقيل: السِّحر عملٌ تُقرّب فيه إلى الشيطان وبمعونةٍ منه؛ كما قيل: السِّحر الخديعة، ورجلٌ مسحورٌ: أي ذاهبُ العقل.(٤)

وعرَّفه الرَّازي فقال: "هو كلُّ أمرٍ خفيٍّ سببه وتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التَّمويه والخداع"(٥)

٥- ﴿ **مَجْنُونٌ** ﴾ الجُنون: هو اختلالُ العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلّا نادرًا. والمجنُون: هو مَنْ لم يستقم كلامه وأفعاله.(٦)

٦- ﴿ **فَنَبَذْنَاهُمْ** ﴾ أي: طرحناهم وألقيناهم في البحر، وهي من النَّبْذُ، طَرْحُكَ الشَّيءَ من يَدِكَ أَمامك أَو وراءك، ونَبَذْتُ الشَّيْءَ أَنْبِذُه نَبْذًا إذا أَلقيته من يدك، وَنَبَذْتُ الشَّيْءَ أَيضاً إِذا رَمَيْتَهُ وأَبعدته.(٧)

فالنَّبذ يأتي بمعنى: طرح وترك الشيء بدون اهتمامٍ به.

---

(١) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج١/٣٧١).

(٢) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ماتريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد وتأويلات القرآن وتأويلات أهل السنة) مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ.(انظر: الزركلي، الأعلام (ج٧/١٩)).

(٣) يراجع: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج٩/٣٨٨).

(٤) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج٤/١٦٩-١٧٠).

(٥) الرازي، أحكام القرآن (ج١/٥٠).

(٦) انظر: الجرجاني، التعريفات (ج١/٧٩).

(٧) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٣/٥١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧-﴿ فِي الْيَمِّ ﴾ أي: البحر الذي هو أهلٌ لأن يقصد بعد أن سُلِّطت الريح عليه، فأُغرق فرعون لمَّا ضَرب موسى عليه السلام البحر بعصاه، ونشفت أرضه وأيبست ما أبرزت فيه من الطُّرق لنجاة أولياء الله، وهلاك أعدائه.(١)

٨- ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ المليم: هو الذي قد أتى ما يُلام عليه من الفعل.(٢)

ومعنى ذلك أنَّ فرعون يلوم نفسه، ويلومه النَّاس. وقيل: مُليمٌ أي: مذنب. وأَلَامَ الرجل، إذا أتى بذنبٍ يُلام عليه.(٣)

ثالثًا: وجوهُ الإعرابِ:

١-قوله: ﴿ **وَفِي مُوسَى** ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً** ﴾ على معنى وتركنا في موسى آيةً حين أرسلناه إلى فرعون بسلطانٍ مبين، أي: بحجةٍ ظاهرة.

٢-قوله: ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَاهُ** ﴾ يجوز في هذا الظرف ثلاثةُ أوجهٍ:(٤)

- **أحدها**: أن يكون منصوبًا بـ(آية) أي: تركنا في قِصَّة موسى علامةً في وقتِ إرسالنا إيَّاهُ.
- **الثَّاني**: أنَّه يتعلق بمحذوفٍ؛ لأنَّه نعتٌ لآيةٍ، أي: آيةً كائنةً في وقتِ إرسالنا.
- **الثَّالث**: أنَّه منصوبٌ بـ(تَرَكْنَا).

٣- قوله: ﴿ **بِسُلْطَانٍ** ﴾ يجوزُ أَنْ يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنَّه حالٌ، إمَّا مِنْ: موسى، وإمَّا مِنْ: ضميرِه. أي: ملتبسًا بسلطانٍ، وهي الحُجَّةُ.(٥)

٤- قوله: ﴿ **فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ** ﴾ الجار والمجرور حالٌ من فاعل (تَوَلَّى)، والباء للمصاحبة، وقيل: الباء للتعدية فتكون بمعنى: تقوَّى بجنده.(٦)

٥- قوله: ﴿ **وَجُنُودَهُ** ﴾ يجوزُ أَنْ يكونَ معطوفًا على مفعول (أَخَذْنَاه) وهو الظاهرُ، وأَنْ يكونَ مفعولًا معه.(٧)

---

(١) انظر: الخطيب الشربيني، السراج المنير (ج٤/١٠٤) بتصرف.
(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٣٢).
(٣) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٤٦).
(٤) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٣).
(٥) انظر: المرجع السابق، ص٥٤.
(٦) انظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج١٨/٩١).
(٧) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦-﴿ وهو مُلِيمٌ ﴾ الجملة مع الواو حالٌ من الضَّمير في فأخذناه.(١)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- قوله تعالى:﴿ **فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ** ﴾ فيه استعارةٌ، حيث استعار الرُّكن للجُنود والجُموع؛ لأنَّه يَتقوَّى بهم، ويُعتمد عليهم كما يُعتمد على الرُّكن في البناء.(٢)

٢-في قوله: ﴿ **تَوَلَّى** ﴾ كنايةٌ عن المبالغة في الإعراض والعناد.(٣)

٣- قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ** ﴾ فيه من الدَّلالة على غاية عِظَم شأنُ القدرة الرَّبانية، ونهاية حماقة فرعون وقومه ما لا يخفى.(٤)

٤- ﴿ **هُوَ مُلِيمٌ** ﴾ مجازٌ عقلي، حيث أطلق اسم الفاعل على اسم المفعول، أي: ملامٌ على طغيانه.(٥)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذُكِر ما كان من قوم لوطٍ من الفُسوق والعِصيان، وما أصابهم من الهلاك جزاءً لما اجترحوا من السيئات تسليةً لرسوله ﷺ على ما يرى من قومه، عَطف على ذلك قصصُ جمعٍ آخرين من الأنبياء لقُوا من أقوامهم من الشَّدائد مثل ما لقي هذا الرَّسول الكريمﷺ، فحُقَّت على أقوامهم كلمة ربِّهم، فنزل بهم عذاب الاستئصال فصاروا عبرةً ومَثَلًا للآخرين، فقال: وجعلنا في قصَّة موسىعليه السلام عبرةً وعظة، إذ أرسلناه إلى فرعون بمعجزاتٍ ظاهرةٍ، وآياتٍ بيِّنة كالعصا وغيرها، فتولَّى بجنوده، وأعرض عن الإيمان مصاحبًا قومه معتزًا بهم، وقال: إنَّ موسى ساحرٌ أو هو مجنونٌ، فأخذه الجبار المنتقم أَخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ، أخذه هو وجنوده فنبذهم في اليم نَبْذَ النُّواة بلا مبالاةٍ ولا اعتدادٍ به، والحال أنَّه أتى من أفعال الكفر والطُّغيان ما يلام عليه، فهو مُلامٌ بهذا المعنى.(٦)

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٣).
(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٥).
(٣) انظر: الشربيني، السراج المنير (ج٤/١٠٣) بتدخل.
(٤) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٢).
(٥) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٥).
(٦) انظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج٣/٥٣٨) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١. نهاية الطُّغاة الظَّالمين وعاقبةُ الكفار المكذِّبين، أخبر بها ﷻ للعظةِ والعبرةِ، فإنَّ الله ﷻ أرسل موسى ﷺ مؤَّيدًا بالدليل الباهر، والحُجَّة القاطعة والمعجزات كالعصا واليد وغيرها، إلى فرعون الطَّاغية الجبَّار، فأعرض عن الإيمان وركن إلى جنوده وجموعه، وكذَّبوا برسالته، ووصف فرعون موسى بأنَّه ساحرٌ يأتي الجنَّ بسحره أو يقرَّب منهم، والجنُّ يقربونه ويقصدونه إنْ لم يقصدهم، فيصير كالمجنون، فالسَّاحر والمجنون كلاهما أمره مع الجن، غير أنَّ السَّاحر يأتيهم باختياره، والمجنون يأتونه من غير اختياره.[1]

فحُقَّ الجزاء من جنس العمل، فعاقبهم الله ﷻ بالإغراق في الماء لكفرهم وتولِّيهم عن الإيمان، علاوة على ذلك ادِّعاء فرعون الرُّبوبية، وشدة طغيانه وعناده الذي ملأ الأفاق.

٢. دلَّت أنواع العذاب في إهلاك الأقوام السَّابقة على أنَّ الله ﷻ قادرٌ على أن يُعذِّب ويُحقِّق الفناء بما به البقاء والوجود، أو استخدام عناصر الحياة الأربعة في التَّعذيب: وهي التُّراب والماء والهواء والنَّار، فعذَّب قوم لوطٍ بالتُّراب، وعذَّب قوم نوحٍ وقوم فرعونَ بالماء، وعذَّب عادًا بالهواء، وثمودَ بالنَّار.[2]

٣. قوة الله ﷻ فوق كل قوة، فهو ذو القوَّة المتين، إذ كل قوة في الأرض هو الذي خلقها ووهبها.[3]

٤. اتهام المبطلين لأهل الحق دفعًا للحق وعدم قبولٍ له يكاد يكون سنةً بشريةً في كل زمانٍ ومكان.[4]

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٣٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٤٠. بتدخل.

(٣) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٦٧).

(٤) انظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثَّاني: تدمير عادٍ قومِ هودٍ﷈.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)**﴾ [الذاريات:٤١–٤٢].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد بيان العبرة والعظة من قصَّة موسى ﷈ لمَّا أرسله الله إلى فرعون وقومه بالحُجَّة الظَّاهرة والبرهانِ القاطع، والآيات التسع، والذي قُوبل بالاتِّهام بالسِّحر والجُنون، وكانت نهاية الظَّالم المُتجبِّر بالهلاك بالبحر غرقًا، وقد جعله الله عبرةً لمن يعتبر، فعطف على ذلك قصَّة هودٍ﷈ مع قومه الذين كذَّبوه وكفروا برسالته،واستكبروا عن دعوته استكبارًا، وعَكَفُوا على عبادة أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع، فأهلكهم الله ﷻ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ، لا رحمةَ فيها ولا بركةً ولا منفعة، فإنَّها لم تترك شيئًا مرَّت عليه إلَّا جعلته كالشَّيء الهالك.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١– ﴿ **الرِّيحَ العَقِيمَ** ﴾ وأصل العقم: اليُبس والعدم المانع من قبول الأثر، والخالية من المنافع التي تُرجى لها الرياح من إثارة السَّحاب وسوقه، ومِن إلقاح الأشجار بنقل غبرة الذَّكر من ثمارٍ إلى الإناث من أشجارها.[١] فالرِّيح العقيم: الرِّيح الضَّارة التي لا نفع فيها ولا رحمةً ولا بركة.

وفي المراد بالرِّيح التي هي عقيمٌ ثلاثةُ أقوالٍ:

– **أحدها**: الجنوب، فعن سعيد بن المسيِّب[٢] – رحمه الله – قال:"ريحُ العقيم: الجنُوب".[٣]

– **الثَّاني**: الدَّبور، قال ﷺ: " **نُصرتُ بالصَّبا[٤] وأُهلكَت عادٌ بالدَّبُور[٥]**".[٦]

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١).

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ؓ وأقضيته حتى سُمِّي راوية عمر، توفي بالمدينة عام ٩٤هـ.(انظر: الزركلي، الأعلام (ج٣/١٠٢)).

(٣) أبِي الشيخ الأصبهاني، العظمة (ج٤/١٣٣٩).

(٤) الصَّبا: هي الريح التي تهب من مشرق الشمس ونصرته بها ﷺ كانت يوم الخندق إذ أرسلها الله ﷻ على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم. (انظر: الفَتَّنِي، مجمع بحار الأنوار (ج٣/٢٩١)).

(٥) الدَّبُور: هي الريح التي تهب من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد.(انظر: الزبيدي، تاج العروس (ج٢١/٩٨)).

(٦) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة / باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا ٣٣/٢ حديث رقم: ١٠٣٥].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **الثَّالث:** هي رِيحُ الصَّبا.[1]

والراجح في المراد بالريح هي الدَّبور؛ لورودها في الحديث النبوي السابق.

٢- ﴿ **مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ يعني: ما تترك لهم مِن شيءٍ أتت عليه.

٣- ﴿ **جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ** ﴾ يعني: مرَّت الرِّيح عليه إلَّا جعلته كالرماد. ويقال: الرَّميم: الورق الجاف المُتحطِّم، مثل الهشيم المحتظر.[2]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ** ﴾ صفةٌ ثانيةٌ، أو حالٌ، وصيغ (تذر) بصيغة المضارع لاستحضار الحالة العجيبة. و(**شيءٍ**) في معنى المفعول لـ(تذر).[3]

٢-قوله: ﴿ **إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ** ﴾ في موضع الحال من ضمير (الرِّيح) وهي مستثناةٌ من عموم أحوال شيء.[4]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١-في قوله: ﴿ **الرِّيحَ الْعَقِيمَ** ﴾ هناك استعارةٌ تبعيةٌ، حيث شبَّه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النِّساء وعدم حملهن لِمَا فيه من إذهاب النَّسل، ثمَّ أطلق المشبه به على المشبه، واشتُق منه العقيم.[5]

٢- ﴿ **مِنْ شَيْءٍ** ﴾ (من) لتأكيد النفي، والنكرة المجرورة بـ(من) هذه نصٌ في نفي الجنس ولذلك كانت عامة، إلَّا أنَّ هذا العموم مخصصٌ بدليلِ العقل؛ لأنَّ الرِّيح إنَّما تُبلي الأشياء التي تمرُّ عليها إذا كان شأنُها أن يتطرَّق إليها البِلى، فإنَّ الرِّيح لا تُبلي الجبال ولا البحار ولا الأودية وهي تمر عليها، وإنَّما تُبلي الدِّيار والأشجار والنَّاس والبهائم.[6]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

ولمَّا أتمَّ قصة مَنْ جمع له السحاب والماء والنَّار والرِّيح، أتبعها قصةُ مَنْ أتاهم بريحٍ ذاريةٍ لم

---

(١) انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج٥/٣٧٣).
(٢) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٤٦).
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١).
(٤) انظر: المرجع السابق.
(٥) الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/١٥-١٦).
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوجد قطٌ مثلها، وكان أصلها موجودًا بين ظهرانيهم وهم لا يشعرون به، بل قاربت الوصول إليهم وهم يظنونها مما ينفعهم، وفي عادٍ آية حين استكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا: مَنْ أشدَّ منَّا قوة؟ فأرسل الله ﷻ عليهم ريحًاعقيمًا، وهي الدَّبور تعصِف بكل شيءٍ أراد الله إهلاكه، وتتركه رميمًا باليًا مفتتًا هالكًا لا يُستطاعُ ترميمه.(١)

وكانت الرِّيح تمرُّ بالنَّاس فيهم الرجل من عاد، فتنتزعه من بينهم وتهلكه. وهذه كانت الدَّبور لما صحَّ من قوله ﷺ: " **نُصرتُ بالصَّبا، وأهلكت عادٌ بالدَّبور**".(٢)

حيث كانوا يحفرون الحفرة في الأرض فينزلون فيها، ويتركون رؤوسهم على السَّطح لاستنشاق الهواء، فتأتي الرِّيح فتقطع رؤوسهم، وتتركهم هلكى كالنخلة التي قُطع رأسُها، وتُرك عَجزُها ولم يبقَ فيها منفعةٌ أو ثمرة.(٣)

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١. في تكرار قصص الأنبياء – عليهم السلام– تسلية لقلب النبي ﷺ وتذكيره بحال غيره من الأنبياء الذين من قبله، حتى يستأنس النبي ﷺ بقصصهم وأخبارهم، ويُخفف عنه من وطأة الاتهامات والأباطيل التي كان يتهم بها.

٢. قدرة الله ﷻوبطشه الشَّديد في تدمير وإذلال الجبابرة بسرعة الرِّيح المدمرة المهلكة، والتي لا تُبقي من الأجساد إلَّا الرَّميم والهشيم، ولا تُبقي شيئًا إلَّا قلبته رأسًا على عقب.

٣. الرِّيح قوةٌ من قوى هذا الكون، وجندٌ من جند الله، وما يعلم جنودَ ربك إلَّا هو، يُرسلها في إطار مشيئته وناموسه، في صورةٍ ما من صورها، في الوقت المقدَّر، على مَنْ يريد، بالهلاك والدَّمار، أو بالحيا والحياة.(٤)

٤. قد يقلب الله النعماء والمنح إلى ضراء ونقم في حق من بغى وظلم، ودليل ذلك تحويل الرياح المنعشة إلى عواصف مهلكة لا تبقي ولا تذر. ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾ [المدثر: ٣١].

٥. يعد الإهلاك آية جبَّارة وقاهرة من آيات الله ﷻ الدَّالة على قدرته وشدة عذابه، المُوجبة لطاعته، والمُستلزمة لقدرته ﷻ على إعادة الأعيان، وعلى الجزاء على العمل يوم القيامة.

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٨/٤٧٠-٤٧١).

(٢) سبق تخريجه ص٣٢.

(٣) انظر: عبد الله شحاتة، تفسير القرآن الكريم (١٤/٥٤١٢).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٣٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثَّالث: القُدرةُ الإلهيةِ في تدمير ثمود.**

قال الله تعالى:﴿ **وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥)** ﴾ [الذاريات:٤٣-٤٥].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا تمَّ ما اقتضاه سياق السورة من قصة أهل الريحِ الذَّارية، أتبعها قصة من أهلكوا بما يحمله السحاب من الريح وما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة، وأتبعت قصة عاد بقصة ثمود لتقارنهما غالبًا في القرآن من أجل أن ثمود عاصرت عادًا وخَلفتها في عظمة الأمم، فذكر قصة ثمود فقال: وفي ثمود عظة لمن تدبر وفكر في آيات ربه، إذ قال لهم نبيهم: ﴿ **تمتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيرُ مَكْذُوبٌ** ﴾ [هود: ٦٥]، ثم يحل بكم من العذاب ما لا قبل لكم به، فكذبوه واستكبروا وعتوا عن أمر ربهم، فأرسل عليهم صاعقة من السماء أهلكتهم جميعًا وهم ينظرون إليها جزاءَ ما اكتسبت أيديهم من الآثام، وارتكاب الخطايا والأوزار.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١-﴿ **إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينٍ** ﴾ قال ابن الجوزي في معنى الآية: " وفيه معناها قولان:(٢)

- **أحدهما**: أنه قيل لهم: تمتعوا في الدنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهددا لهم.
- **والثاني**: أنَّ صالحًا قال لهم بعد عقر الناقة: تمتعوا ثلاثة أيام؛ فكان الحين وقت فناء آجالهم ".

وبذلك تعتبر مهلة قد أعطيت لهم؛ لئلا يكون لهم حجةٌ يوم الآخرة في عدم إمهالهم وتنبيههم بسوء العاقبة، كما بيَّن ذلك المولى ﷻ فقال: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [الإسراء:١٦].

٢- ﴿ **فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ** ﴾ أي: تكبَّروا عن امتثال أمر اللهﷻ. والمراد بالعُتوِّ: الكِبر والشدة، وهو البلوغ في البأس والقساوة غايته.والعاتي: الشَّديد الدُّخول في الفساد، وهو المتمرِّد الذي لا يقبل عِظة.(٣)

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (ج١٨/٤٧١)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٢).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير (ج٤/١٧٢).

(٣) انظر: السجستاني، غريب القرآن (ج١/٣٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا نرى هؤلاء المتكبرين المعاندين لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ، مما يعطي انطباعًا على خبث سريرتهم وسوء نيتهم تجاه رسولهم وما أعجزهم به من الخوارق التي أُيِّد بها.

٣- ﴿ **الصَّاعِقَةُ** ﴾ أي: الصَّيحة العظيمة التي حملتها الرِّيح فأوصلتها إلى مسامعهم بغاية العظمة، ورجَّت ديارهم رجَّةً أزالت أرواحهم بالصَّعق[(١)]، وقد يُسمى كلُّ عذابٍ مُهلكٍ صاعقة.

وقيل: الصَّاعقة: نارٌ تنزل بالاحتكاكات الكهربية.[(٢)]

٤- ﴿ **فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ** ﴾ هذا المعنى يخرَّج على وجهين:

- **أحدهما**: أي ما استطاعوا من الانتصاب لعذاب الله تعالى والقيام له.
- **والثاني**: ما استطاعوا من دفع العذاب عن أنفسهم لا بأنفسهم ولا بغيرهم **(وما كانوا منتصرين)** بالأنصار والأعراف.[(٣)]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينٍ** ﴾ جاء العطف بالفاء المقتضية تأخُّر العُتو عن ما أُمروا به، فهو مطابقٌ لفظًا ووجودًا.[(٤)]

٢-﴿ **فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ** ﴾ هنا استعمل بـ(عَنْ)؛ لأنَّ فيه معنى الاستكبار كقوله: ﴿ **لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ** ﴾.[الأنبياء: ١٩].[(٥)]

٣- ﴿ **وَهُمْ يَنْظُرُونَ** ﴾ جملةٌ حاليةٌ من ضمير النَّصْب في (أخذتهم).[(٦)]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

- ﴿ **فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ** ﴾ جاء القيام مجازًا للدفاع، كما يقال: هذا أمرٌ لا يقوم له أحدٌ، أي لا يدفعه أحد.[(٧)]

---

(١) انظر: الشربيني، السراج المنير (ج٤/١٠٤).
(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٦).
(٣) يراجع: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (ج٩/٣٩٠).
(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج٩/٥٥٩).
(٥) ينظر: ابن عادل، اللُباب في علوم الكتاب (ج١٨/٩٨).
(٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٣).
(٧) ينظر: المرجع السابق (ج٢٧/١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: القراءات القرآنية:

- ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ** ﴾ قرأ الكسائي: (فأخذتهم الصَّعقة) بغير ألفٍ مع إسكان العين، وهي مصدرُ صَعَقَ يصعَقُ صَعْقًا وصعقةٌ واحدةٌ، وقرأ الباقون بإثبات الألف مع كسر العين.(١)

وحُجَّة الكسائي: أنَّ الصَّعقة هي المرةُ الواحدة بدلالة قوله:﴿ **أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ** ﴾ [الأعراف:١٥٥] ولم يقل الراجفة وقوله: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ** ﴾ [العنكبوت:٤٠] يعني المرة الواحدة، فلمَّا كان المعنى في الصَّيحة المرة الواحدة ردَّ ما اختلف فيه إلى ما أُجمع عليه.(٢)

وحُجَّة الباقين: أنَّ جميع ما في القرآن من ذِكر الصَّاعقة جاء على هذا الوزن مثل الرَّاجفة والرَّادفة والطَّامَّة والصَّاخَّة، فردُّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمع عليه.(٣)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

وفي قصَّة ثمود آية كذلك، إذ أرسل إليهم ربك أخاهم صالحًا، فكفروا ولم يؤمنوا بسبب ما كانوا عليه من الطُّغيان والبَغي، وذلك حين قام أشقى ثمود، وهو قُدَّار بن سالف، فعقر النَّاقة، بتحريضِ قومه ورضَاهم بما يفعل، فكان عقرُها دليلًا على تكذيبهم جميعًا لنبيهم، وبرهانًا على صدق رسالته إذ حلَّ بهم العذاب الذي أوعدهم به. فقال لهم صالحٌ: احذروا ناقة الله التي جعلها آية نبوّتى، واحذروا شِربها الذي اختُصت به في يومها، فلا تُؤذُوها ولا تتعدوا عليها في شِربها ولا في يوم شربها، وكان صالحٌ ﷺ قد اتفق معهم على أنَّ للنَّاقة شِربُ يومٍ، ولهم ولمواشيهم شِربُ يوم، فكانوا يجدون في أنفسهم حرجًا لذلك ويتضرَّرون منه، فهمُّوا بقتلها فحذَّرهم صالحٌ أن يفعلوا ذلك، وخوَّفهم عذاب الله وعقابه الذي يُنزله بهم إنْ هم أقدموا على هذا الفعل، لكنَّهم كذَّبوه ولم يستمعوا لنصحه.

فقال لهم نبيهم ﷺ: تمتَّعوا في داركم ثلاثةَ أيامٍ، ذلك وعدٌ غيرُ مكذوبٍ، فعتوا عن أمر ربِّهم واستكبروا عن امتثاله، فأخذتهم الصَّاعقة، وأهلكتهم نارٌ من السَّماء أتت عليهم، وهم ينظرون إلى أنفسهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين لاصقين بمكانهم من الأرض، لا يستطيعون الحركة والقيام ودفع العذاب عنهم، وما كانوا مُنتصرين بغيرهم، إذ لا ناصرَ لهم ولا معين، ولا مأوى مِنْ هذا العذاب الذي يلم بمستحقيه ولا ينفك.(٤)

---

(١) ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر: المرجع نفسه.

(٤) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٣٠/١٧١) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه هي نهاية الجبابرة والمعاندين لأمر الله، المنسلخين عن الأخلاق وسمو القيم الفاضلة، والعاصين لنبيهم بسوء خباياهم وسوء نيتهم تجاهه، فكان حقًا إيقاع العذاب بهم، وجعلهم عبرةً لمن يعتبر.

سابعًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١. ينبِّئ اللَّه ﷻ عن قبيلة ثمود التي تجاوزت الحد بطغيانها وظلمها لنفسها ولغيرها، والتي خرجت عن الحد في العصيان والتَّمرُّد، وهذا خبرٌ لم تسمع به قريشٌ من قبل، ولم ينقل لهم عن عبر القُصاص والعرَّافين والكهنة.
٢. ضرب المثل بثمود لمن دسَّ نفسه وأهملها واتبع هواه وتردَّى، فتمادت في الطغيان والتَّمرُّد، فنزل بها العقاب الشَّديد وأهلكها ودمَّرها عَيَانًا في الدُّنيا قبل مجيء عذابهم في الآخرة، وفي القصَّة عِظةٌ للمجرمين والمتجبرين من الدول العظمى المتسلطة على الضعفاء في العالم من أن يحل بهم العذاب وغضب المنتقم الجبار، فليتعظوا بذلك.[١]
٣. أنَّ الله ﷻ شدَّد وبَالغَ في عذابه لثمود إلى غايةٍ ليس فوقها غاية، فإنَّ مَنْ يخافُ سوء العاقبة لا يُبالغ في الفعل، أمَّا الذي لا يخاف سوء العاقبة ولا تبعة العمل فإنه يبالغ فيه ليصل إلى ما يريد.[٢]
٤. أنَّ قصَّة نبي الله صالحٌ عليه السلام مسوقةٌ لتسلية رسوله ﷺ بأنَّه سينزل بالمكذِّبين به مثل ما أُنزِل بثمود، ولقد صدق الله وعده، فأهلك مَنْ أهلك مِن أهل مكة في غزوة بدرٍ بأيدي المؤمنين المجاهدين، ثمَّ لم يزل يَحِلُّ بهم الخِزي والعذاب بالقتل تارةً، وبالإبعاد تارةً أخرى حتى لم يبقَ في جزيرة العرب مكذِّب.[٣]

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٣٠/٢٥٦) بتدخل.

(٢) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٣٠/١٧١) بتدخل.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص:١٧١-١٧٢ بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الرابع: الاتعاظ من هلاك قوم نوح عليه السلام.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦)** ﴾ [الذاريات:٤٦].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا أتمَّ قصَّة مَنْ أُهلكوا بما مِنْ شأنه الإهلاك وهو الصَّاعقة، أتبعهم قصَّة مَنْ أُهلكوا بما مِن شأنه الإحياء، وهو الماء الذي جل ما يشتمل عليه الحاملات التي أثارتها الذَّاريات، وقد كانوا موجودين في الأرض والسَّماء وأسبابه مهيأةٌ وهم لا يُحسون بشيءٍ من ذلك، وأمَّا عبادنا المؤمنون فهيَّأنا لهم أسبابَ النَّجاة من السَّفينة وغيرها، وأعلمناهم بها، فكان كلُّ ما أردنا وقاله عنَّا أولياؤنا فقال مغيرًا للأسلوب تنبيهًا على العظمة بنفس الإهلاك لكونه بما من شأنه الإحياء والإبقاء والتَّصرف في الأسباب.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

- قوله: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ فاسِقين: من الفِسْق، وهو الخروج عن الطَّاعة، وقيل هو العصيان والتَّرك لأمر الله ﷻ والخروج عن طريق الحق ومخالفة الأمر، وقيل أصل الفسق: الخروج عن الاستقامة والجَور، وبه سُمي العاصي فاسقًا.(٢)

وقد وصفهم الله ﷻ فاسقين رغم كفرهم؛ لأنه إذا قيل للكافر الأصل فاسق، فلأنه أخلَّ بحكمٍ ما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة. فالفاسق أعم من الكافر، والظَّالم أعم من الفاسق.(٣)

ثالثًا: الأسرار البلاغية:

- ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ هذه الآية الكريمة تعليلٌ لِما تضمنه قوله: ﴿ **وَقَومَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ**﴾ من ذكر كثرة فسقهم ومجاوزة الحد في طغيانهم بغيهم فحق عليهم الهلاك والتدمير.(٤)

رابعًا: القراءات القرآنية:

- قوله:﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ** ﴾.

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: (وقومِ نوحٍ) بالكسر، فإنَّهم حملوه على قوله: ﴿ **وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَونَ** ﴾ أي: وفي قومِ نوحٍ، وقرأ الباقون (وقومَ نوحٍ) بالنَّصب، فمَنْ نصب فهو

---

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٨/٤٧٢-٤٧٣).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١٠/٣٠٨).

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس (ج٢٦/٣٠٢).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عطفٌ على معنى ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ** ﴾.[1]

ومعنى أخذتهم الصاعقة: أهلكناهم وأهلكنا قوم نوحٍ، فالأحسن أنْ يكون محمولًا على قوله: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ** ﴾ فإنَّه يدّل على (أغرقنا) فكأنه قال: أغرقناه وجنوده وأغرقنا قومَ نوحٍ.[2]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

لقد ساقت السُّورة الكريمة جانبًا من قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ ليكون في ذلك تسليةً للنبي ﷺ وتذكرةً للمتذكِّرين، فختم الله ﷻ هذه الآيات بلمحةٍ وإشارةٍ سريعةٍ تلمس قصة نوح عليه السلام لمسةً واحدةً بدون إيضاحٍ فقال: **(وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ)** أي: وأهلكنا قوم نوحٍ من قبل هؤلاء جميعًا بالطُّوفان، لمَّا كان إهلاكهم على عظمه وانتشاره في بعض الزَّمان، وقبل هذه الأمم كلها وتعليلُ إهلاكهم، **(إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)** أي: خارجين عن طاعتنا، منغمسين في الكفر والعصيان، وعن الإيمان إلى الكفر، فاستحقوا لذلك الإهلاك.[3]

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١- ذِكْر قصص الأمم الغابرة التي كذَّبت الرُّسل، وأعرضت عن رسالات الله ﷻ؛ وذلك تسلية للنبي ﷺ وتثبيتًا لفؤاده والمؤمنين على الحق، وتذكرة للمتذكِّرين، ودرسٌ مهمٌ للمعتبرين إذا ما أصروا على كفرهم وهروبهم من دعوة النبي ﷺ لهم للإيمان، من أن يحلَّ عليهم سخط من العزيز الجبار، وأن الله كما أهلك الظالمين من قبل فإنه سيهلكهم لا محالة هم ومن على شاكلتهم.

٢- في إرسال الله ﷻ نوحًا إلى قومه، وتكذيبهم إيَّاه، وإصرارهم على الشِّرك والكفر والتَّكذيب ثمَّ إهلاكه لهم بالطُّوفان، وإنجائه للمؤمنين آيةً من أعظم الآيات الدَّالة على وجود الخالقﷻ وربوبيته وألوهيته للعالمين، والمُستلزمة لقدرته على البعث والجزاء الذي يُصرُّ الملاحدة على إنكاره؛ ليواصلوا فسقهم وفُجورهم بلا تأنيبِ ضميرٍ ولا حياءٍ ولا خوفٍ أو وجل.[4]

---

(١) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص:٦٨١.

(٣) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٨٥) بتصرف.

(٤) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- من أسباب الهلاك والتَّدمير، عدم الخُضوع والقَبول لأمر الله ﷻ، والخروج عن طاعته وطاعة رسله وأنبيائه، فيمهلوا ولا يُهملوا، فيأتيهم العذاب بغتةً وهم لا يشعرون، ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

٤- ينبغي الالتفات والانتباه إلى أنَّه ورد في الآيات الآنفة الإشارة إلى قصصِ خمسِ أممٍ من الأمم المتقدمة [قوم لوط، فرعون، عاد، ثمود، وقوم نوح] وقد أشير إلى جزاء وعاقبة أربعِ أممٍ من هذه الأمم السَّابقة، إلَّا أنَّه لم ترد الإشارة في كيفية عقاب قوم نوحٍ ﷺ فلعلَّهم عوقبوا بمثلِ ما عوقبَ به قوم فرعون، أي: أُهلكوا بالغرق والطُّوفان ولم تكن حاجة هنا للتكرار.(١)

٥- الملاحظ بدقَّة في الآيات الكريمة يجد كلَّ أُمَّةٍ من الأمم الأربع المتقدِّم ذكرها عُوقبت بنوعٍ من العناصر الأربعة المعروفة ! فقوم لوطٍ عوقبوا بالزَّلزلة والحجارة المسوَّمة من السَّماء أي أنَّهم أُهلكوا بالتُّراب، وقوم فرعون أُهلكوا بالماء غرقًا، وعادٍ أُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ سريعةٍ، وثمود أُهلكوا بالصَّاعقة والنَّار، وصحيحٌ أنَّ هذه الأشياء الأربعة لا تعدُّ اليوم عنصرًا، أي: جسمًا بسيطًا؛ لأنَّ كلاًّ منها مركبٌ من أجسامٍ أُخر، إلَّا أنَّه لا يمكن الإنكار أنَّها تمثِّل أربعة أركانِ حياة الإنسان المهمَّة، ومتى ما حُذف أي منها فلا يمكن أن يواصل الإنسان حياته فكيف بحذف جميعها ؟!(٢)

٦- إنَّ الله ﷻ أهلك هذه الأمم بشيءٍ يُعدُّ عاملُ البقاء والحياة الأصيل، ولم يستطيعوا بدونه أن يواصلوا الحياة وهذه قدرةٌ عجيبةٌ تدلُّ على أنَّ الله قادرٌ على أن يعذِّب ويحقق الفناء بما به البقاء والوجود أو عناصر الحياة الأربعة: وهي التُّراب والماء والهواء والنَّار.(٣)

٧- في العصر الحديث عاقب الله ﷻ الأمم المتمردة على دين الله وعباده المسلمين، بجميع أنواع العقاب تقريبًا فتارةً يدمِّر أمةً باغيةً بالبراكين والخسف، وأخرى يرسل عليها صاعقةً فتدمرهم بعد أن تفزعهم، وأمة أخرى يرسل عليهم ريحًا عاتيةً فتدمر مدنهم وقراهم وتغمرهم الفيضانات وتكسر من جبروت هذه الأمم الطاغية اقتصاديًا واجتماعيًا وغيرها الكثير، فهذه عدة رسائل يبعثها الله على الكافرين المعاندين المتجبرين بغية الرجوع عن طغيانهم وتصديهم لنشر دين الله في العالم كله.. ولكن أنَّى لهم الاعتبار والادِّكار ؟!

---

(١) انظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل (ج١٧/١١٨) بتدخل.

(٢) انظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل (ج١٧/١١٨-١١٩) بتصرف.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص:١١٩. بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الذاريات من الآية (٤٧ –٦٠).

❖ **المطلب الأول: إثبات وحدانية الله ﷻ وعظيم قدرته.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)**﴾.[الذاريات:٤٧-٤٩].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد إشاراتٍ سريعةٍ إلى قصصِ بعض الأنبياء الكرام، وذِكْر شيءٍ من أفعال أقوامهم، ولمَّا كان إهلاكهم بالماء الذي نَزَل من السَّماء، وطَلَع من الأرض بغير حسابٍ، كان ربما ظنَّ ظانٌّ أنَّ ذلك كان لخللٍ كان فيهما، ولمَّا كانت شبهة نَفْي البعث قائمة على توهم استحالة إعادة الأجسام بعد فنائها أعقب تهديدهم بما يقوِّض توهمهم، فوُجِّه إليهم الخطاب يُذكِّرهم بقدرة الله ﷻ على خَلْق هذا الكون ببناء السَّماء بهذا الإحكام المنفرد، وبأنَّ التوسعةَ مستمرةٌ على الزمن، وأنَّ في الكون أجرامًا تتمدَّد وتتوسَّع دائمًا إلى ما شاء الله، والأرضُ ممهدةٌ كالفراش للاستقرار عليها، وخَلْق الجنسين كالذكر والأنثى من كلِ نوعٍ من أنواع الحيوان، والصنفين المتضادين من بقية الأشياء، فلا تعدُّ إعادة الأشياء الفانية بالنسبة إلى الله إلَّا شيئًا يسيرًا كما قال ﷻ: ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[غافر:٥٧].(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١– ﴿ **وَالسَّمَاءَ** ﴾ في اللغة: هي كلُّ ما علا من الشيء.(٢)

وهي: الجُرم الأعظم الذي أحاط بالأجرام السَّابحة في الفضاء كلها، وعلا عليها.(٣)

٢– ﴿ **بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ** ﴾ **بنيناها**: أيضممنا أجزاءها بعضها إلى بعضٍ بغاية الدِّقة والإحكام، فكانت كالقُبة فوق الجمع.(٤)

بأيدٍ: أي: بقوةٍ وقدرة، والمعنى: أي والسماء رفعنا سقفها بقوةٍ وشدَّةٍ عظيمةٍ لا يقدَّر قدرها، والأيد والآدّ القوَّة، والقوة أوضح ما ينبئ عنه بناء السَّماء الهائل المتماسك المتناسق.(٥)

---

(١) القطان، تيسير التفسير (ج٣/٢٧٣)، البقاعي، نظم الدرر (ج١٨/٤٧٣-٤٧٤)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٥) بتصرف.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١٥/٩٠).

(٣) انظر: ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ج١/٣٥٧).

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ المُوسِع: اسم فاعلٍ من أوسع، إذا كان ذا وُسعٍ، أي قدرة. وتصاريفه جائية من السَّعة، وهي: امتداد مساحة المكان ضد الضَّيق، واستُعير معناها للوفرة في أشياء مثل: الأفراد، مثل عمومها في قوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، ووفرة المال مثل: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِه﴾ [الطلاق: ٧]، وقوله: ﴿ عَلَى المُوسِعِ قَدْرُه﴾[البقرة: ٢٣٦]، وجاء في أسمائه ﷻ الواسع مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١١٥]. وهو عند إجرائه على الذَّات يفيد كمال صفاته الذَّاتية: الوجود، والحياة، والعلم، والقدرة والحكمة.(١)

قال الماوردي(٢) في معنى ﴿ لَمُوسِعُونَ ﴾ خمسة أوجهٍ:(٣)

- **أحدها:** لموسعون في الرزق بالمطر.
- **الثَّاني:** لموسعون السَّماء.
- **الثَّالث:** لقادرون على الاتِّساع بأكثر من اتساع السَّماء.
- **الرَّابع:** لموسعون بخلق سماءٍ مثلها.
- **الخامس:** لذو سعةٍ لا يضيق علينا شيءٌ نريده ".

والراجح في معناها: أي إنا لموسعون ما بين السماء والأرض.

٤-﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾ أي: بسطناها ومهَّدناها، وإنَّما أطلق الفَرْشُ على الأرض ولم يطلق البناء؛ لأنَّها محل التغييرات كالبساط يُفرش ويُطوى.(٤)

والفَرْشُ يوحي باليُسر والرَّاحة والعِناية. وقد هُيِّئت الأرض لتكون محضنًا ميسَّرًا ممهَّدًا، كل شيءٍ فيه مقدرٌ بدقةٍ لتيسير الحياة.(٥)

ولذلك فإنَّنا نجد الأرض مفروشةً وممهَّدة في قشرتها العليا، كي يسهل على الإنسان التنقل والمسير عليها بسهولة، فخلقت لتخدم الإنسان بلا عناءٍ أو لغوب، وحُقَّ عليه أن يحمد من مهَّد له ذلك ويسره.

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦).

(٢) الماوردي: علي بن محمد حبيب، أبو الحسن، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، وهو شافعي أصولي مفسر أديب، والماوردي نسبة إلى بيع الورد، توفي سنة٤٥٠هـ. (انظر: الزركلي، الأعلام (ج٤/٣٢٧)، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى (ج٥/٢٦٩)).

(٣) انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج٥/٣٧٣-٣٧٤).

(٤) انظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (ج٦/١٩٠).

(٥) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥-﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ أي: فنعم الباسطون المُوسعون لها نحن، والماهد: المهيِّئ الموطئ للموضع الذي يتمهَّد ويفترش.(١)

وقد أثنى الله ﷻ على نفسه بفعله الخيري الحسن الكبير.(٢)

٦- ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ يعني: صنفين يعني الليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والبر والبحر، والشتاء والصيف، والبرد والحر، والسهل والجبل، والسَّبِخة والعذبة.(٣)

والزوج: الذكر والأنثى، والمراد بالشيء: النوع من جنس الحيوان، وجاء تثنية زوج هنا؛ لأنَّه أُريد به ما يُزوَّج من ذكرٍ وأنثى. وذكر النسفي في تفسيره عن الحسن البصري – رحمه الله – قال: "السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة، وقال: كل اثنين منها زوج؛ والله تعالى فردٌ لا مثل له".(٤)

إنَّه إبداع الله في خلقه، وسرُّ هذا الإبداع يوحي بإعجاز الله في مخلوقاته، بأنَّ الزوجين لا غنى لأحدٍ عن الآخر، ويصعب على الواحد منهم أن يمضي في عجلة الحياة بعيدًا عن زوجه.

٧- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي تتفكرون في الفروق بين الممكنات والمستحيلات، وتتفكرون في مراتب الإمكان فلا يختلط عليكم الاستبعاد وقلة الاعتياد بالاستحالة فتتوهموا الغريب محالًا. فالتذكر مستعملٌ في إعادة التفكر في الأشياء ومراجعة أنفسهم فيما أحالوه ليعلموا بعد إعادة النظر أن ما أحالوه ممكن ولكنهم لم يألفوه فاشتبه عليهم الغريب بالمحال فأحالوه فلما كان تجديد التفكر المغفول عنه شبيهًا بتذكر الشيء المنسي أطلق عليه (لعلكم تذكرون).(٥)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا ﴾ نُصبت السَّماء على الاشتغال، أو بفعلٍ مضمرٍ تقديره: وبنينا السماء بنيناها.(٦)

٢- ﴿ بِأَيْدٍ ﴾ يجوز أَن يتعلق بمحذوفٍ على أنَّه حال، وقيل: فيها وجهان: أحدهما: أنَّها حالٌ من فاعل (بَنَيْناها) أي: ملتبِّسين بقوةٍ، والثَّاني: أنَّها حالٌ من مفعوله أي: ملتبسةً بقوةٍ، ويجوز أن تكون

---

(١) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/١٨١).

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٦٨).

(٣) انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (ج٤/١٣٣).

(٤) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٧٩).

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨).

(٦) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٢٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباء للسبب، أي: بسبب قدرتنا، ويجوز أن تكون الباء معدِّية مجازًا، على أن تجعل الأيد كالآلةِ المبنيِّ بها.(١)

٣- ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ يجوز أن تكون الجملة حالًا من فاعل (بَنَيْناها)، ويجوز أن تكون حالًا من مفعوله، ومفعول (مُوسِعون) محذوف أي: موسِعون بناءها، ويجوز أن لا يُقدَّر له مفعولٌ؛ لأنَّ معناه (لقادِرون).(٢)

٤- ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾ عطفٌ على قوله: (والسماء بنيناها) أي: وفرشنا الأرض فرشناها.

٥-﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ نِعْمَ: فعلٌ ماضٍ للمدح، والماهدون فاعل، والمخصوص بالمدح محذوفٌ تقديره: فنعم الماهدون نحن، فحذف المقصود بالمدح.(٣)

وصيغة الجمع في قوله: (الماهدون) للتعظيم.

٦- ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يجوز أن يتعلَّق بـ(خَلَقْنا) أي: خَلَقْنا من كلِّ شيءٍ زوجين، وأن يتعلَّق بمحذوفٍ على أنَّه حالٌ من (زوجَيْن)؛ لأنَّه في الأصل صفةٌ له؛ إذ التقدير: خَلَقْنا زوجَيْن كائنين من كلِّ شيءٍ، والأول أقوى في المعنى، و(مِنْ) هنا للاستغراق، أي: وكلُّ شيءٍ خلقناه متزاوجًا.(٤)

٧-﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الجملة تعليلٌ لجملة (خلقنا زوجين) أي: رجاءَ أن يكون في الزَّوجين تذكُّرٌ لكم، أي دلالةٌ غير مغفول عنها.(٥)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الجملة فيها تذييلٌ إثباتًا لسعة قدرته ﷻ في كلِّ شيءٍ، فضلًا عن السَّماء، وفيه رمزٌ إلى التَّعريض الذي في قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، وتقديم (السَّماء) على عامله للاهتمام به.(٦)

---

(١) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٨).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٠).

(٤) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٥٩).

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨).

(٦) انظر: المرجع السابق ص١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ فيها كناية؛ لأنَّ الفرش كنايةٌ عن البسط والتسوية.(١)

٣- بين قوله: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ سجعٌ رصينٌ غير متكلفٍ فيه، يزيد في جمال الأسلوب وبديعه.(٢)

٤- وبين ﴿ السَّمَاءِ ﴾ و ﴿ الأَرضِ ﴾ طباق.

خامسًا: المعنى الإجمالي:

انتقل كتاب الله إلى تذكير العباد بوجوب النظر والتأمل في كتاب الكون الأكبر، المفتوحة صفحاته لعقول الناس وقلوبهم جميعًا، بما فيه من سماءٍ وأرضٍ وأحياء، وما فيه من أنواعٍ وأصنافٍ بلغت في التَّعدد والتَّنوع إلى حدٍ يفوق كل إحصاء.(٣)

فيقول: إنَّ هذه القبة التي أحاطت بكم من جميع الأرجاء، نحن بنيناها بقدرتنا وما مسنا في ذلك من تعبٍ ولا مشقةٍ، ذلك البناء المحكم المتقن، بنيناها ونحن على قوتنا وقدرتنا نَقْدر على بناء أعظم منها لو شئنا، ونحن على قدرتنا وطاقتنا في إفاضة الخيرات والبركات منها عليكم. وهذا على أنه من الوسع.

وحين بنيناها قد وسعنا أديمها حتى أحاطت بهذه الأجرام السَّابحة التي منها ما لا يكون معه جُرم الكرة الأرضية إلَّا كحمصةٍ فوق مائدةٍ كبيرة، وهذا على أنه من السِّعة.(٤)

فهذا أكبرُ مظهرٍ من مظاهر القدرة الإلهية، وإنَّ الأرض التي أنتم متمكنون من الوجود على ظهرها، والسير في مناكبها والانتفاع بخيراتها، نحن فرشناها لكم كالفراش؛ لتصلح للعيش والاستقرار عليها، فنعم الماهدون نحن الذين جعلناها مهدًا لأهلها، ومترعةً بالخيرات على سطحها وجوفها، برها وبحرها وجوها، فعلى سطحها يعيش الإنسان والحيوان، وفي جوفها الثروة المعدنية الجامدة والسَّائلة كالنفط وغيره، وفي بَرِّها مختلف النباتات والأزهار والأشجار، وفي بحرها آلاف الأنواع من الأسماك، واللآلئ والمرجان، وتسير فيها السفن، وفي جوها الطير والهواء والسُّحب الزَّاخرة بالمطر، وتحليق الطائرات وغيرها.(٥)

---

(١) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٣٩).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤١).

(٣) انظر: الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج٦/٩٣).

(٤) انظر: ابن باديس، تفسير ابن باديس (ج١/٣٥٧).

(٥) انظر: ابن باديس، تفسير ابن باديس (ج١/٣٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنا خلقنا الأشياء التي تشاهدونها على الزوجية والتركيب من شيئين متضادين، بحيث يرجى منكم أن تعلموا أن النقص والعجز عَمَّ المخلوقات كلها، لحاجةِ كلِّ شيءٍ منها إلى ضده، وقصوره بنفسه، فالقدرة والكمال للخالق وحده، فلا يستحق العبادة سواه، فاعبدوه ووحدوه.(١)

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١-إثبات وحدانية الله وقدرته بآيات الكون الكبرى، من خلق السماء التي تدل بكواكبها ونجومها وشمسها وقمرها وتوابعهما على أن الإله الصانع قادر على الكمال، وكذا خلق الأرض الممهدة المبسوطة الممدودة كالفراش بما فيها من خيرات ظاهرة وباطنة، وأيضًا خلق الصنفين والنوعين المختلفين من ذكرٍ وأنثى، وحلوٍ وحامض، وسماءٍ وأرض، وشمسٍ وقمر، وليلٍ ونهار، ونورٍ وظلام، وسهلٍ وجبل، وجنٍّ وإنس، وخيرٍ وشر، والأشياء المختلفة الطَّعوم والروائح والأصوات.(٢)

٢- إيجاد الله وخلقه للكائنات بشتى أصنافها دليلٌ على قدرة الله ﷻ، ومن قَدِر على هذا قَدِر على الإعادة، وهو إشارةٌ إلى أن ما سوى الله تعالى مركبٌ من أجزاء، وهو دليلٌ على الانتقال من المركب إلى البسيط، ومن الممكن إلى الواجب، ومن المصنوع إلى الصانع، فإن خالق الأزواج فردٌ وإلَّا لكان ممكنًا، فيكون مخلوقًا، ولا يكون خالقًا، فلا يقدر في صفته حركةٌ ولا سكونٌ، ولا ضياءٌ ولا ظلامٌ، ولا قعودٌ ولا قيامٌ، ولا ابتداءٌ ولا انتهاءٌ، إذ ليس كمثله شيء.(٣)

٣- تقرير التوحيد لله ﷻ والبعث يوم القيامة بمظاهر القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء، ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كلِّ شيءٍ خلقه الله ﷻ.(٤)

٤- الدَّلالة القاطعة على قدرة اللهﷻ ورحمته بعباده، حيث أوجد هذه السَّماء الواسِعة التي تعتبر الأرض بما فيها كحلقةٍ في فلاة بالنسبة لها، فهي تحوى مئات الملايين من النجوم المضيئة المتناثرة في أرجائها. وقد أوجد اللهﷻالأرض؛ لتكون موطنًا للإنسان، ومنزلًا لراحته لئلا يشقى فيها، وإنَّ في كلِّ هذا لتذكرةٌ من شأنها أن تدعو السَّامعين إلى التَّدبر في عظمة الله وآلائه والاعتراف بها والتدبر بقوله: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ**

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٥٩.
(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٤).
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤].(١)

٥- ظاهرة الزَّوجية في الكون والموجودة في الذَّرَّة انبهر لها العقل الإنساني، وهي مما سبق إليه القرآن الكريم وقرره في غير موضع منه: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾.[يس: ٣٦]. فدلَّ هذا قطعًا على أنَّ القرآن وحي الله وأنَّ مَنْ أوحى به إليه وهو محمد بن عبد الله لن يكون إلَّا رسول الله ﷺ.(٢)

٦- إنَّ الآية الكريمة ﴿ **وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾تشير إلى أنَّ التوسعة مستمرةٌ على الزمن، وهو ما أثبته العلم الحديث، وعُرف بنظرية التَّمدُّد، والتي أصبحت حقيقةٌ علميةٌ في أوائل هذا القرن، أشار إليها القرآن الذي أُنزل على النبي الأمي ﷺ، منذ أربعةَ عشر قرنًا.(٣)

٧- إنَّ المعنى الذي يتفق مع الواقع ومدلول الآيات معًا، يمكن أن يراد بالسماء هنا المعنى الظاهر من كلمة السماء، وهو الفضاء الواسع الرحب بما فيه من النجوم وغيرها، والمراد بموسعين أن الله ﷻ يزيد الفضاء اتساعًا باستمرارٍ وعلى مدى الأيام.

قال أهل الاختصاص في علم الفلك: إنَّ الفضاء يتمدد بين المجرات باستمرار، وإن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ نحو عشرة أضعاف حجمه منذ بداية تمدده، وإنَّ متوسط البعد بين المجرات بعضها مع بعض يبلغ نحو مليون ونصف من السنين الضوئية، مع العلم أن الضوء يقطع ستة ملايين من الأميال في سنة واحدة. وإنه قد عُلم بواسطة المراصد الكبرى إن بين النجوم مسافات سحيقة تقدر بنحو خمسمائة مليون سنة ضوئية، وإنه قد أُحْصي من المجرات نحو مائة مليون مجرة، وأنَّه يحتمل وجود مجراتٍ أخرى على مسافات أبعد.(٤)

٨-إنَّ العلم الحديث يقول أنَّ الكرة الأرضية ليست وحدها تتضخّم وتثقل على أثر جذب المواد السماوية تدريجًا، بل السماء أيضًا في اتّساع دائم، أي أنّ بعض النجوم المستقرّة في المجرّات تبتعد عن مركز مجرّاتها بسرعة هائلة حتّى أنّ هذه السرعة لها أثرها في الاتساع في كثير من المواقع. وأنَّ أقصى سرعة لابتعاد النجوم عن مركزها حتى الآن ستة وستون ألف كيلومتر في الثانية، والمجرَّات التي هي أبعد منها من الصعب تحديد سرعتها، والصور الملتقطة من السَّماء

---

(١) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٢٧) بتصرف.

(٢) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٦٩-١٧٠).

(٣) انظر: عبد الله شحاتة، تفسير القرآن الكريم (ج١٤/٥٤١٤).

(٤) انظر: محمد جواد مغنية، الكاشف (ج٧/١٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدلُّ على أهميّة هذا الكشف، وأنَّ الفاصلة ما بين هذه المجرَّات تتَّسع أكثر من المجرّات القريبة منّا بسرعة. (١)

٩- ينبغي على الإنسان أن يتعظ ويتذكَّر ويتدبَّر آيات الله ﷻ الكونية والشرعية، وقد مدح الله ﷻ الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض بقوله: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[آل عمران:١٩٠- ١٩١].

١٠- لقد تحققت آيةٌ كونيةٌ في الآية القرآنية ﴿ **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾.

فإنَّ من الأزواج ما هو ظاهرٌ مشاهدٌ معلومٌ من قديمٍ مثل: السَّماء والأرض، واللَّيل والنهار، والذَّكر والأنثى في الحيوان وبعض النبات.

ومنها ما كشفه العلم بما مهَّد الله له من أسبابٍ كالجزء الموجب والجزء السالب في القوة الكهربائية. وفي الذرة التي هي أصل التكوين، فلا فردية إلَّا لخالق هذه الأزواج كلها، الذي أنبأنا بها قبل أن تصل إلى تمام معرفتها العقول، فكان من معجزات القرآن العلمية التي يفسِّرها الزمان بتقدم الإنسان في العلم والعمران.(٢)

❖ **المطلب الثاني: اللُّجوء إلى الله ﷻ وتجنب الشِّرك.**

قال الله تعالى: ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)**﴾ [الذاريات:٥٠-٥١].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بيَّن ضلال المشركين في تكذيبهم بالبعث بياناً بالبرهان الساطع، ومثَّل حالهم بحال الأمم الذين من قبلهم في التكذيب بالرسل، وما جاءوا به جمعاً بين الموعظة للضالين وتسلية الرسول

---

(١) انظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل (ج١٧/١٢١-١٢٢).

تنويه: قد استعنت بالمرجعين السابقين [واني أعلم أنهما من كتب الشيعة] لما وجدت فيهما من توضيحات وإرشادات بيانية وعلمية وثقافية، ولطائف وفوائد لم أجدها في كتب أهل السنة، وقد اقتصرت في الاقتباس على اللطائف والفوائد المستنبطة من الآيات، دون الخوض في أصول الدين والعقيدة. مع العلم أن المؤلف الشيرازي يستعين بكتب أهل السنة من التفاسير والفقه والحديث واللغة، فوجدت أنها قريبة إلى أهل السنة لما فيها من الاعتدال والرواية عن أهل السنة.

(٢) انظر: ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (١/٣٥٩-٣٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷺ والمؤمنين، وكانت فيما مضى من الاستدلال دلالة على أن الله متفرد بخلق العالم وفي ذلك إبطال إشراكهم مع الله آلهة أخرى، وفي ظل هذه اللمسات القصيرة العبارة الهائلة المدى: في أجواز السماء، وفي آماد الأرض، وفي أعماق الخلائق يهتف بالبشر ليفروا إلى خالق السماء والأرض والخلائق، متجردين من كل ما يثقل أرواحهم ويقيدها موحدين الله الذي خلق هذا الكون وحده بلا شريك، ويدعوهم إلى الرجوع إليه بقوله: ﴿ **ففروا إلى الله..**﴾.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ** ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ففروا من الله إلى الله، ويقال من معصية الله إلى طاعة الله، ويقال من طاعة الشَّيطان إلى طاعة الرَّحمن ".(٢)

والفرار: الهُروب، أي سرعة مفارقة المكان تجنبًا لأذىً يلحقه فيه، ويقال: مَنْ صحَّ فراره إلى الله صحَّ قراره مع الله. ويجب على العبد أن يفرَّ من الجهل إلى العلم، ومن الهوى إلى التّقى، ومن الشّكّ إلى اليقين، ومن الشيطان إلى الله.(٣)

وعليه فإنَّ الفرار يأتي بمعنى: الرجوع، والالتجاء، والاعتصام بالله ﷻ، وسرعة التوبة، والإياب إلى الله ﷻ.

٢- ﴿ **نَذِيرٌ مُبِينٌ** ﴾ النذير: هو المعلم بما فيه هلاك لنجتنب الأسباب المؤدية إليه، والمبين: الذي يوضح ما أنذر منه والأسباب المؤدية إليه، والوسائل المنجية منه، مع إقامة الحجة على صدقه ونصحه.(٤)

والنبي ﷺ هو المنذر صاحب البرهان الواضح الذي لا شكّ فيه.

٣- ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ أي: ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخر سواه، فإنَّه لا معبودٌ تصلح له العبادة غيره.(٥)

وهذا نهيٌ مفاده الالتزام بهذا الأمر (النهي) بشتَّى أنواعه؛ لأنَّ عاقبة الشرك تهدي إلى الوقوع في عقاب الله عاجلًا أم آجلًا.

---

(١) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٨٦)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨-١٩).
(٢) ابن عباس، تفسير ابن عباس (ص:٤٤٢).
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨-١٩)، القشيري، لطائف الإشارات (ج٣/٤٦٩).
(٤) انظر: ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ج١/٣٦٠).
(٥) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٤١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، ليعلم أنَّ الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أنَّ العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنَّه لا يفوز عند الله إلَّا الجامع بينهما.(١)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

٢- ﴿ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ الجملة تعليلٌ للأمر بـ﴿ فَفِرُّوا إِلَى الله ﴾ وقوله: (مِنه) صفةٌ لـ(نذير) قدمت على الموصوف فصارت حالًا. وحرف (مِنْ) للابتداء المجازي، أي مأمورٌ له بأن أبلغكم.(٢)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- قوله:﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أمرٌ بالدخول في الإيمان وطاعة الله، وجعل الأمر بذلك بلفظ الفرار، لينبِّه على أنَّ وراء الناس عقابٌ وعذاب. وأَمْرٌ حَقُّهُ أنْ يفرَّ منه، فجُمعت لفظة (ففروا) بين التَّحذير والاستدعاء.(٣)

قال ابن عاشور- رحمه الله -: " والأنسب بالسياق أنَّ الفرار إلى الله مستعارٌ للإقلاع عن ما هم فيه من الإشْراك وجحود البعث، وفيه استعارةٌ تمثيليةٌ بتشبيه حال تورطهم في الضَّلالة بحالِ مَنْهو في مكانٍ مخوف يدعو حاله أن يفرَّ منه إلى من يجيره، وتشبيه حال الرسول ﷺبحال نذير قومٍ بأنَّ ديارهم عرضةً لغزو العدو فاستعمل المركب وهو ﴿ فِرُّوا إِلَى الله ﴾ في هذا التمثيل ".(٤)

ومما ينبغي الإشارة له أنَّ لفظ (فروا) أمرٌ بالإسراع في المشي أو العدو من شيءٍ إلى شيءٍ؛ للتمكن من النجاة من شيءٍ فيه شرٌ إلى آخرٍ فيه النجاة والطمأنينة على النفس.

٢- في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ نهيٌ موجبٌ للفرار بعد الأمر بالفرار إليه ﷻ، فجمع بين الأمر والنهي مبالغة في التأكيد بنفي الضد لإثبات ضده.(٥)

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٥).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠).

(٣) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج٩/٥٦٠).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩).

(٥) المرجع السابق ص٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن تبين لكم أيها الناس أنَّه لا إله غير الله ولا معبود يستحق العبادة سواه، فهو خالقكم، وإنه يأمركم بالفرار إليه بالإيمان به وبطاعته وبفعل فرائضه وترك نواهيه، واهربوا إلى الله يا عباد الله بالإسلام إليه، والانقياد لطاعته، والجؤوا إليه، واعتمدوا عليه في جميع أموركم، واتبعوا أوامره، واعملوا بجدٍّ على طاعته، إني لكم منه نذير من عقاب شديد، ونذارتي بيِّنة لا شك فيها، وإني أنصح لكم أن لا تجعلوا مع الله إلهًا آخر ولا معبودًا غيره تعبدونه، ويجب عليكم أن تعتصموا بحبل الله، وإني أُنذركم شديدِ عقابه، وأحذركم أن تجعلوا معه ندًّا وشريكًا؛ لأنَّ الشرك به يحبط أعمالكم ويحرم عليكم الجنة، فلا تدخلوها أبدًا، فإنَّ العبادة لا تصلح لغيره، واعلموا أنِّي لكم منه ﷻ نذيرٌ مبينٌ، فبادروا بالتوبة قبل أن يحلَّ عليكم النَّدم يوم لا يغني النَّدم.(١)

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١- وجوب الدخول في الإيمان وطاعة الرحمن، ووجوب التوبة والرجوع إلى الله ﷻ، والوجل من عقابه بالتوحيد وملازمة الطاعة. ووجب الفرار إلى الله ﷻ؛ لأنَّ العَالِم بهذا الاعتبار شرٌّ وبلاءٌ وهلاك يجب الفرار والهروب منه، ولا يكون هذا الفرار منه إلا إلى خالقه بالإيمان به، والتصديق لرسله، والدخول تحت شرعه، فبذلك يعرف الإنسان كيف يجعل حدًا لأهوائه وشهواته، وكيف يضبطها بنطاق الشرع وزمامه، وكيف يدفع عنه كيد شيطانه، وكيف يتناول سماء العالم وأرضه، فيعرف ما فيها من نعمةٍ وحكمةٍ، فيستغلها بهداية الشرع مفرقًا علميًا وعمليًا بين منافعها ومضارها، فيعظم بها انتفاعه ويزداد فيها اطلاعه واكتشافه، فتتضاعف عليه منها الخيرات والبركات، ويزداد علمه وعرفانه، ويقوى يقينه وإيمانه، ويعظم لله بره وشكرانه، فيكون له ذلك العالم جنةَ الدنيا، وقنطرةً لجنَّةِ الأخرى، ويفوز من الدارين بالمبتغى.

كلُّ هذا بفراره من المخلوقات إلى خالقها، فسَلِمَ من شرها، وفاز بخيرها، فمَنْ هرب من المخلوقات إلى خالقها نجا، ومَنْ فرَّ من الخالق إلى شيءٍ مِن مخلوقاته كان مِن الهالكين.(٢)

٢- ضرورة الفرار من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن؛ لأنَّ الشيطان داعٍ إلى الباطل، والباطل مفاده إلى النار، واستحقاق العذاب من العظيم الجبَّار.

٣- وجوب توجُّه العباد إلى الله ﷻ بالمحبة والاستغراق وامتثال الأوامر وكسب السعادة، حتى

---

(١) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٩-١٠)، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٦٩) بتصرف.

(٢) انظر: ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ج١/٣٦١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتخلصوا من النقائص والشُّرود ويفوزوا بالخيرات ويصعدوا مصاعد القرب والكمال.[١]

٤- الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، لنعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أنّ العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنه لا يفوز عند الله ﷻ إلا الجامع بينهما، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنفَعُ نَفْسًا إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانها خَيْرًا** ﴾ [الأنعام: ١٥٨].[٢]

٥- التحذير من عبادة الأصنام والأنداد والشَّياطين، وكلُّ مدعوٍ من دون الله؛ ولأن الشرك بالله ﷻ ظلمٌ عظيمٌ، وذنبٌ كبيرٌ لا يغفر إلَّا بالتوبة النصوح لقوله:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾[النساء: ٤٨].

٦- إنَّ النبي ﷺ في حياته وبعد مماته بما تركه من بيانٍ وسنة، دائمُ الإنذار، بيِّنُ التَّخويف، يُنذر النَّاس من عقاب الله على الكفر والمعصية.[٣]

❖ المطلب الثَّالث: التَّهديد والوعيد بالعذاب لمن يكذِّب بالرَّسول ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)** ﴾.[الذاريات:٥٢-٦٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد بيان الأدلة على الحشر، وإثبات الوحدانية وعظيم القدرة الإلهية، وتذكير المشركين بإهلاك الأمم المكذبة السالفة، ولمَّا ذَكَرَ قولهم المختلف الذي منه تكذيب الرسول ﷺ ونسبته إلى السِّحر والجنون وغير ذلك من الفنون، ومنه الإشراك مع اعترافهم بأنه لا خالقٌ إلا الله، ولا كاشفٌ ضرٍ غيره، إلى غير ذلك من أنواع الاضطراب، وأخبر بهلاكهم على ذلك، وحذَّرهم منه ودلَّ عليه إلى أن ختم بإنذار من اتخذ إلهًا غيره قال مسليًا: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**..﴾ فبيَّن الله ﷻ أنَّ كلَّ رسولٍ كُذِّب، وكأنَّ التَّكذيب بين الأمم شيءٌ متواصى به من الجميع، والواقع أنَّهم قومٌ طُغاة تجاوزوا حدود الله ﷻ، لذا أمر النبي ﷺ بالإعراض عنهم، علمًا بأنهم خُلقوا لعبادة الله

---

(١) ينظر: المظهري، تفسير المظهري (ج٩/٨٩) بتلخيص.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٥).

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا لتحصيل المعايش والأرزاق، ثم خُتمت السورة بتهديد مشركي مكة بعذابٍ مماثلٍ لعذاب من قبلهم من الأمم السالفة، والعذاب واقعٌ بهم لا شكّ فيه، ولا مردّ له.(١)

ثانيًا: سبب النزول:

- قوله:﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ** ﴾ روى الطبري في تفسيره الجامع: أنَّه لمَّا نزلت هذه الآية، اشتدَّ على أصحاب رسول الله ﷺ، ورأوا أنَّ الوحي قد انقطع، وأنَّ العذاب قد حضر، فأنزل الله ﷻ بعد ذلك ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

وروى أيضًا:" لمَّا خرج عليٌّ معتجرًا ببردٍ(٢)، مشتملًا بخميصة، فقال: لمَّا نزلت ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ**﴾ أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول الله ﷺ أن يتولى عنَّا حتى نزل ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾".(٣)

ثالثاً: معاني الكلمات:

١- ﴿ **كَذَلِكَ** ﴾ أي: مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب بما له من الاضطراب وقع لمن قبلهم من الأمم الغابرة.(٤)

٢- ﴿ **أَتَوَاصَوْا بِهِ** ﴾ أي: أأوصى هؤلاء المكذّبين من قريش النبي ﷺ على ما جاءهم به من الحقّ أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم، بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم.(٥)

٣- ﴿ **قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ أي: يحملهم الطغيان فيما أعطوا من الدنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة. أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد في الظلم الكفر. والطاغي المستعلي في الأرض، المُفسد.(٦)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٧)، البقاعي، نظم الدرر (ج١٨/٤٧٨) بتصرف.

(٢) أي متقنعًا ببرده الذي هو رداؤه أو طيلسانه، والمعجر: ثوب تعتجر به المرأة، وما تلويه على رأسها، وهي ثياب معروفة باليمن.(انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج١١/٤٤٢).

(٣) الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٤٣).

(٤) الشربيني، السراج المنير (ج٤/١٠٦).

(٥) المرجع السابق، ص٤٤١.

(٦) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج٤/١٧٣)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٨٠)، الثعالبي، الجواهر الحسان (ج٥/٣٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ** ﴾ أي: فأعرض عن الذين كرَّرت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، وعرفت عنهم العناد واللجاج، فلا لومٌ عليك في إعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة، ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله.(١)

والتولي يأتي بمعنى: الإعراض، وبمعنى الإتباع، والموالاة: المتابعة.

واللَّوْم: المَلامةُ وهو كلامٌ ثقيلٌ على سامعه. والفعلُ: لامَ يَلومُ، ورَجُلٌ مَلُومٌ ومَليم: قد استحقَّ اللَّوْم. واللَّوْماءُ: المَلامةُ، واللاَّمة: الأمرُ الذي يُلام عليه الإنسان.(٢)

٥- ﴿ **وَذَكِّرْ** ﴾ أي: وعِظْ بالقرآن ودُمْ على الموعظة والنصيحة والدعوة إلى الهدى والرشاد من آمن من قومك، فإنَّ الذِّكرى تنفع من كان في علم الله أنَّه يؤمن. وقيل: ذكِّرهم بالعقوبة وأيام الله.(٣)

٦- ﴿ **فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ قال الرازي – رحمه الله –: "معناها يحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يراد قوةُ يقينهم حتى يزدادوا إيمانا. كما قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾[التوبة: ١٣٤].

ثانيها: تنفع المؤمنين الذين بعدك، فكأنك إذا أكثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر، فينتفع به من يجيء بعدك من المؤمنين.

ثالثها: هو أنَّ الذِّكرى إن أفاد إيمانُ كافرٍ فقد نفع مؤمنًا؛ لأنَّه صار مؤمنًا، وإن لم يفد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا، وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا** ﴾[الزخرف: ٧٢] ".

٧- ﴿ **ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ** ﴾ قال الفرَّاء: " الذنوب في كلام العرب: الدَّلو العظيمة ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصيب والحظِّ، وأيضًا هي الدَّلو العظيمة، وهو السَّجل أيضًا إذا مُلئت أو قاربت الملء.(٤)

وإنَّما أريد بالذنوب في هذا الموضع: الحظّ والنصيب وبذلك أتى التفسير: فإنَّ للذين ظَلموا حظًّا من العذاب، كما نزل بالذين من قبلهم ".(٥)

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٥).

(٢) انظر: الفراهيدي، العين (ج٨/٣٤٣)، ابن فارس، مقاييس اللغة (ج٥/٢٢٢) بتلخيص.

(٣) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١١٠).

(٤) الفرَّاء، معاني القرآن (ج٣/٩٠)، الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٤٧).

(٥) الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: وجوه الإعراب:

١-﴿ **كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ الكاف في (كذلك) في موضع رفع، لأنَّها خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الأمر كذلك.(١)

قال الزمخشري: " ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بـ(يأتي)؛ لأنَّ ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. ولو قيل: لم يأتِ، لكان صحيحاً، على معنى: مثل ذلك الإتيان لم يأت من قبلهم رسول إلا قالوا (أَتَوَاصَوْا بِهِ) ".(٢)

٢- ﴿ **ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ نعتٌ للرزاق، أو لذو، أو خبرٌ بعد خبر، أو خبرٌ لمضمرٍ، أو نعتٌ للقوة.(٣)

٣- ﴿ **مِنْ يَوْمِهِمُ** ﴾ (مِنْ) للابتداء المجازي، أي سوء حال بترقبهم عذابًا آتيًا من اليوم الذي أوعدوه.(٤)

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **مِنْ رَسُولٍ** ﴾ وزيادة (مِنْ) للتنصيص على إرادة العموم، أي أن كل رسول قال فيه فريق من قومه: هو ساحرٌ، أو مجنونٌ، أي قال بعضهم: ساحرٌ، وقال بعضهم: مجنونٌ.(٥)

٢- ﴿ **إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ الاستثناء في الآية هو استثناء من أحوال محذوفة. والمعنى: ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ في حالٍ من أحوال أقوالهم إلَّا في حال قولهم: ساحرٌ أو مجنون. والقصر المستفاد من الاستثناء قصرٌ ادّعائي، لأنَّ للأمم أقوالًا غير ذلك وأحوالًا أخرى، وإنَّما قُصروا على هذا اهتمامًا بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان، إذ يرمون أعقل الناس بالجنون وأقومهم بالسحر.(٦)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٥).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٥).

(٣) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٥٤).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠).

(٥) المرجع السابق، ص٢١.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣-﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ إنكارٌ وتعجيبٌ من حالهم وإجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة، التي لا تكاد تخطر ببال أحدٍ من العقلاء، فضلًا عن التفوه بها، أي أَأَوْصَى بهذا القول بعضهم بعضًا حتَّى اتفقوا عليه.(١)

قال ابن عاشور– رحمه الله-: " الاستفهام مستعملٌ في التعجيب من تواطئهم على هذا القول على طريقة التشبيه البليغ، أي كأنهم أوصى بعضهم بعضًا بأن يقولوه. فالاستفهام هنا كناية عن لازمه وهو التعجيب؛ لأنَّ شأن الأمر العجيب أن يسأل عنه ".(٢)

٤-﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ إضراب عن أن التواصي جامعهم إلَّا أنَّ الجامع لهم على ذلك القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه، والدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة، لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم.(٣)

والآية الكريمة كلها استئنافٌ بياني؛ لأنَّ تماثل هؤلاء الأمم في مقالة التكذيب يثير سؤال سائل عن منشأ هذا التشابه.(٤)

٥-﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ استئنافٌ مؤكدٌ للأمر مقررٌ لمضمون تعليله، فإن كون خلقهم مُغيًا بعبادته ﷻ مما يدعوه عليه ﷺ إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ. واللام في (ليعبدون) لام العلة، أي: ما خلقتهم لعلة إلا علة عبادتهم إياي، والتقدير: لإرادتي أن يعبدون.
وتقديم الجن في الآية للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن، ليعلموا أن الجن عباد لله ﷻ.(٥)

٦- قوله: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ كنايةٌ عن عدم الاحتياج إليهم؛ لأنَّ أشد الحاجات في العرف حاجة الناس إلى الطعام واللباس والسكن، وإنما تحصل بالرزق وهو المال، فلذلك ابتدىء به، ثم عُطف عليه الإطعام، أي إعطاء الطعام؛ لأنه أشد ما يحتاج إليه

---

(١) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٤).
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٢).
(٣) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٤)، الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٢٠).
(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٢).
(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ص ٢٥-٢٨ ، أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البشر وقد لا يجده صاحب المال إذا قحط الناس فيحتاج إلى من يطعمه الطعام.. وفي هذا تعريضٌ بأهل الشرك إذ يُهدون إلى الأصنام الأموال والطعام تتلقاه منهم سدنة الأصنام.[١]

وأيضًا فيها إطنابٌ بتكرار فعل (أريد) للمبالغة والتأكيد.[٢]

٧-﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ تشبيهٌ مرسلٌ مجمل، لأنه حذف منه وجه الشبه، أي نصيبًا من العذاب مثل نصيب أسلافهم المكذبين في الشدة والألم.[٣]

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر المولى ﷻ أن هؤلاء المشركين في قولٍ مختلفٍ مضطربٍ لا يلتئم بعضه مع بعض، فبينما هم يقولون: خالق السموات والأرض هو الله، إذا بهم يعبدون الأصنام والأوثان، وتارةً يقولون: إن محمدًا ساحر، وتارةً أخرى يقولون: إنه كاهنٌ.. فقفَّى على ذلك بأن ذكر أن قومه ليسوا بدعًا في الأمم، فكما كذبت قريش نبيها فعلت الأمم التي كذبت رسلها، فأحلَّ الله بهم نقمته وسخطه كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمود، ثم عجب من حالهم وقال: أتواصى بعضهم مع بعض بذلك؟ ثم قال: لا بل هم قومٌ طغاةٌ متعدُّون حدود الله، لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه، ثم أمر رسوله أن يُعرض عن جدلهم ومُرائهم، فإنَّه قد بلَّغ ما أُمر به، ولم يقصِّر فيه، فلا يلام على ذلك، وأن يذكِّر مَنْ تنفعه الذكرى ولديه استعدادٌ لقبول الإرشاد والهداية، ثم أردف هذا أن ذكَّر أنه ما خلق الجن والإنس؛ إلَّا ليأمرهم ويكلفهم بعبادته وحده، والخضوع والانقياد لأمره، وهذا كلام جديدٌ مستأنفٌ لتقرير وتأكيد الأمر بالتَّذكير، فإنَّ خلقهم للعبادة يستدعي دوام التذكير بها.[٤]

وحكمة تقديم الجن على الإنس أن عبادتهم سريةٌ لا يدخلها الرياء كعبادة الإنس، ولا حاجة إليهم في تحصيل رزقٍ ولا إحضار طعام، فالله هو الرزاق ذو القوة المتين.

ثم ختم السورة بتهديد أهل مكة بأنَّه سيصيبهم من العذاب مثل ما أصاب من قبلهم من الأمم السالفة، فأولى لهم ألَّا يستعجلوه بقولهم: ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾[يونس: ٤٨]، فقد حقت عليهم كلمة ربك في اليوم الذي يوعدون، وسيقع عليهم من العذاب وهو الويل، الذي هو وادٌ في جهنم يسيل بصديد أهل النار، والذي لا مردَّ له، ولن يجدون له دافعا.[٥]

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٨).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٥).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/١١-١٢)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٨) بتصرف.

(٥) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/١١-١٢)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٤٨) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١- بيان سُنَّةٌ بشريةٌ وهي التكذيب والاتهام بالباطل وقلب الحقائق لكل من جاءهم يدعوهم إلى خلاف مألوفيهم، وما اعتادوه من باطلٍ وشرٍ، فيدفعون بالقول فإذا أعياهم ذلك دفعوا بالفعل وهي الحرب والقتال.(١)

٢- إنَّ تكذيب الرسل شأن الأمم قديمها وحديثها، فكما كذبت قريشًا نبيها ﷺ، وقالوا: ساحرٌ أو مجنون، كذَّب من قبلهم من الأمم الغابرة رسلهم، وقالوا مثل قولهم، وكأن أولهم أوصى آخرهم بالتكذيب، والتواطؤ عليه، والواقع ليس كذلك، فلم يوصِ بعضهم بعضا، بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الكفر، والغرض من الخبر تسلية النبي ﷺ عمَّا يلقاه من صدود قومه عن دعوته.(٢)

٣- كشفت الآيات الكريمة طبيعة المجرمين وفضحت نفسية المشركين المكذبين في التعامل مع دعوة الحق والدعاة، وكأن الأولين أورثوا جحودهم للآخرين في تكذيبهم وصدودهم عن سبيل الله.

٤- يجب على الدعاة ألا يغتروا بالطاعة والعبادة، ولا بالإنجازات الدعوية، وعليهم استشعار الحاجة إلى عون الله وتوفيقه الذي كان السبب الأول في ثباتهم ودعوتهم.

٥- سنة الكافرين والمكذبين تشتيت الدعاة عن توصيل فكرتهم للمدعوين بإثارة الشبهات والطعون، وعلاج ذلك بالإعراض عنهم، وعدم التأثر بهم، وعليهم السير بخطى واثقة نحو الأهداف والغايات المرجو تحقيقها.

٦- أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالإعراض عن جدال قومه، وطمأنه ربه بأنه غير ملوم. ولا مقصر، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وإنما هم الملومون بالإعراض والعناد. وهذه تسلية أخرى، لأن النبي ﷺ كان من كرم أخلاقه وشدة حساسيته ينسب نفسه إلى تقصير في التبليغ، فيجتهد في الإنذار والتبليغ.(٣)

٧- أمر الله ﷻ النبيﷺ بمتابعة التذكير، فإنه ينفع المؤمنين، وهم من علم الله سابقًا أنهم يؤمنون ويطيعون، وغاية التذكير: توجيه الناس إلى عبادة الله وتوحيده والإخلاص له، فلم يخلق

---

(١) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٧٢).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٠).

(٣) انظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله الخلق إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة، فيكون التذكير بها ضروريًا، والإعلام بأن كل ما عداها تضييع للزمان، وفائدة العبادة: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله ﷻ. ثم إن مهمة الأنبياء منحصرةٌ في أمرين: عبادة الله، وهداية الخلق. وهناك غرضٌ ثالثٌ آخر وهو بيان سوء صنيع الكفار، حيث تركوا عبادة الله، مع أن خَلْقَهم ما كان إلا للعبادة.(١)

٨- احتوت الآيات الكريمة تنديدًا لاذعًا للكفار، وتطمينًا وتثبيتًا للنبي ﷺ، واحتوت تنويهًا للمؤمنين وذوي النيات الحسنة والرغبة الصادقة، فهم الذين ينتفعون بالتذكير والإرشاد والموعظة، فيزداد به إيمانهم، وفي هذا تلقينٌ جليلٌ لدعاة الإصلاح والمرشدين، فعليهم أن يستمروا في الدعوة ولا ييأسوا من بطء استجابة الناس لدعوتهم، وإن دعوتهم لمؤثرة نافعة حتمًا في أصحاب النفوس الطيبة والنوايا السليمة.(٢)

٩- بيان غنى الله ﷻ عن عباده، وعدم احتياجه إليهم بأي حال من الأحوال مصداقًا لقوله:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ [فاطر: ١٥]، فلم يكن خلق الناس للعبادة لحاجة من الخالق، فالله ﷻ غني عن عبادة العباد، ولم يكن خلقهم للتسخير للخدمة في توفير الطعام والشراب أو حفظه، كما يفعل السادة مع العبيد، وهو سبحانه الرزاق الذي يرزق غيره، وهو القدير الشديد القوي، الذي لا يتقوى بأحد. وقوله: (هو الرزاق) تعليلٌ لعدم طلب الرزق، وقوله: (ذو القوة) تعليلٌ لعدم طلب العمل، لأنَّ من يطلب رزقًا، يكون فقيرًا محتاجًا، ومن يطلب عملاً من غيره، يكون عاجزًا لا قوة له.(٣)

١٠- إن اعتراف الخلق بوحدانية الله يَقْشَع تكذيبهم بالرسول ﷺ؛ لأنهم ما كذَّبوه إلا لأنه دعاهم إلى نبذ الشرك الذي يزعمون أنه لا يسع أحدًا نبذه، فإذا انقشع تكذيبهم استتبع انقشاعُه امتثال الشرائع التي يأتي بها الرسول ﷺ إذا آمنوا بالله وحده أطاعوا ما بلَّغهم الرسول ﷺ عنه، فهذا معنى تقتضيه عبادة الله بدلالة الالتزام.(٤)

١١- تكاليف الله للعباد على ألسنة الرسل ما أراد بها إلا صلاحهم العاجل والآجل، وحصول الكمال النفساني بذلك الصلاح، فلا جَرم أنَّ الله أراد من الشرائع كمال الإنسان، وضبط نظامه الاجتماعي في مختلف عصوره. وتلك حكمة إنشائه، فاستتبع قوله: (إلَّا ليعبدون) أنه ما خلقهم

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٠-٥١).

(٢) انظر: دروزة، التفسير الحديث (ج٥/٤٢) بتصرف.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٠-٥١).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا لينتظم أمرهم بوقوفهم عند حدود التكاليف التشريعية من الأوامر والنواهي، فعبادة الإنسان ربَّه لا تخرج عن كونها محقِّقة للمقصد من خَلقه وعلّةً لحصوله عادةً.(١)

١٢- العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ..**﴾ عامة: بل المراد بها المؤمنون من الفريقين.دليله:

- السياق ﴿ **وَذَكِّرْ فإنّ الذِّكْرىَ تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ** ﴾.
- قراءة ابن عباس ﷺ: (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين).

وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة؛ لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة، فلا بد أن توجد منهم، فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنم كما قال: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجن والإنس** ﴾ [الأعراف:١٧٩].(٢)

أقوال العلماء في معني الآية الكريمة:

- قال علي ﷺ: إلَّا لآمرهم بالعبادة.
- وقيل: إلَّا ليكونوا عبادًا لي.
- والوجه: أن تحمل العبادة على التوحيد.

فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما:" كل عبادةٍ في القرآن فهي توحيدٌ والكل يوحدونه في الآخرة لما عرف أن الكفار وكلهم مؤمنون موحدون في الآخرة. **دليله:** قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ والله رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام: ٢٣]، نعم قد اشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأبد اقل من يوم".(٣)

١١- لم يذكر الله ﷻ الملائكة مع الثقلين في تكليفه للعبادة مع أنهم من أصناف المكلفين وعبادتهم أكثر من عبادة غيرهم من المكلفين، قال ابن عادل(٤): " أن السبب في ذلك لعدة وجوه:

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٧).

(٢) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٨٠).

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقيّ، أبو حفص، سراج الدين: صاحب التفسير الكبير " اللباب في علوم الكتاب" توفي بعد ٨٨٠ هـ. (انظر، الزركلي، الأعلام (ج٥/٥٨)).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **أحدها:** أنَّ الآية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له، وهذا مختص بالجنِّ والإنس، لأنَّ الكفر موجودٌ فيهما دون الملائكة.
- **ثانيها:** أنَّ النبيّ ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن والإنس فلما قال تعالى: (وذكر) بيَّن ما يذكِّر به، وهو كون الخلق للعبادة، وخصَّص أمته بالذكر أي: ذكر الجنّ والإنس.
- **ثالثها:** أنَّ عُبَّاد الأصنام كانوا يقولون: إنَّ الله ﷻ عظيم الشأن، خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدونه وخلقهم لعبادته، ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله كما قالوا ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر: ٣]. فقال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون** ﴾ ولم يذكر الملائكة؛ لأنَّ الأمر فيهم كان مسلمًا من القوم فذكر المنازع فيه.[١]

---

(١) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج١٨/١٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الطور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الطور

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الطور

❖ أولًا: أسماء سورة الطور وترتيبها وعدد آياتها.

سورة الطور سورةٌ مكية، كسائر السور المكية التي تتميز بطابع القرآن المكي، حيث احتوى الحديث بين آياتها عن أصول الدين العامة وهي التوحيد، والرسالة، والبعث، والجزاء، وذكر قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وبيان حال المؤمنين والكفار يوم القيامة، والحديث عن نعيم أهل الجنة، وما أعده الله لهم في هذه الجنة.

وفيما يلي تعريفٌ عامٌ بالسورة من خلال ما يلي:

١- تسميتها:

سُميت سورة الطور في المصحف، وذكر اسمها في السنة المطهَّرة بهذا الاسم، أو قرن معها حرف الواو أي (والطور) ولم أجد لها اسمًا آخرًا في كتب التفسير وكتب السنة، والذي يتضح للباحث أن اسمها توقيفي، ولم يعرف لها اسمٌ غير ذلك.

ووجه تسميتها بهذا الاسم؛ لافتتاح السورة بذكر اسم الجبل الذي كلم الله ﷻ عليه موسى عليه السلام، وقد سميت السورة باسم جبل الطور تكريمًا وتشريفًا لهذا الجبل، وبيان مكانته الجليلة على سائر الجبال.(١)

٢- ترتيبها:

سورة الطور هي السورة الخامسة والسبعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة نوحٍ وقبل سورة المؤمنين، وهي السورة الثانية والخمسون في ترتيب المصحف الشريف.(٢)

٣- عدد آياتها:

وهي أربعون وسبع آيات في عدد أهل الحجاز، وثمانٍ في عدد البصريين، وتسعٍ في عدد الكوفيين والشاميين، وكلماتها ثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وحروفها ألف وخمسمائة حرف.(١)

---

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١١٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج١٧/٥٨) بتصرف.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٣٥) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختلافها آيتان ﴿ **وَالطُّور** ﴾ لم يعدها أهل الحجاز، وعدها الباقون. وآية ﴿ **إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا** ﴾ عدها الكوفي والشامي ولم يعدها الباقون. وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدودًا بإجماع موضعٍ واحدٍ وهو قوله تعالى: ﴿ **يوم يدعون** ﴾.(٢)

❖ ثانيًا: مكان نزول السورة:

سورة الطور سورةٌ مكية باتفاق العلماء، وقد أُضفي عليها طابع القرآن المكي في الحديث عن يوم القيامة وأهواله، وذكر الأمم السابقة، وتفصيل الكلم عن الجنة والنار، وبيان قدرة الله ﷻ وجمال بديعه في خلقه للموجودات الحسية الغيبية، كل ذلك وغيره نجده في القرآن المكي.

❖ ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها:

١- فضائل السورة:

روى البخاري ومسلم عن أم سلمة - رضي الله عنها - " أنها سمعت رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت بالطور وكتاب مسطور".(٣)

وعن جبير بن مطعم ﷺ، قال: " سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ** ﴾ قال: كاد قلبي أن يطير".(٤)

٢- جو نزول السورة:

أما بالنسبة لجو نزول السورة، فسورة الطور كما أسلفت سورة مكية، وقد نزلت بعد سورة السجدة المكية، وقد أخذت طابعها في الخطاب القرآني الذي يرسِّخ العقيدة في قلوب المؤمنين، من ذكرٍ للبعث والحساب والجزاء والإيمان بالله ﷻ ورسوله ﷺ.

---

(١) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان (ج٩/١٢٣)، أبو عمرو الداني، البيان في عد آي القرآن (ج١/٢٣٣).

(٢) انظر: أبو عمرو الداني، البيان في عد آي القرآن (ج١/٢٣٣).

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة / باب ادخال البعير في المسجد للعلة (ج١/١٠٠) رقم الحديث: ٤٦٤]، [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحج / باب جواز الطواف على بعير وغيره، واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب (ج٢/٩٢٧) رقم الحديث:١٢٧٦].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن / باب قوله:﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ﴾[ق: ٣٩]، (ج٦/١٤٠) رقم الحديث:٤٨٥٤].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سيد قطب –رحمه الله–: " هذه السورة تمثل حملةً عميقةَ التأثير في القلب البشري، ومطاردةً عنيفةً للهواجس والشكوك والشبهات والأباطيل التي تساوره وتتدسس إليه وتختبئ هنا وهناك في حناياه، ودحضٌ لكل حجةٍ وكل عذرٍ قد يتخذه للحيدة عن الحق والزيغ عن الإيمان. حملةٌ لا يصمد لها قلبٌ يتلقاها، وهي تلاحقه حتى تلجئه إلى الإذعان والاستسلام! وهي حملةٌ يشترك فيها اللفظ والعبارة، والمعنى والمدلول، والصور والظلال، والإيقاعات الموسيقية لمقاطع السورة وفواصلها على السواء، ومن بدء السورة إلى ختامها تتوالى آياتها كما لو كانت قذائف، وإيقاعاتها كما لو كانت صواعق، وصورها وظلالها كما لو كانت سياطًا لاذعةً للحس لا تمهله لحظة واحدة من البدء إلى الختام! ".[١]

❖ رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي:

المحور الذي تدور حوله هذه السورة الكريمة هو تقرير أصول الدين العامة، والتفكر بمخلوقات الله العظيمة الدالة على وجوده وقدرته تعالى في الخلق، والحديث عن أهوال يوم القيامة والاستعداد لهذا اليوم برفع الهمة والدعوة إلى عبادة الله وحده، وإيقاع العذاب بالمكذبين في الآخرة، وبيان حالهم وحال غيرهم من المكذبين والمشركين في النار، وتسفيه عقول كفار قريش الموصوفون بأهل الأحلام والنهى.

وهنا أوجز بعضًا من أغراض السورة العامة التي تناولتها السورة الكريمة وهي كالتالي:

١– التهديد بوقوع العذاب يوم القيامة للمشركين المكذبين بالنبي ﷺ فيما جاء به من إثبات البعث والحساب بالقرآن الكريم على لسانه.

٢– تحقيق وعيد المشركين ومقابلته بوعد المتقين في الجنة، وذكر شيءٍ من أوصاف الجنة ونعيم المؤمنين فيها.

٣– تحدي المشركين وأرباب الفصاحة والبلاغة بالإتيان بمثل القرآن الكريم في أسلوبه وروعة بيانه، وبيان العجز الحسي الذي أخرس البلغاء والفصحاء الذي أوصلهم إلى الطريق المغلق للعقول والألسن في مجابهة القرآن الكريم ومواجهة معجزة النبي محمد ﷺ.

٤– الحديث عن نعيم المتقين وما يتفكهون به في الجنان، وما ينالون من أصناف الإكرام والترحيب بهم على أبوابها، وما تقر به أعينهم من إلحاق ذريتهم بهم، ورفع درجتهم إليهم من غير نقصٍ في حسناتهم ودرجاتهم.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- تسفيه عقول المشركين وإعلان ضلالهم وسوء تقديرهم وتنبئهم بالأمور على ما كانوا يصفون أنفسهم وعقولهم بالرجاحة والاتزان، فقد خطَّأهم الله ووصفهم بالطغيان والعناد مع ظهور الحق لهم.

٦- حث النبي ﷺ على الاستمرار في الدعوة للناس كافة، والصبر على البلاء الذي قد يحل به ﷺ، وتطمينه بحفظ الله له ورعايته من كل ضررٍ وسوء، وعليه أن يتوجه بالعبادة لله وحده والمداومة على التسبيح والتحميد والذكر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (١-١٦).

❖ المطلب الأول: قَسَمُ الله ﷻ بمخلوقاته الدالة على كمال قدرته.

قال الله تعالى:﴿ **وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)**﴾ [الطور: ١-٦].

أولًا: مناسبة السورة لما قبلها:

كلتا السورتين (الذاريات والطور) مكية، فقد تشابهتا في الموضوع الرئيسي للسورة المكية وخصائص القرآن المكي وسماته، في تثبيت العقيدة في نفوس المسلمين وسبل نشر الدعوة الإسلامية، وكيفية مواجهة المعاندين والمتصدين للإسلام، فكان لا بدّ من التوجيه الإلهي للنبي ﷺ عبر هذه السورة.

ويتجلى للمتأمل مناسبة هذه السورة لسورة الذاريات من وجوهٍ عدة:(١)

١- تشابه الموضوع: فإن كلتا السورتين مكية، تضمنت الكلام عن التوحيد والبعث وأحوال الآخرة، والرسالة النبوية، وتفنيد معتقدات المشركين الفاسدة ودحضها.

٢- تماثل الابتداء والانتهاء: ففي مطلع كلٍ منهما وصف حال المتقين في الآخرة: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ [الذاريات: ١٥]،﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ** ﴾ [الطور: ١٧] وفي ختام كلٍ منهما صفة حال الكفار: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا..**﴾ [الذاريات: ٦٠]، ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ** ﴾ [الطور: ٤٢].

٣- اتحاد القسم بآية كونية. ففي سورة الذاريات أقسم الله ﷻ بالرياح الذاريات النافعة في المعاش، وفي سورة الطور أقسم الله ﷻ بالجبل الذي حظي بالنور الإلهي بتكليم موسى ﵇ وإنزال التوراة عليه لنفع الناس في المعاش والمعاد.

٤- تطابق الأمر للنبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين ومتابعة تذكير المؤمنين، ففي الذاريات: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ..**﴾ [٥٤]، ﴿ **وَذَكِّرْ..**﴾ [٥٥]، وفي الطور: ﴿ **فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ..**﴾ [٢٩]، ﴿ **فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ..**﴾[٤٥].

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **وَالطُّورِ** ﴾ الطور: هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى ﵇ وهو جبل بمدين(١) واسمه زُبير، والمعروف اليوم بذلك وهو ما بين مصر والعقبة.(٢)

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٢) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ أي: مكتوب، والسطر ترتيب الحروف المكتوبة، وهو متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة، وهو كتاب موسى ﷺ وهو التوراة لمناسبة ذكر الطور، وقيل الكتاب هو القرآن ونُكِّر؛ لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب، أو المنتسخ من اللوح المحفوظ، أو التوراة، أو هو الإنجيل والزبور، أو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، أو الصحف التي تعطى يوم القيامة للعباد بأيمانهم أو شمائلهم.(٣)

والذي يتضح للباحث.. أنَّ المراد بالكتاب هو التوراة؛ لمناسبة ذكر جبل الطور المرتبط بسيدنا موسى ﷺ.

٣- ﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ الرق: هو الجلد الرقيق الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الأعمال، والرَّقُّ: الورق المُعدَّة للكتب، وهي مرققةٌ؛ فلذلك سميت رَقًّا، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان، وقد نكِّرت للتعظيم والإشعار بأنهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس، والمنشور خلاف المطْويِّ، أي مفتوحٌ لا ختم عليه أو لائح.(٤)

٤- ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ أي: الضُّراح، وهو بيتٌ في السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة، رُوي أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون إليه أبداً وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار.(٥)

ثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺقال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: " **ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ** ".(٦)

---

(١) أرض بالشام على ساحل البحر الأحمر، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى ﷺ لسائمة شعيب ﷺ، وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب ﷺ، وهي في الطريق من مدينة النبي ﷺ إلى مصر وهي بين جبال شامخة متكاثرة..(ينظر: ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار (ص:٥٢٦)).

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج٤/١٧٥).

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج٩/٥٦٦)، النسفي، مدارك التنزيل (ج٣/٣٨٢)، الخطيب الشربيني، السراج المنير (ج٤/١١٠) بتصرف.

(٤) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج٥/١٥٢)، الثعالبي، الجواهر الحسان (ج٥/٣٠٩)، النسفي، مدارك التنزيل (ج٣/٣٨٢).

(٥) ينظر: النسفي، مدارك التنزيل (ج٣/٣٨٢).

(٦) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق / باب ذكر الملائكة، ١٠٩/٤: رقم الحديث ٣٢٠٧].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن كثير – رحمه الله– في تفسير ذلك: " يعني: يتعبدون فيه ويطوفون، كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت، هو كعبة أهل السماء السابعة؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وفي كل سماءٍ بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة ".(١)

٥- ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ** ﴾ أي: السماء المرفوعة، والمرتفعة من الأرض مقدار خمسمائة عام، وسميت سقفاً لكونه بمثابة السقف للأرض كما قال ﷻ: ﴿ **وَجَعَلْنَا السماء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأنبياء:٣٢].(٢)

٦- ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾ البحر: أي البحر المحيط بالكرة الأرضية، والمسجور المملوء، مشتقًا من السَّجر، وهو الملء والإمداد، فهو صفةٌ كاشفة، قُصد منها التذكير بحال خلق الله إياه مملوءًا ماءً دون أن تملأه أودية أو سيول، وقيل المسجور الموقد من قول تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ [التكوير: ٦].(٣)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

- ﴿ **وَالطُّورِ** ﴾ الواو للقسم للتأكيد وتحقيق الوعيد، وما بعده أقسامٌ جوابها: ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ﴾ [الطور:٧]، والواوات التي بعد الأولى عواطفٌ لا حروف قسمٍ. (٤)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ** ﴾ نكّر (كتاب) للتفخيم، أو للإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس.(٥)

٢- ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ** ﴾ تسمية السماء بالسقف على طريقة التشبيه البليغ.(٦)

و[مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان / باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، ١٤٩/١: رقم الحديث ١٦٤].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٧/٤٢٧-٤٢٨).

(٢) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٥١)، طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٣٨).

(٣) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٦)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٣٩)، ابن منظور، لسان العرب (ج٤/٣٤٥) ملخصًا.

(٤) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٢٨).

(٥) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٨٢).

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٩/٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: المعنى الإجمالي:

هذه السورة هي إحدى السور التي تبدأ بالقسم، القسم الذي يهدف لبيان حقيقة مهمة واقعة لا محالة، وهي يوم القيامة والمعاد والحشر والحساب. وتتجلى أهمية هذه السمعيات إلى درجة كبيرة، بحيث أن الله ﷻ أقسم بها في آيات مختلفة من القرآن العظيم، لبيان عظمة ذلك اليوم وتفخيمه.

قال الزحيلي: " فيقسم الله ﷻ بمخلوقاته الدالة على كمال قدرته في إيقاع العذاب بأعدائه دون أن يكون هناك دافع له عنهم، فيقول: ﴿ **وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ** ﴾ حيث أقسم الله ﷻ بجبل طور سيناء الذي فيه أشجار، تشريفًا له وتكريما، لما حدث فيه من حادثٍ عظيمٍ وهو تكليم الله ﷻ موسى عليه السلام فيه، وأنزل عليه التوراة التي كتبت بحروف منتظمة، في جلد رقيق مبسوط، وقد قُرن الكتاب بالطور؛ لنزوله على موسى عليه السلام وهو فيه، وهو مفتوحٌ ومنشورٌ إشارةٌ إلى الوضوح.

وأقسم الله ﷻ بالكعبة المشرفة التي تعمر بالحجاج والزوار والمجاورين الذين يقصدونها للعبادة والدعاء والتبرك بها، أو بالضُراح المعمور بالملائكة في السماء، وذلك لبيان رفعة وسمو ومكانة البيت المعمور بكلا معانييه.

وأقسم الرب جلا وعلا بالسماء العالية التي هي كالسقف للأرض وما حوتها من شمس وأقمار وكواكب ثابتة وسيارة وعوالم لا يحصيها إلا الله ﷻ.

وجاء القسم بالبحر المملوء ماءً، المحبوس عن الأرض اليابسة، والموقد نارًا كالتنور المحمّى الذي يتفجر بالنار الملتهبة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ [التكوير: ٦] فتسجَّر البحار يوم القيامة، فتكون نارا".(١)

وقرن السقف المرفوع بالبيت المعمور ليعلم شأن الكعبة، وأماكن شعائر الإسلام، وعظمة قدر النبي محمد ﷺ الذي ناجى ربه فيه قائلًا :"**لا أُحصِي ثَناءً عَليك أنتَ كَما أثنَيتَ على نَفسِك** "(٢). كما أن يونس عليه السلام كلّم الله ﷻ في البحر قائلًا: ﴿ **لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وتنكير الكتاب وتعريف باقي الأشياء لتعظيمه وشهرة معرفته، حتى إنه ما احتاج إلى تعريف، أما بقية الأشياء (البيت المعمور، السقف المرفوع، البحر المسجور) فاحتاجت إلى التعريف.(٣)

---

(١) الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٦-٥٧) بتصرف.

(٢) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة / باب ما يقال في الركوع والسجود، ١/٣٥٢: رقم الحديث ٤٨٦].

(٣) يراجع: الرازي، مفاتيح الغيب (٢٨/١٩٩) بتلخيص، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٦-٥٧) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- أقسم الله ﷻ بأشياء خمسة: هي الطور والكتب المنزلة، والبيت المعمور، والسقف المرفوع والبحر المسجور، تشريفًا لها وتكريما، والحكمة في اختيار الأماكن الثلاثة: وهي الطور، والبيت المعمور، والبحر المسجور هي كونها أماكن ثلاثة أنبياء محمد وموسى ويونس -عليهم الصلاة والسلام - الذين انفردوا فيها للخلوة بربهم، والخلاص من الخلق، ومناجاة الله وخطابه.[١]

٢- لله - جل وعلا - أن يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليلٌ على عظمته وحكمته وتقديره وتدبيره، فإنه ﷻ عندما يقسم لا يقسم إلا بعظيم، فهنا أقسم بخمسة أشياءٍ عظيمة، قد حملت عدة معاني في تفسيرها، بما يدل ذلك على الإعجاز المكنون في معاني هذه الأشياء التي تفتح أبواب البحث والاستقصاء في الوصول إلى التفسيرات والمعاني التي تحملها كل معجزة من هذه المعجزات.

٣- تقرير بعض الأمور السمعية التي لا سبيل لنا إلى إدراكها إلَّا من الصادق، كتقرير اللوح المحفوظ الذي كتب فيه أعمال العباد، وكتب به ما سيحدث في هذا العالم الدنيوي وصحائف الأعمال، وكشف الستار عن بيت في السماء معمورٍ بالملائكة الذين يعبدون الله ويسبحونه ويمجدونه ولا يَفْتُرُون عن عبادته، فهنا أطلعنا الله ﷻ على موضعٍ كريمٍ وبقعةٍ مباركةٍ طاهرةٍ، لها نظيرٌ في الأرض تُعمّر بالعُمَّار من الحجاج والمعتمرين والمصلين وغيرهم ألا وهي الكعبة المشرفة.

٤- بيان كمال قدرة الله ﷻ وحكمته في خلقه للمخلوقات وبديع صنعه، حيث خلق السماء بلا عمد نراها، وبسط الأرض وفرشها للأنام، وبلوغ الكمال أيضًا في خلق البحار، التي خلقها مكفوفةً عن الأرض حتى لا تغرق من عليها وتطغى عليهم.

٥- أن الماء يعد من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، فبقدرته عذَّب أقوامًا كثر في هذا الماء الذي يتحول إلى أمواجٍ عاتية تحمل الغضب من الرب ﷻ على من حُقَّ عليه العقاب، علاوةً على ذلك أن ماء البحار تتجمع في آخر الزمان فتسجِّر نار جهنم لتحرق الكفار والمكذبين، وهذا الذي ورد في قوله: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ [التكوير:٦].

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثاني: إيقاع العذاب بالكفار يوم القيامة.**

قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)** ﴾[الطور: ٧-١٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا أقسم بما يدل على نبوة موسى ﷺوثلَّث بما أشار إلى نبوة محمد ﷺ، وثنَّى بما هو مشترك بينهما، وكان الأول مع ذلك دالاً على استقرار الأرض، والثالث على صلاحيتها للسكنى، والثاني على الحافظ في ذلك، وربع بما كمل المنافع، وحذر من السقوط كما خوف بالأول من الخسف، وخمس بما دل على ما أريد بالأول من الاستقرار؛ لأنه لو كان ميل لانطلق البحر إلى جهته، أجاب القسم بقوله: ﴿**إِنَّ عَذَابَ**﴾ ولمّا كان سبحانه عظيم الإكرام له ﷺ، أضاف العذاب إلى صفة الإحسان والتربية الخاصة به، وأضاف الصفة إلى ضميره إيذانًا بأنَّه يريه في أمته ما يسره [(١)]، وناسب ذكر أهوال يوم القيامة من كسف السماء وبسِّ الجبال، وما سيقع بالمكذبين والفجرة من العذاب في الدنيا عند قيام الساعة، قبل وقوعه بهم يوم الآخرة.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **لَوَاقِعٌ** ﴾ أي: عذاب الله يوم القيامة للكفار كائنٌ ونازلٌ ومتحققٌ ومُحلٌّ بهم غير مفارقهم. والوقوع أصله: النزول من علو، واستُعمل مجازًا للتحقق وشاع ذلك.[(٢)]

٢- ﴿ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** ﴾ ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك، والدفع: إبعاد الشيء عن شيء باليد وأطلق هنا على الوقاية مجازاً بعلاقة الإطلاق ألا يقيهم من عذاب الله أحد بشفاعة أو معارضة.[(٣)]

إذن فإن عذاب الله الشديد واقعٌ بالكفار الفجار في الدنيا، وواقعٌ ومتلبسٌ بهم يوم القيامة لا محالة، ولن يجدوا من يدفع عنهم هذا العذاب، وأن هذا العذاب ليس منه واقٍ ولا عاصمٍ ولا ملجأ يلجئون إليه، وكل ذلك جزاءً لما اقترفت أيديهم وحصاد لألسنتهم التي كذبت الرسل واليوم الآخر.

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٦).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٠).

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٧/٤٣٠)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٠-٤١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** ﴾ أي: تدور كدوران الرَّحى مضطربة، ويموج بعضها في بعض.(١)

والمَوْر: له معانٍ عدة في اللغة: منه الجريان السَّريع، ويطلق على الغبار الذي تجري به الريح لكلِّ جهة أيضًا، وقد ورد في لسان العرب أنَّ المَوْر معناه: الحركة والذهاب والإياب، كما يطلق على الموج.(٢)

وعليه فإنَّ المور هو حركةٌ نشطةٌ ودورانٌ مقترنٌ بالذهاب والإياب والتموج، ولذلك فإن نظام الكون يضطرب ويختل، ويبدأ التفكك والانحلال، فتنشق السماء، وتسجَّر البحار، وتنسف الجبال، ويتغير هذا النظام إلى تمام الإنقراض والزوال، حتى يبدأ نظام جديد بإذن الله ﷻ.

٤- ﴿ **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** ﴾ أي تخرج الجبال بأوتادها إلى سطح الأرض فتكون مستوية باستوائها، فتدك هذه الجبال وتتفتت إلى حصيات صغيرة وتعدم من الوجود وتتلاشى.

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ﴾ الجملة من (إن)، واسمها (عذاب)، وخبرها (لواقع) جواب القسم لا محل لها من الإعراب.(٣)

٢- ﴿ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** ﴾ يجوز أن تكون الجملة خبرًا ثانيًا لـ(إن)، وأن تكون صفةً لـ﴿ **واقع** ﴾ أي: واقعٌ غير مدفوع، و﴿ **من دافع** ﴾ مبتدأ.(٤)

٣-﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** ﴾ ظرفٌ لواقعٌ مبينٌ لكيفية الوقوع والعامل في الظرف هو لواقع، أي يقع في ذلك اليوم.(٥)

٤- ﴿ **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** ﴾ هذه الجملة في محل جر معطوفة على سابقتها، و(سيرًا) مفعولٌ مطلق.

---

(١) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٨٣) بتدخل.

(٢) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج٢/٨٩١)، ابن منظور، لسان العرب (ج٥/١٨٦).

(٣) انظر: ياقوت، إعراب القرآن الكريم (ص:٤٤٤٩).

(٤) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٦٤) بتلخيص.

(٥) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٥) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** ﴾ ذكرت آنفًا أنَّ الدفع: هو إبعاد الشيء عن شيء باليد. وأُطلق هنا في الآية على الوقاية مجازًا بعلاقة الإطلاق ألَّا يقيهم من عذاب الله أحدٌ بشفاعةٍ أو معارضةٍ لا باليد ولا بغيرها.(١)

٢- تأكيد فعلي في قوله: ﴿ **تَمُورُ**﴾ و ﴿ **تَسِيرُ**﴾ بمصدري ﴿ **مَوْرًا** ﴾ و ﴿ **سَيْرًا** ﴾ لرفع احتمال المجاز، أي هو مورٌ حقيقي وتنقلٌ حقيقي.(٢)

٣- ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** ﴾ جناس اشتقاق، وكذا في قوله: ﴿ **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** ﴾.

٤- بين قوله: ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ﴾ وقوله:﴿ **مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** ﴾سجعٌ لطيف.(٣)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن أقسم الله ﷻ ببعض مخلوقاته تنويهاً بشأنها على تمام قدرته وشمولها، في إيقاع العذاب بالكفار يوم القيامة، وهذا القسم عظيمٌ، يرج القلب رجا، وتخشع منه الجوارح، فيشمل المقسم به من الجبال، والمدونات الإلهية في الصحف، والكعبة المشرفة، والسماء المرفوعة، والبحار المملوءة بالماء، وقد جاءت الآيات بعد القسم إنذاراً للمكذبين وبياناً لمصيرهم يوم القيامة.(٤)

ففي ذلك اليوم تضطرب السماء فيه وتدور كالرحى، وتتفكك أجزاؤها وتكسف، وتتزلزل الجبال وتسير فوق الأرض فتنسف وتتلاشى، إيذاناً بفناء هذا الكون، وقرب موعد الساعة، ووجوب العذاب لمن توعدهم الله ﷻ يوم القيامة، والويل فيه للمجرمين والمكذبين بالرسل ويوم الدين، ولسوف يساقون إلى نار جهنم سوقاً عنيفا، فيجدون العذاب الذي كانوا يستعجلونه في الدنيا.

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- تبين هذه الآيات أن هذه الأجسام العظيمة التي من طبعها الاستقرار والثبات تؤثر فيها هذه القارعة، فكيف هو الحال بمخلوقٍ ضعيف لا قوة له ولا ناصر من دون الله، وفيها أن وقوع العذاب لا محالة بالكافرين والمكذبين، وإنهم لن يجدوا لهم ناصرًا ولا ملجأً من هذا العذاب الذي سيحل بهم ولن يفارقهم.

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٠-٤١) بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق (ج٢٧/٤١) بتصرف.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٥٥) بتصرف.

(٤) انظر: دروزة، التفسير الحديث (ج٥/٣٦١-٣٦٢) باختصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- رحمة الله بعباده الأنبياء ومن معهم من المؤمنين، وبحجبهم عن النار ونجاتهم من العذاب. فبإضافة العذاب إلى الرب جل وعلا، وإضافته لكاف الخطاب أمان للنبي ﷺ، حيث أضاف العذاب إلى صفة الإحسان والتربية الخاصة به، وأضاف الصفة إلى ضميره إيذاناً بأنه يريه في أمته ما يسره، وإن العذاب لواقع بمن كذَّبه، ولواقع على الشدة، وهو أدل عليها من لكائن.[١]

٣- وجوب الوجل من ذكر أهوال يوم القيامة، فإن المسلم عندما يسمع بفناء هذه الحياة، فإنه يزهد فيها ولا يتمسك بزمامها لأنها إلى زوال، فيستعد للقاء الله ﷻ حتى يحظى بما أعده الله للمتقين المؤمنين.

٤- أن الله ﷻ خلق هذا الكون في ستة أيام ولم يعي بخلقه، وإنه ﷻ قادر على إهلاك هذا العالم وإرجاع الأمر لما كان عليه قبل تكوين أي شيء، فالله لا يعجزه شيءٌ، فهو صاحب القدرة المطلقة في الخلق والإهلاك والإعادة، فأمره بين الكاف والنون إذا أراد للشيء كن فيكن.

٥- أنَّ هذه الحياة الدنيا مهما طال الأمد فيها فإنها بالنهاية إلى نهاية، ولا يعلم هذه النهاية إلا الله الآخر بلا نهاية، وإن الدنيا دار ممر، والآخرة هي دار المستقر، فلا خلود في هذه الحياة الدنيوية، وإنما الخلود في الآخرة إما لجنة قطوفها دانية، وإما لنار وقودها حامية.

---

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج٩/٥٦٨)، البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٦) بتلخيص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثالث: التوبيخ والتقريع والتهكم بالكفار الذين ينكرون يوم القيامة.**

قال الله تعالى:﴿ **فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)** ﴾.

[الطور: ١١-١٦].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا حقق الله ﷻ العذاب وبين أنه ليس له من دافعٍ ولا رادّ، وحدَّد اليوم الذي سيقع فيه هذا العذاب، بيَّن في هذه الآيات الكريمة من يستحقون ذلك العذاب؛ وهم المكذبون الذين سيجدون الويل الذي توعدهم الله به إذا أصروا على التكذيب والكفر، والتولي عن الذكر باللهو واللعب، وأن هذا العذاب لم يأت من فراغ، بل كانوا في الدنيا يخوضون ويلعبون ولاهية قلوبهم عن تذكُّر يوم القيامة، وقرب موعد العذاب الذي كانوا به يستعجلون، ففي هذا اليوم يدفعون في النار ويسحبون على وجوههم، ولا يخفف عنهم من العذاب إذا صبروا؛ فإن الصبر وعدمه سواء يوم القيامة بعد أن قضوا المدة التي أمهلهم الله إياها حتى يستجيبوا إلى نداء الله ورسوله.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **فَوَيْلٌ** ﴾ الويل: السوء والمشقة والهم الأطول، ويُروى أن في نار جهنم واديًا يسمى: ويلًا.(١) ويأتي بمعنى الشر وسوء الحال البالغ منتهى السوء.(٢)

٢- ﴿ **خَوْضٍ** ﴾ أصل الخوض: المشي في الماء وتحريكه، ثم استعمل في التلبس بالأمر والتصرف فيه، وغلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله: ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾ [المدثر: ٤٥]،(٣) والمعنى أن الكفار في الفتن يخوضون ويلعبون ولاهون عن الآخرة.

٣- ﴿ **يُدَعُّونَ** ﴾ يعني: يزعجون إليها إزعاجًا شديدًا، ويدفعون دفعًا عنيفًا.(٤)

---

(١) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/١٨٧).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٢).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٧/١٤٧)، الزبيدي، تاج العروس (ج١٨/٣٢٤) باختصار، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٨٣).

(٤) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال سيد قطب– رحمه الله– : " الدَّع: الدفع في الظهور، وهي حركةٌ غليظةٌ تليق بالخائضين اللاعبين، الذين لا يجدون، ولا ينتبهون إلى ما يجري حولهم من الأمور، فيساقون سوقًا ويدفعون في ظهورهم دفعا ".(١)

٤- ﴿ اصْلَوْهَا ﴾ أي ادخلوها بذلة ومهانة، وقاسوا شدة حرارتها.

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ الفاء دخلت لجواب الجملة التي قبلها؛ لأن الجملة فيها إبهام، فشابهت الشرط فجوبت بالفاء كما يجاب الشرط.(٢)

٢- ﴿ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ (في) للظرفية المجازية، وهي الملابسة الشديدة كملابسة الظرف للمظروف، أي الذين تمكن منهم الخوض حتى كأنه أحاط بهم. (يَلْعَبُونَ) جملةٌ حالية.(٣)

٣- ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾ يوم: إمَّا بدلٌ من (يوم تمور) أو ظرفٌ لقولٍ مقدرٍ قبل قوله تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.(٤)

٤- ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا ﴾ أفسحرٌ: خبرٌ مقدم، وهذا: مبتدأٌ مؤخر، قال الزمخشري: " يعني كنتم تقولون للوحي: هذا سحرٌ، فسحر هذا، يريد: أهذا المصداقُ أيضاً سحر، ودخلت الفاء لهذا المعنى ".(٥)

٥- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ﴾ سواء عليكم: خبرُ مبتدأٍ محذوف، تقديره: ذلك سواء عليكم. وجملة:(سواءٌ عليكم) مؤكدةٌ لجملة (فاصبروا أو لا تصبروا) فلذلك فُصلت عنها ولم تعطف. وجملة (إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لجملة (اصلوها) إذ كلمة (إنَّما) مركبة من (إنَّ) و(ما) الكافة.(٦)

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٣٩٥-٣٣٩٦).

(٢) انظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧١١٩).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٢).

(٤) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٧-١٤٨).

(٥) الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٠٩).

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- الإهانة والتوبيخ والتهكم والتقريع في قوله:﴿ **اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا** ﴾.

٢- ﴿ **اصْلَوْهَا** ﴾ الأمر إمَّا مكنًّى به عن الدخول؛ لأنَّ الدخول لها يستلزم الاحتراق بنارها، وإمَّا مستعملٌ مجازًا في التنكيل.(١)

٣- في قوله: ﴿ **فَاصْبِرُوا** ﴾ وقوله: ﴿ **أَوْ لا تَصْبِرُوا** ﴾ طباق سلبٍ، يوضح المعنى ويؤكده.(٢)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يبين المولى ﷻ في هذه الآيات الكريمة من يستحقون الويل والعذاب يوم القيامة؛ وهم المكذبون الذين توعدهم الله ﷻ به إذا أصروا على تكذيبهم وكفرهم، والتولي عن القرآن باللهو واللعب والغفلة، ففي ذلك اليوم يُدفعون في النار دفعًا عنيفًا، ويسحبون على وجوههم ومناخرهم، ولا يخفف عنهم من العذاب شيئٌ إذا صبروا؛ فإن الصبر وعدمه سواءٌ يوم القيامة، بعد أن قضوا المدة التي أمهلهم الله إياها حتى يستجيبوا إلى نداء الله ورسوله، وأنَّ الله معذبهم ومجازيهم على ذنوبهم وأعمالهم المشينة التي كانوا يقترفوها في الدنيا.

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- أنَّ عذاب الله واقعٌ وحالٌّ بالمكذبين بالله ورسله، فهذه عاقبة كل مكذبٍ وكافرٍ ومشركٍ، ومدَّعٍ بعدم وجود آخرة، وغير مؤمنٍ بجنةٍ ولا نار، ولا عذابٍ ولا حساب، وكان معتقدًا أنَّ النهاية هي أرضٌ تبلع الموتى ولا بعثٌ ولا نشورٌ، ولا حياةٌ بعد الموت.

٢- أنَّ الله ﷻ قد حرَّم على نفسه الظلم، فهو ﷻ لا يظلم أحدًا من عباده، ولكن سيعذب الكفار الذين توعدهم بالعقاب الأخروي؛ لتمام عدالته ﷻ، ولأن الكفار كانوا في طغيانهم يعمهون، وفي باطلهم متشاغلون، لاهين عن الإيمان وعن تذكر الآخرة، فوجب تعذيبهم مجازاةً على أعمالهم، كما سيجازي المؤمنين بالحسنى عما كانوا يعملون.

٣- عذاب الآخرة أدهى أمر، وأشد بؤسًا وقسوةً على المجرمين من عذاب الدنيا، ففي الآخرة يدفعون إلى النار دفعًا عنيفًا من قبل خزنتها، وتقول لهم الزبانية تقريعًا وتوبيخًا وتهكمًا بهم: هذا ما كنتم تنكرونه في الدنيا.. فهل وجدتم ما وعدكم الله حقا؟؟!!

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٤).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (د٢٧/٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- عدم جدوى صبر الكفار على العذاب في النار، لأنَّ الصبر على البلاء له مزيةٌ ومنفعةٌ للصابر المحتسب، فيجازى خيرًا على صبره كما قال الله:﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر:١٠]، أما إذا صبر الكافر على عذاب النار فلا جزاءٌ ولا ثوابٌ على هذا الصبر؛ لأنَّهم يجازون بالشر بما كانوا يعملون، فالجزاء من جنس العمل.. كما قال الله: ﴿ **إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ وقوله:﴿ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سبأ:١٧].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (١٧-٢٨).

❖ **المطلب الأول: جزاءُ المتقين الجنَّات والنَّعيم.**

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)**﴾. [الطور١٧-٢٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا ذكر ما للمكذبين من العذاب المعدُّ لهم، والمشار إليه بكلمات القسم، أتبعه بما لأضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضًا بتلك الكلمات ليتم الخبر ترغيبًا وترهيبًا، فذكر حال المؤمنين المتقين وجزاءهم المتميز، أي أنه ذكر ما يتلقاه المؤمنين في الآخرة بعد بيان حال الكفار، ثم ذكر الثواب عقب العقاب، جريًا على الموازنة وعادة القرآن في إيراد الأضداد، والجمع بين الترغيب بالترهيب، حتى يتأمل الإنسان في المصير، فيرغب في الرحمة، ويرهب من الانتقام والعقاب.[(١)]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ** ﴾ جنات جمع جنَّة، والجنة بمعنى البستان المزروع بشتى أنواع الفاكهة والخضار، فالمتقون متنعمون في الجنة في البساتين الخضراء التي تبعث اطمئنانًا وسرورًا في النفس، ولفظ النعيم يوحي بالكمال الذي لا ينفذ ولا يبلى، وقد نكِّر لتعظيمه وتفخيمه، فلم يعلمه أحدٌ من قبل قط.

٢- ﴿ **فَاكِهِينَ** ﴾ من الْفَاكِهَةُ، وهي ما يُتَفَكَّهُ به أي يُتَنَعَّمُ بأكله ويُتَلَذَّذُ[(٢)]، وفاكهين أي: أنهم متفكهين متنعمين بفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فيأكلون من شتى أصناف الفاكهة المعدة لهم التي لم ترها عينٌ قط قبل ذلك.

٣- ﴿**عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ الجحيم: اسمٌ من أسماء النار، وقيل: هي الدركة السادسة من دركات النار. وقيل: هي النار الشديدة التأجج، والمكان الشديد الحر، وكل نارٍ عظيمةٍ في مهواةٍ فهي جحيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ** ﴾[الصافات:٩٧].[(٣)]

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٢)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٦٤) بتصرف.

(٢) انظر: المغرب في ترتيب المعرب (ج١/٣٦٥).

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس (ج٣١/٣٧١-٣٧٢) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ **هَنِيئًا** ﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا، أو طعامًا وشرابًا هنيئًا، وهو الذي لا تنغيص فيه، والطعام الهنيء: ما لا يلحق المرء فيه مشقة ولا يعقبه تخمة ولا سقم.(١)

٥- ﴿ **مُتَّكِئِينَ** ﴾ الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والاتكاء: هيئةٌ تختص بالمنعم، والفارغ الذي لا كلفة عليه ولا تكلف لديه؛ فإن من يكون عنده من يتكلف له يجلس له ولا يتكئ عنده، ومن يكون في شغل لا يتفرغ للاتكاء، والمتكأ: ما يجلس عليه للاتكاء وكرسي منجدٌ له ذراعان وظهر.(٢)

ولذا يمكن القول بأن الاتكاء دليلٌ على الخير والهدوء والطمأنينة والأمان والراحة في الجنة بعد صبر المؤمن على البلاء والشدة والمشقة في الدنيا، فتطمئن نفسه في دار الخلود الخالصة من النَّصَب والتَّعَب.

٦- ﴿ **سُرُرٍ**﴾ السُّرر: جمع سرير، والسرير: خفض العيش ؛ لأنَّ الإنسان يستقر عنده. وتطلق السرر أيضًا على الكراسي المعدة للجلوس والاتكاء. (٣)

والسُّرر: هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية.(٤)

٧- ﴿ **مَصْفُوفَةٍ** ﴾ من الصَّف أي: مصطفَّةٌ موصولةٌ بعضها ببعض على خطوطٍ مستوية، والمعنى: متكئين على الوسائد والنمارق المبطنة بالإستبرق قاعدين على سرر مصطفة، وفيها يكون المؤمنون متقابلين على هذه السرر مجتمعين في مجلسٍ محفوفٍ بالهدوء والطمأنينة، تجري من تحتهم الأنهار.

٨- ﴿ **وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ** ﴾ وزوّجنا الذكور من هؤلاء المتقين أزواجًا بحور عين من النساء، والحُور: جمع حَوْراء، وهي البيضاء المنعمة الشديدة بياض مقلة العين في شدّة سواد الحدقة.(٥)

---

(١) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٨٤)، المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٢٢).

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج١/٨١٤)، الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٨/٢٠٧)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (ج٢/١٠٥٢).

(٣) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج٣/٦٩).

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ج١/٨١٤).

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢/٤٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ** ﴾ أي في آية جناتٍ وأيِّ نعيمٍ على أنَّ التنوين للتفخيم، أو في جناتٍ ونعيمٍ مخصوصةٍ بالمتقين عَلى أنه للتنويع.[١]

٢- ﴿ **فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ** ﴾ فاكهين: حال منصوب بالياء؛ لأنه جمع مذكر، وما: مصدرية، أي فاكهين بإتيانهم ربهم.[٢]

٣- ﴿ **وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ الجملة في موضع الحال، والواو حالية، أو عاطفة على (فاكهين) الذي هو حال، والتقدير: وقد وقاهم ربهم عذاب الجحيم، وهو حال من المتقين.[٣]

٤- ﴿ **هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ هنيئًا: اسم على وزن فعيل بمعنى مفعول، وقع وصفًا لمصدرين لفعلي (كلوا واشربوا)، أكلًا وشربًا، فلذلك لم يؤنث الوصف؛ لأنَّ فعيلًا إذا كان بمعنى مفعول يلزم الإفراد والتذكير، و(ما) موصولة، والباء سببية.[٤]

٥- ﴿ **مُتَّكِئِينَ** ﴾ حالٌ من الضمير في قوله:﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا**﴾ أي: كلوا واشربوا حال كونكم متكئين.

رابعًا: الأسرار البلاغية:

-﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ** ﴾ تأكيد الخبر بـ(إنَّ) للاهتمام به، وتنكير﴿ **جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ** ﴾ للتعظيم، أي في أيَّة جنات وأيّ نعيم.[٥]

خامسًا: القراءات القرآنية:

-﴿ **فَاكِهِينَ** ﴾ قرأ أبو جعفر بحذف الألف بعد الفاء، وأثبتها العامة.[٦]

---

(١) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٤٨).
(٢) انظر: بهجت صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (ج١١/٢٥١)، النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٨٤).
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٦).
(٤) انظر: المرجع السابق. باختصار.
(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٤٥).
(٦) انظر: عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص:٣٠٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر حال الكفار المعذبين في النار، بيَّن حال المؤمنين المتقين في الجنة، فقال مخبرًا عن حالهم في الجنة: إنَّ الذين اتقوا ربهم في الدنيا، وتنزهوا عن المعاصي والآثام وكل ما يغضب الله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ، في بساتينٍ خضراء منعَّمين ومتلذذين بما طاب من شتى أصناف الفاكهة، ووفي الجنة ما تلذ الأعين وتشتهيه الأنفس، وفيها أيضاً ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وإنَّ هذا النعيم مقيمٌ ودائمٌ، لا مقطوعٌ ولا ممنوع، وأن المتقين مستقرون في هذه الجنات غير مزحزحين عنها، وهم متفكِّهون ومخيَّرون من أي الفواكه يأكلون ويتمتعون، علاوة على ذلك أن الله وقاهم عذاب الحريق، وأمنهم من فزع يوم القيامة.

ثم يقال لهم خلودٌ بلا موت.. ولهذا طوبى للسعداء يومها، وهنيئًا لهم بما ظفروا ونعم عقبى الدار.

وما زال السياق القرآني يتحدث عن شمول فضل الله ونعمه على المؤمنين، فيذكر حالهم وهم متكؤون متقابلون على سرر موصولة بعضها مع بعض مجمَّعة في مجلس واحد، وقد أقر الله أعينهم بزوجات حسناوات من الحور العين، والتي يغلب بياض أعينهن على سواده، حتى تقر أعينهم وقلوبهم بها، وهنا ترغيب في الجنة بما فيها من وصف جميل، يبعث الأمل في نفوس المؤمنين للتمسك بفضائل الأعمال وفعل الخيرات، وتعويد النفس على الصبر وحبسها عن الشهوات؛ حتى تحظى برضوان الله في الدنيا والآخرة.

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- بيان فضل الله ﷻ ومنته على أهل الإيمان والتقوى، بأن يدخلهم الجنة بفضله ورحمته، وليس جزاءً على أعمالهم الصالحة؛ لأنه لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله حتى لو كان العمل صالحًا وخالصًا لله، فعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: " **لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ** " **قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:** " **وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا**".(١)

٢- استحباب الدعاء بالخير، وعدم الغصة والمشقة بلفظ هنيئًا لمن أكل أو شرب شيئًا؛ تأسِّيًا بأهل الجنة، وحتى ينساب الماء في الجوف سلسبيلًا من غير مشقة أو غصَّة، ولنحظى بقربهم

(١) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله، ٤/٢١٦٩: رقم الحديث ٢٨١٦].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الدنيا قبل الآخرة، وفيها تأكيد على أن الجزاء من جنس العمل، فأعمال البر والتقوى لا ثواب لها سوى العيش الرغيد والهنيء يوم القيامة.

٣- أنَّ الله ﷻ أعدَّ للمؤمنين المقربين الذين فارقوا الدنيا على الإيمان والتقوى دارًا تسمى دار الثواب؛ لتكون دار إقامةٍ خالدةٍ لهم، ليسعدوا ويتنعموا فيها.

٤- أنَّ في الجنة نعيمٌ مقيم، يحوى ما لذَّ وما طاب مما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين، وجعل فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٥- على الدعاة أن يستخدموا أسلوب الترهيب والترغيب في الدعوة إلى الله ﷻ، لعلهم ينشلون أهل الضلال والطغيان من بحار الظلمات، إلى نور الإيمان والرحمات، فيظفرون برضوان الله العزيز المنان، مما أعدَّ لهم من نعيم في الجنان.

٦- ينبغي على المؤمن أن يطلب من الله ﷻ أعلى درجات الثواب وأسماها، وبخاصة أعلى الدرجات في الجنة وهي الفردوس كما وجهنا نبيناﷺ في قوله: " **إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ** ".[١]

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير / باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٤/١٦: رقم الحديث ٢٧٩٠].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثاني: أسباب قبول العمل.**

قال الله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)** ﴾. [الطور:٢١].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا وصف حال المتقين من أعداء المكذبين وبدأ بهم لشرفهم، أتبعهم من هو أدنى منهم حالًا لتكون النعمة تامة فقال: ﴿ **والذِينَ آمَنُوا** ﴾ الذين أقروا بالإيمان ولم يبدلوا ولا بالغوا في الأعمال الصالحة، ولمَّا كان من هؤلاء مَن لا يتبعه ذُريته بسبب إيمانه لأنه يرتدَّ عنه، عَطف على فعلهم تمييزًا لهم واحترازًا عمن لم يثبت قوله: ﴿ **واتَّبعتهم** ﴾، حيث ألحق الذرية كبارًا وصغارًا بدرجتهم العالية في الجنة حتى تطمئن قلوبهم وتقر بهم أعينهم، من غير نقصانٍ من أجورهم شيئا.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ** ﴾ الإتباع: هو الانسياق، واتباع الأثر.

والذرية: هي نسل الإنسان من صلبه، فتشمل الصغار والكبار، الأبناء وأبنائهم وأبناء أبنائهم، والذرية تقع على الآباء والأبناء والأولاد والنساء.(٢)

٢- ﴿ **بِإِيمَانٍ** ﴾ الإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان،(٣) وعن الحسن البصري قال: "أنَّ الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل ".(٤)

٣- ﴿ **وَمَا أَلَتْنَاهُمْ**﴾ من أَلَتَ يَأْلِتُ، والأَلْتُ بمعنى النقص، أي وما أنقصناهم من ثواب أعمالهم من شيء.

٤- ﴿ **امْرِئٍ** ﴾ المرء: هو الإنسان، إذ هو نسلٌ له تصرفٌ ونفعٌ وتعاون، وأنثاه مرأة وهو أيضًا امْرُؤ وهي امْرَأة،(٥) والمرء يفيد أدب النفس وتسويتها وهي من المروءة.

وقد يطلق المرء ويراد به الجنسين (الرجل والمرأة)، وقد يراد به الرجل دون المرأة.

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٢) بتصرف.

(٢) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج١٥/٦) بتدخل.

(٣) انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز (ص:٢٦).

(٤) [ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، باب/ كلام الحسن البصري (ج٧/١٨٩) رقم: ٣٥٢١١].

(٥) انظر: د. محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل (ج٢/٧٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- ﴿ رَهِينٌ ﴾ من الرهن، والرهن في كلام العرب هو الشيء الملزم دائم الثبوت.(١)

والمراد به هنا أن كل إنسان مرتهن بعمله سواءٌ خيرًا أم شر، ولا يتحمل أحدٌ ذنوب غيره ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر:١٨].

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ معطوفٌ على ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾، والجملة مبتدأ، وخبرها ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾.(٢)

٢- ﴿ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (من) الأولى للتبعيض وهي متعلقة بـ(ألتناهم)، و(من) الثانية زائدة، وجاءت نكرة لتفيد العموم والشمول.(٣)

رابعًا: القراءات القرآنية:

١- قرأ أبو عمرو:﴿ وَأَتْبَعْنَاهُم﴾ بالنون والألف وقطع الألف الأولى وسكون التاء، حيث جعل الفعل لله ﷻ.

وحجته.. قوله:﴿ **ألحقنا بهم** ﴾ ولم يقل (لَحِقَتْ) فذهب أبو عمرو إلى أنه لمَّا أتى عقب الفعل فعل بلفظ الجمع وفق بين اللفظين؛ لأنه في سياقه ليأتلف الكلام على نظام واحد وتبعت يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا نقل بالهمزة تعدى إلى مفعولين فالمفعول الأول الهاء والميم في قوله: ﴿ **وأتبعناهم** ﴾ والمفعول الثاني ﴿ **ذرياتهم** ﴾.(٤)

وقرأ:﴿ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ بالألف وكسر التاء، وقرأ:﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالألف أيضًا وكسر التاء، وإنَّما كسر التاء وهي موضع نصب؛ لأنَّ التاء غير أصلية.(٥)

٢- قرأ أبو جعفر ونافع:﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بالتاء ووصل الألف وتشديد التاء، بعده ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ بالرفع من غير ألف، و﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالألف وكسر التاء.(٦)

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١٣/١٨٩).

(٢) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٧٠)، الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٣٣).

(٣) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٣٣) بتدخل.

(٤) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨١)، أبو بكر بن مهران النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر(ج١/٤١٥) باختصار.

(٥) انظر: المرجعين السابقين، نفس الموضع.

(٦) انظر: أبو بكر بن مهران النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر(ج١/٤١٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقرأ ابن عامر ويعقوب:﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بالتاء ووصل الألف، و﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ بالألف والرفع، وقرأ:﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالألف أيضًا وكسر التاء.

وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف:﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بالتاء ووصل الألف، وقرأ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ بالرفع من غير ألف، و﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالنصب من غير ألف.[1]

٣- قرأ ابن كثير وحده: ﴿ وَمَا أَلِتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ ﴾ بكسر اللام، وقرأ الباقون: ﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ بفتح اللام.[2]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

وما زال السياق القرآني الحكيم يتحدث عن نعم الله وفضله ومنته على عباده المؤمنين، فيقول.. والذين آمنوا بالله، الذين دخل الإيمان في قلوبهم ووقر، وعملوا صالحًا في دنياهم وأحسنوا وماتوا وهم مسلمون، فإنَّ الله يجازيهم بالحسنى في الآخرة باستقرارهم في الجنة والخلود فيها.

وحتى يديمَ الله ﷻ منته عليهم، ويقرَّ أعينهم وقلوبهم، يُلحق الله ﷻ ذرياتهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وماتوا وهم مؤمنين بدرجتهم في الجنة، فيتساووا بالدرجة الفضيلة من غير أن ينقص من حسناتهم وثواب أعمالهم شيئا؛ لأنَّ الآباء يحبون أن تسمو درجات أبنائهم في كل موضع، حتى في الجنة، وقد روى الطبري في طرقه عن ابن عباس ﵁، في قوله ﷻ: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ ﴾ قال: "إنَّ الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل "، ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾[3]. نعم وإن كانت الذرية مقصرة في جنب الله ولم تبلغ درجاتهم مبلغ الآباء، فهذا من فضل الله ﷻ وكرمه على عباده المؤمنين في التفضُّل في رفع الدرجات وتكثير الحسنات.

ويرجع ذلك إلى حسن التربية والنشأة الإيمانية الصالحة التي ربَّى عليها الآباء أبناءهم، في سبيل الوصول إلى مرضات الله والدرجات العلا عند الله ﷻ، وأخبر الله أخيرًا أن كل امرئ مرتهنٌ بعمله وفعله يوم القيامة، فيجازى به ولا يجازى غيره بعمله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨]، وأيضًا ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء:١٥]، إلا أنه ﷻ تفضَّل على هؤلاء المؤمنين برفع درجات أبنائهم كرمًا منه وإحسانا.

---

(١) انظر: أبو بكر بن مهران النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر(ج١/٤١٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (ج١/٤١٦).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- أنَّ الله ﷻ يعطي ذرية المؤمن إذا اتبعوه وساروا على خطى الإيمان والتقوى من الأجر مثل ما أعطاه للآباء من غير أن ينقص من أجرهم شيئا، فيجتمع الآباء والأبناء في الجنان في منزلة واحدة ومرتبة متساوية.

٢- بيان إحسان الله ﷻ وفضله على أهل الإيمان والإحسان في الجنة، بأنه يلحق الأصاغر بالأكابر والمقصرين بالمحسنين، فيرفع درجاتهم ويعفوا ويتجاوز عن سيئاتهم، وذلك بفضل أعمال آبائهم الحسنة، ولأنَّ سيئات المقربين حسنات الأبرار.. فما بالنا بحسناتهم ودرجاتهم!!

٣- إنَّ الله ﷻ لا يظلم عبدًا من عباده، ولا ينقص أجرًا لأحد ممن خلق، ولو كانت له حسنةً واحدةً فيكافيه بها ويضاعفها له أضعافًا على سبيل التفضُّل منه ﷻ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[النساء:٤٠].

٤- هذه الآية الكريمة احتوت على قاعدةٍ حاسمةٍ لمحاسبة النفس بما كسبت، إذ كل امرئٍ ذي هويةٍ شخصيةٍ، مجبولةٍ لحكمةِ المعرفة ومصلحة التوحيد بما كسب، ومع ما اقترف من الأسباب والوسائل إلى درجات الجنان، أو إلى دركات النيران رهينٌ مرهونٌ مقرونٌ لا ينفصل عنها ولا ينسلخ.(١)

٥- على المؤمن أن يحسن تربية أولاده ويغرس فيهم القيم والمبادئ الإسلامية، وأن ينشأهم نشأة إيمانية قدر المستطاع، وأن يرعاهم رعاية محفوفة بالود والمحبة، حتى ينشأ جيل إسلامي قادر على نشر الدين والدفاع عنه، وحتى يرى المؤمن أثر ذلك في حياته وبعد مماته لخبر " **إِذَا مَاتَ الإنسَانُ انقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدعُو لَه**"(٢) وأيضًا خبر " **إِنَّ الله ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلعَبدِ الصَّالِحِ فِي الجَنَّة، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِه؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ** "(٣) فيفوز الوالد بصلاح ولده، ويفوز الولد بعمل والده.

---

(١) انظر: الشيخ علوان، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية (ج٢/٣٥٨) بتصرف.

(٢) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الوصية / باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ٢/١٢٥٥: رقم الحديث ١٦٣١].

(٣) [أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة / مسند أبي هريرة ﷺ، ١٦/٣٥٦-٣٥٧: رقم الحديث ١٠٦٠٩].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثالث: أهل الجنة يجدون ثوابهم في الجنَّة.**

قال الله تعالى:" **وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)** " [الطور:٢٢-٢٨].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا جمعهم في إلحاق الذرية بهم لأنه من أعظم النعيم، وأمَّنهم مما قد يخشى من نقصهم بنقصه غيرهم، وعلَّل ذلك ليكون أرسخ في النفس، أتبعه بما يشاكله فقال: (وأمددناهم) أي الذين آمنوا والمتقين ومن ألحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم (بفاكهة). فأبعد عنهم اليأس والملل والوحشة، وأحل محلها المتعة المتجددة والأنس، بتجاذب الكؤوس فرحاً ولعباً، والتسامر بأطيب الأحاديث، والتحدث بأحوال الدنيا ومقارنتها بأحوال الآخرة، وإسداء الفضل لله ﷻ لنجاتهم من عذاب النار الملفح للوجوه والمحرق للأجساد، جزاءً بما كانوا يدعونه ويتوسلون إليه من قبل.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **وَأَمْدَدْنَاهُمْ** ﴾ أي وزودناهم حينًا بعد حين بأشهى الفاكهة واللحوم، وهذا يدل على الزيادة وكمال الترفه والتنعيم طول الوقت.

والإمداد: إعطاء المدد، والمدد الزيادة على الشيء، وهو ما يمد به قومًا في الحرب وغيره من الطعام والأعوان.(٢)

٢- ﴿ **يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا** ﴾ أي: يتعاطون ويتبادلون في الجنة كؤوس الخمر الطاهرة والخالصة من مزيل العقل، فيتجاذبونها على سبيل المزاح والمداعبة.

والكأس: إناء الخمر، ويطلق على كل إناءٍ مملوءٍ من خمرٍ أو غيره، فإذا فرغ لم يسم كأسًا، بل يسمى كوبًا أو قدحا.(٣)

٣- ﴿ **لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ** ﴾ أي: خمرًا طيبة خالية من المسكر، فلا يصدر من شاربها لغوًا ولا قولًا فاحشًا يستوجب الإثم، كما يصدر من شاربيها في الدنيا، واللغو: ما لا فائدة فيه من

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٧)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٦٤) بتصرف.

(٢) انظر: الفراهيدي، العين (ج٨/١٦).

(٣) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلام ذنبًا أو غيره، أو هو الهذيان الذي يصدر عن خللٍ في العقل، والتأثيم: نسبة إلى الإثم، وهو ما يؤثَّم به فاعله شرعًا أو عادة من فعلٍ أو قولٍ مثل الضرب والشتم وتمزيق الثياب التي تصدر من الندامى عادةً.[1]

فأهل الجنة منزهون عن كل هذه السلبيات وهذه النقائص؛ لأنَّ مقامهم أسمى من ذلك بكثير، وأنهم نزهوا أنفسهم عنها في الدنيا طلبًا لرضا الله ﷻ وطمعًا في عفوه، وانصياعًا لأمره.

٤- ﴿ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ اللؤلؤ: الدر، والمكنون: المخزون المصون الذي لم تلمسه يدٌ قط؛ لنفاسته على أربابه فلا يتحلى به إلا في المحافل والمواكب فلذلك يبقى على لمعانه وبياضه.[2]

٥- ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ من شَفَقَ، وهو يدل على رقة في الشيء[3]، ومشفقين: وجلين خائفين من وقوع العذاب بنا في الآخرة، وأرقاء القلوب من خشيته ﷻ.

٦- ﴿ عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ هي: الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم؛ لأنها بهذه الصفة.[4]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

- ﴿ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ (لهم) صفةٌ لـ(غلمان)، و(مكنونٌ) صفةٌ لـ(لؤلؤ) والجملة من(كأنهم لؤلؤ مكنون) صفةٌ ثانيةٌ لـ(غلمان)، أو في موضع نصب على الحال.[5]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ تشبيهٌ مرسلٌ مجمل، حيث حذف منه وجه الشبه، فصار مجملا،[6] حيث شبه الغلمان في حسن صورتهم وجمال هيئتهم باللؤلؤ الأبيض ناصع البياض والصفاء والذي لم تمسه يدٌ قط.

٢- ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ ضمير الفصل (هو) لإفادة الحصر، وهو لقصر صفتي البر والرحيم على الله ﷻ، وهو قصرٌ ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد ببرور غيره ورحمة غيره بالنسبة إلى برور الله ورحمته باعتبار القوة، فإن غير الله لا يبلغ بالمبرة والرحمة مبلغ ما لله وباعتبار

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٥٣-٥٤) بتلخيص.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٦. بتصرف.

(٣) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج٣/١٩٧).

(٤) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٨٥-٣٨٦).

(٥) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٣٤)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٦٢).

(٦) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عموم المتعلق، وباعتبار الدوام؛ لأنَّ الله برٌّ في الدنيا والآخرة، وغير الله برٌّ في بعض أوقات الدنيا ولا يملك في الآخرة شيئا.[1]

خامسًا: القراءات القرآنية:

١- ﴿ **يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ** ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ) بالنصب فيهما وقرأ الباقون بالرفع.

والحجة في ذلك: أن مَنْ رفع، فعلى ضربين: على الرفع بالابتداء و(فيها) الخبر، وعلى أن تكون (لا) في مذهب ليس رافعة، فكأنه جعله جوابًا لقول القائل أفيها لغو أو تأثيم؟؟ فجعله نفيًا لهذا.

ومن نصب فعلى النفي والتبرئة، فقد جعله جوابًا لقوله هل من لغوٍ فيها أو تأثيم؟؟ فجوابه لا لغوٌ فيها ولا تأثيم.[2]

٢- ﴿ **إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ قرأ نافع والكسائي بفتح الألف:(أنَّه)، فيكون المعنى ندعوه؛ لأنَّه هو البر الرحيم، أي: لرحمته يجيب من دعاه فكذلك ندعوه.

وقرأ الباقون: (إنَّه) بكسر الألف، فقطعوا الكلام مما قبله وفصلوه عنه.[3]

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الله ﷻ وجوه النعيم المعدة للمؤمنين فيما سلف من الآيات، يُستكمل الحديث عن أهل الإيمان المنعمين في الجنان، فيبين الله ﷻ جانبًا ومظهرًا من مظاهر فضله ومنَّته على هؤلاء المؤمنين، وهو تزويدهم بأنواعٍ شتى من ألوان الطعام والشراب واللحم الذي تشتهيه أنفسهم من غير نقصان، وهذا علاوة على ما ذكر من أنواع التنعيم والتكريم.

ويتعاطون في الجنة كأسًا خمرًا وصفها الله بقوله: ﴿ **بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ** ﴾ [الصافات:٤٧-٤٦]، أي لا يترتب على من شربها إثم ولا يتكلم بكلام لغو أو هذيان؛ لأنها منزهة عن السُكر وما يترتب عليه من أفعالٍ قبيحة كعادة الشاربين في الدنيا.

ثم ذكر ما أُعد لهم من خدمٍ وحشم، ومن زيادة الفضل والتنعيم أنه يدور عليهم ذهابًا وإيابًا غلمان مخلدون خدمًا للمؤمنين في غرفهم ومجالسهم، كأنهم في الصفاء والبياض والبهاء الدر

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٥٨).

(٢) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٣) بإيجاز.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٦٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكنون المصون في أصافه، ثم وصفهم وهم في جملة تنعمهم في الجنة يتذاكرون مع بعضهم البعض أحوالهم في الدنيا الفانية، وعما استحقوه من الكرامة والفضل والاختصاص، لأنهم كانوا وجلين مذعورين من العاقبة والمصير إلى الله، فيحمدون الله ويشكرونه على هذا الأمن وإصلاح البال، ونجاتهم من عذاب النار التي تنفذ في المسام وتلفح الوجوه.

نعم إنهم استحقوا هذا التكريم من الله ﷻ.. وترجع الإشارة إلى سبب نعيمهم في الدار الآخرة؛ لأنهم كانوا مخلصين لله في العبادة، وكانوا يدعونه رغبًا ورهبًا بأن يمن عليهم بالمغفرة والإحسان عن تقصيرهم، ويسألوه الرحمة والتوفيق.. فاستجاب لهم المحسن واسع الفضل.

عقَّب البقاعي في ختام الآيات قائلًا: " إنَّه واسع الجود الذي عطاؤه حكمة ومنعه رحمة؛ لأنه لا ينقصه إعطاء ولا يزيده منع، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له في العقبى".(١)

سابعًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١- ترغيب المؤمنين بما أعد الله لعباده المتقين من تكريمٍ ونعيمٍ على تفاوتٍ وتنوعٍ فيها ظاهرًا وباطنا، فإنه تعالى يمدُّ المؤمنين ويزيدهم من فضله وكرمه بأنواع الفاكهة واللحوم المختلفة مما يشتهون، علاوة على ما قدم لهم، ويتناولون كؤوس الخمر التي لا تثمل فيتنازعون فيها ويتداعبون.

٢- أنَّ الله ﷻ أعد لعباده المتقين في الجنة خدمًا من غلمان مسخرة لراحتهم والقيام على خدمتهم. وهذا من باب التكريم لهؤلاء المتقين الذين قضوا في الدنيا عابدين طائعين لله، صبروا في سبيل مرضات الله وطمعًا في ثوابه.

٣- أعدَّ الله لأهل الجنة أنهارًا من خمرٍ طيبة لذيذة الطعم، وخمر الآخرة ليست كخمر الدنيا.. فإنه لا يترتب على مَنْ شربها أذى ولا هذيان ولا يصدر منه سقط في الكلام ولا قبح في الفعل.

٤- مَنْ طلب الرجاء والتَّبتُّل إلى الله، وخاف من مقامه أمَّنه الله ﷻ في آخرته، فلا خوفٌ عليه ولا يحزن لنهايته ولا للفزع الأكبر، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف:١٣]، وفيها تقرير قاعدة في تعامل الرب مع العبد، حيث أن الله لا يجمع على عبده أمنين ولا خوفين، فمن خافه في الدنيا أمَّنه في الآخرة، ومن أمِنَه في الدنيا أخافه في الآخرة قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**

(١) البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٢٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات:٣٧-٤١] وفيها تقريرٌ لفضيلة الإشفاق في الدنيا من عذاب الآخرة، قال تعالى واصفًا إياهم: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المعارج:٢٧].[١]

٦- فضل الدعاء والتضرع إلى الله ﷻ، وذلك أن الدعاء هو العبادة، وحلقة الوصل بين العبد المسلم وبين ربه ﷻ، والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح للمؤمن يستخدمه متى شاء في أي وقت يشاء. [٢]

(١) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٧٩) بتدخل.

(٢) انظر: المرجع السابق، سعيد القحطاني، شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة (ص:١٧) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (٢٩-٤٣).

❖ **المطلب الأول: متابعة التذكير والموعظة بالرغم من المكائد.**

قال الله تعالى:﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)** ﴾ [الطور ٢٩-٣٤].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

قال الرازي- رحمه الله-: " تعلق الآية بما قبلها ظاهر؛ لأنه تعالى بيَّن أن في الوجود قومًا يخافون الله ويشفقون في أهليهم، والنبي ﷺ مأمورٌ بتذكير من يخاف الله بقوله: ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ [ق:٤٥]، فحقَّ من يذكِّره فوجب التذكير، وأما الرسول ﷺفليس له إلا الإتيان بما أمر به".(١)

وقال أبو حيان(٢)- رحمه الله-: " لمَّا تقدم إقسام الله ﷻ على وقوع العذاب، وذِكر أشياء من أحوال المعذبين والناجين، أمره بالتذكير، إنذارًا للكافر، وتبشيرًا للمؤمن، والدعاء إلى الله ﷻ بنشر رسالته، ثم نفى عنه ما كان الكفار ينسبونه إليه من الكهانة والجنون، إذا كانا طريقين إلى الإخبار ببعض المغيبات، وكان للجن بهما ملابسة للإنس".(٣)

ثانيًا: سبب النزول:

روى الطبري – رحمه الله – بإسناده عن ابن عباس ﵁ أنَّ قريشًا لمَّا اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائلٌ منهم: احبسوه في وثاقٍ، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهيرٌ والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ**

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٨/٢١٢).

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره.

واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، توفي عام ٧٤٥هـ، (انظر: الزركلي، الأعلام (ج٧/١٥٢)).

(٣) أبو حيان، البحر المحيط (ج٩/٥٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾.(١)

ثالثًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **فَذَكِّرْ** ﴾ أي:اثبت على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير.(٢)

٢- ﴿ **بِنِعْمَتِ رَبِّكَ** ﴾ برحمة ربك وإكرامه إياك، وبحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل.(٣)

٣- ﴿ **بِكَاهِنٍ** ﴾ الكاهن: هو الذي يخبر عن الغيب كذبًا. يقال: تكهَّن كهانةً إذا فعل ذلك. والكاهن ينتحل معرفة ما سيحدث من الأمور، وما خفي مما هو كائن، ويخبر به بكلامٍ ذي أسجاع قصيرة.(٤)

فالكهانةُ صفةٌ ذميمةٌ ووضيعةٌ مستحيلةٌ على الأنبياء، نفاها الله ﷻ عن نبيه ﷺ فقال: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[النجم:٤] وردَّ على المشركين الذين اتهموا رسول الله ﷺ بالكهانة والجنون والسِّحر وغيرها فقال: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الحاقة:٤٢-٤٣].

٤- ﴿ **نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ** ﴾ نَتَرَبَّص: من رَبَصَ: والتَّرَبُّصُ: الانْتِظارُ، رَبَصَ بالشَّيْءِ رَبْصًا وتَرَبَّصَ بِهِ: انْتَظَرَ بِهِ خَيْرًا أَو شَرًّا. ريب المنون: ما يُقْلِق النفوس ويشخص بها [أي يُدهشها] من حوادث الدهر، وقيل: المنون الموت كالمنية.(٥)

٥- ﴿ **قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ** ﴾ أي: انتظروا بيَ الموت، فإني معكم من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم، فتُعَذَّبُوا يوم بدرٍ بالسيف.(٦)

٦- ﴿ **أَحْلَامُهُمْ** ﴾ الأحلام: العقول والألباب، وكانوا [أي أهل قريش] يَدَّعون أنهم ذوو عقولٍ وأحلام. والعقل: هو الدَّاعي إلى الحلم فسماه باسمه. وبهذا فإنَّ المعنى هو تسفيههم وتجهيلهم، أي: لاعقل لهم حيث نسبوا الشعر والجنون والكهانة إلى النبي ﷺ عندما دعاهم إلى التوحيد.(٧)

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٧٩).

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١١٩).

(٣) ينظر: الواحدي، الوجيز (ج١/١٠٣٥)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٥٠).

(٤) يراجع: السمعاني، تفسير القرآن (ج٥/٢٧٦)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦٠).

(٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤١٣)، ابن منظور، لسان العرب (ج٧/٣٩).

(٦) ينظر: البغوي، معالم التنزيل (ج٧/٣٩١).

(٧) ينظر: الفراء، معاني القرآن (ج٣/٩٣)، السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٢٧٧) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- ﴿ تَقَوَّلَهُ ﴾ أي: افتعل النبي ﷺ القرآن من تلقاء نفسه واختلقه ؟ والتقوُّل: تكلُّف القول، ولا يستعمل إلا في الكذب.(١)

رابعًا: وجوه الإعراب:

- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أم للاستفهام وليس للعطف، وهي منقطعةٌ للإضراب، فتكون الجملة (بل أيقولون شاعر..)، أو (بل يقولون شاعر..).(٢)

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ جاء (يقولون) مضارعًا؛ للدلالة على تجدُّد ذلك القول منهم، والتربُّص مبالغةٌ في الرَّبْص، وهو الانتظار.(٣)

و(رَيْبَ الْمَنُونِ): فيها استعارةٌ تصريحيةٌ، حيث أُستعير لفظ الرَّيب (وهو الشَّك) لنوائب الدهر وحوادثه، بتشبيه حوادث الدهر بالريب بجامع التقلب وعدم الاستمرار على حالةٍ واحدةٍ.(٤)

٢- ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ تهكمٌ للمشركين وتهديدٌ لهم، والأمر في(تربصوا) مستعملٌ في التسوية، أي سواءٌ عندي تربُّصكم بي وعدمه، وتأكيد الخبر بـ(إنّ) في قوله: ﴿ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر أنه يتربص بهم كما يتربصون به؛ لأنهم لغرورهم اقتصروا على أنهم يتربصون به ليروا هلاكه، فهذا من تنزيل غير المُنْكِر منزلة المُنْكِر.(٥)

٣- ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ اشتملت هذه الآية على خصائصَ تناسب تعظيم من وُجِّهت إليه وهي أنها صيغت في نظم الجملة الاسمية فقيل فيها (ما أنت بكاهنٍ) دون (فلست بكاهنٍ)؛ لتدلَّ على ثبات مضمون هذا الخبر.(٦)

٤- ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ أسلوبٌ تهكميٌّ؛ للتهكُّم بعقول المشركين والسُّخرية منهم، وأمرُ الأحلام بأقوالهم مجازٌ عن أدائها إليه.(٧)

---

(١) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج٤/١٧٩) بتصرف.
(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦٠) باختصار.
(٣) ينظر: المرجع السابق ص٦١.
(٤) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٧٣).
(٥) يراجع: الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٣٦)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦٢).
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٥٩).
(٧) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ** ﴾ لام الأمر في قوله: (فليأتوا) مستعملةٌ في أمر التعجيز.. كقوله حكايةً عن قول إبراهيم عليه السلام ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ المَغْرِبْ**﴾[البقرة: ٢٥٨].[١]

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر فيما سلف أنَّ العذاب واقعٌ بالكافرين لا محالة، وأنَّ الفريقَيْن المصدِّقين والمكذِّبين مجازيان بأعمالهم، وأنَّ الرسول ﷺ على الحق المبين الذي مَنْ كذَّبه باء بغضب من الله، ومن صدَّقه استحقَّ رضوانه ومغفرةً من لدنه، فيأمر الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة الرسول ﷺ بالثبات على التذكير والموعظة والنصح، وعدم الالتفات إلى أقوال السفهاء من كفار قريش وغيرهم، وعدم المبالاة بما يكيد به أولئك الكائدون، فإنَّه هو الغالب حجةً وسيفاً فى هذه الدار، ومنزلةً ورفعةً فى دار القرار، ثم ذكر تناقض أقوالهم لينبه إلى فساد آرائهم، وبطلان ادعائهم، وإلى أنَّهم ما أعرضوا عن الحق إلَّا اتباعًا للهوى لا اتباعًا للدليل والبرهان، وفى ذلك تسليةً للرسول ﷺ كما لا يخفى، إذ ما أبعد حَالَ مَنْ كان أرجحهم عقلًا، وأبينهم قولًا، منذ ترعرع إلى أن بلغ الأشد، من الجنون والكهانة والسحر، إلى ما فى هذا من التناقض والاضطراب، فإن الكهَّان كانوا من أحذق الرجال وأذكاهم وكان قولهم مقنعًا يدخل في العقول والقلوب، فأين هذا من الجنون، ثم ترقوا فى نسبته إلى الكذاب، فقالوا إنَّه شاعرٌ، ثم قالوا فلنصبر عليه ولنتربص به صروف الدهر، فسيكون حاله حال الشعراء مثل زهيرٍ والنابغة وأمثالهم ممن انقرضوا وصاروا كالأمس الماضي ثم أمره بتهديدهم بمثل صنيعهم بقوله: (قل تربَّصوا فإني معكم من المتربصين) ثم زاد في تسفيه أحلامهم بأنَّ مصدر هذا التكذيب إمَّا كتابٌ أُنزل عليهم بذلك، وإمَّا أنَّ عقولهم تأمرهم بما يقولون، لا بل الحقُّ أنهم قوم طاغون يفترون ويقولون ما لا دليلٌ عليه لا من كتابٍ ولا مقتضى له من عقل، ثم زادوا في الإنكار ونسبوه إلى التقول والافتراء، فإن صح ما يقولون فليأتوا بمثل أقصر سورة من مثل هذا المفترى إن كانوا صادقين ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [هود:١٣]، وليس هم كذلك، بل هم قومٌ جاحدون لا يؤمنون، فليقولوا ما تُسوِّله لهم أنفسهم؛ فإن الله قد أعمى بصائرهم، فهم لا أحلام لهم تميز الحق من الباطل، فامض يا رسول الله لشأنك ولا تأبه لمقالهم فإنَّ الله معك، ولن يترك شيئا من أعمالك.[٢]

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦٧).

(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٣٠) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالثبات على التذكير والوعظ لقومه بالقرآن، دون مبالاةٍ بمطاعن كفار قريشٍ، فليس هو بالكاهن ولا بالشاعر ولا بالمجنون، [وهذه ثلاثُ صفاتٍ وضيعةٍ بحق مقام النبي ﷺ نفاها الله ﷻ عنه في هذه الآيات]، وإنَّما هو صادق النبوة، وقد عرف بين قومه أنفسهم برجاحةِ العقل، وأصالةِ الرأي.(١)

٢-وجوب التَّذكير والوعظ والإرشاد على أهل العلم بالكتاب المجيد والسنة المطهرة كما قال الله ﷻ ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات:٥٥]؛ لأنَّ الدعاة خلفاء الرسول ﷺ في أمته.(٢) وكما يقع على عاتق كل مسلمٍ عامةٍ، وعلى الوعَّاظ وأهل العلم بشكلٍ خاصٍ التبليغ عن النبي ﷺ والاقتداء بسنته كما قال: " **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَة** "،(٣)، وعليهم نشر الدين الإسلامي في كل أصقاع الأرض.

٣-أنَّ الكهانة محظورةٌ ومحرمةٌ في الإسلام، وقد حذرت الشريعة الإسلامية أفراد المسلمين من التعامل مع الكهنة، وحذرت من الذهاب إليهم وتصديقهم فقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: " **من أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** "(٤)، وأيضًا لا يقبل قول العاملين بالكهانة فهم يدَّعون أنهم يقدرون على النفع والضر، وأنهم يعلمون الغيب ويحيطون به، فعلم الغيب ومفاتحه بيد الله ﷻ فقط لا بيد غيره ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام:٥٩].

وبعد عرض الأدلة.. وجب الجزم بكفر الكاهن؛ لأنه مدّعٍ لعلم الغيب زورًا وافتراءً. وأيضًا كُفر مَنْ أتى الكاهن وصدقه؛ لأنَّه بتصديقه إياه كُفرٌ بما أنزل على النبي ﷺ.

٤- لقد انتظر الكفار المعاندون سوءًا أو هلاكًا بالنبي ﷺ تخلصًا منه ومن دينه إلى الأبد، كما تربصوا ببعض الشعراء فأهلكوا مع مرور الدهر، فعجَّل الله هلاك الكفار في معركة بدرٍ

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٧٧) بتدخل.

(٢) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٨١) بتدخل.

(٣) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء / باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ١٧٠/٤: رقم الحديث ٣٤٦١].

(٤) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة / مسند أبي هريرة ﷺ، ٣٣١/١٥: رقم الحديث ٩٥٣٦]. قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغيرها، وفيها إبرازٌ لحقيقة الكفار وفضح نفسياتهم في التربص بالمؤمنين وإرادة الشر والسوء لهم، وكفاية الله لعباده المؤمنين شرورهم ، تبكيتًا للمجرمين وبشرى للمؤمنين.(١)

٥- أورد القرآن الكريم عدة تقريعاتٍ وتوبيخاتٍ لكفار قريشٍ بأسلوب التهكم في حال حياتهم منها:

أ- أنه لا عقلٌ لهم بنحوٍ سليمٍ، إذ لو كان لهم عقلٌ سليمٌ لميزوا بين الحق والباطل، والمُعْجِزِ وغيره، ولمَّا أوقعوا أنفسهم في تناقضات حين وصفوا محمدًا ﷺ بأوصافٍ متناقضةٍ، فقالوا: إنَّه كاهنٌ، شاعرٌ، مجنونٌ. والجنون لا يتفق مع الكهانة ونظم الشعر اللَّذَيْن يتطلبان حذاقةً وذكاءً وإبداعًا وقوةَ خيالٍ.

ب-أنهم قومٌ طغوا وتجاوزوا الحد بغير عقولٍ.

ج-زعمهم أنَّ محمدًا تقوَّل القرآن الكريم، أي اختلقه وافتراه من تلقاء نفسه، والتقوُّل يراد به الكذب.. كما ذكرت سابقًا.

د- أنهم لم يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ جحودًا منهم وعنادًا واستكبارًا، وقد صحَّ عندهم إعجاز القرآن، وإلا ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ**﴾ أي بقرآنٍ يشبهه من تلقاء أنفسهم ﴿ **إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ في أنَّ محمدًا افتراه. فإن كان شاعرًا ففيكم الشعراء البلغاء، والكهنة الأذكياء، ومن يَرْتَجِلُ الخُطب والقصائد ويقُصُّ القصص، فليأتوا بمثل ما أتى به.(٢)

٦-ذمُّ الطغيان وأهله؛ فإنه منبع كل شرٍ، ومصدر كل فتنةٍ وضلال، وصفهم بقوله:(بل هم قومٌ طاغون) فالآية تتضمن تقرير حقيقة أمرهم في مواقفهم ومزاعمهم وهي فقدان حسن النية والرغبة في الإيمان، وتعمد الطغيان والعدوان والإنكار وليس شيئًا ناشئًا عن عقلٍ وتدبرٍ وتروٍّ.(٣)

٧- خلودُ دعوة التحدي بالإتيان بمثل القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته وإعجازه ونبوءاته الغيبية عن المستقبل، وعمومية هذه الدعوة لتشمل كل البشر والعصور.

٨- سيبقى القرآن الكريم المعجزة الباقية الخالدة، والحجة الدائمة المستمرة التي تحدى الله بها البشر جميعهم، وقد بشَّر الله بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن أو سورةٍ من مثله، ولو اجتمعوا مع الجنِّ يطلبون العون والسند والنصر، حيث قال ﷻ: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[الإسراء:٨٨]، وسيبقى

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٧٧) بتصرُّف.

(٢) يراجع: المرجع السابق (ج٢٧/٧٧-٧٨).

(٣) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٨١)، دروزة، التفسير الحديث (ج٥/٣٦٦) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن حجة الله على خلقه إلى يوم الدين، والمعجزة الخالدة لرسوله الكريم ﷺ التي تكفَّل الله بحفظها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].(١)

❖ **المطلب الثاني: إثبات وجود الخالق وقدرته على الحشر.**

قال الله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)**﴾.[الطور ٣٥-٣٨].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ردَّ الله تعالى على ما زعم كفار قريشٍ من أنَّ محمدًا كاهنٌ أو شاعرٌ أو مجنونٌ، ذكر الدليل من الأنفس والآفاق على صدقه، وإبطال تكذيبهم لرسالته، وإنكارهم للخالق، وإثبات التوحيد بخلقهم وخلق السماوات والأرض، علمًا بأنَّ إثبات الخلق الأول دليلٌ على جواز الخلق الثاني وإمكانه وهو الحشر.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **خَزَائِنُ رَبِّكَ** ﴾ وفيه وجوهٌ: **أحدها**: المراد من الخزائن خزائن الرحمة. **ثانيها**: خزائن الغيب. **ثالثها**: أنه إشارةٌ إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان. **رابعها**: خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان ولم يسمع بها.(٢)

فيكون معنى الخزائن هو الجامع لمفاتيح رحمة الله ونعمته، وخزائن الغيب والرزق والمطر.

٢- ﴿ **الْمُصَيْطِرُونَ** ﴾ المسيطر والمصيطر: المسلَّط على الشيء، يقال: سيطر يسيطر فهو مسيطر ومصيطر، بالسين والصاد، والأصل السين، وكل سينٍ بعدها طاء يجوز أن تُقلب صادًا وقد تقلب السين صادًا؛ لأجل الطاء.(٣)

والمصيطرون: هم الأرباب الغالبون والمحاسبون للخلائق، حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على مشيئتهم، وليس الأمر كذلك، بل الأمر بيد الله ﷻ المتصرِّف الفعَّالٌ لما يريد.(٤)

---

(١) انظر: مرجع مشابه، التفسير المنير (ج١٥/١٦١).

(٢) يراجع: الرازي، التفسير الكبير (ج٢٨/٢١٧).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٤/٣٦٤) باختصار.

(٤) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٨٧)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٧/٤٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ** ﴾ (أم) في موضع الألف، والتقدير: أَخَلَقَ هؤلاء المشركون أنفسهم.[١]

(من غير شيءٍ) يجوز أن تكون (من) لابتداء الغاية على معنى: أم خُلقوا من غير شيءٍ حيٍّ كالجماد. وقيل: هي للسببية على معنى: من غير علةٍ ولا لغاية ثوابٍ ولا عقابٍ.[٢]

٢- ﴿ **أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ** ﴾ (يستمعون): صفةٌ لسُلَّم، و(فيه) ظرفٌ مستقرٌّ، حالٌ من ضمير يستمعون، أي وهم كائنون فيه لا يفارقونه إذ لا يُفْرَضُ أنهم ينزِلون منه إلى ساحات السماء.[٣]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

- ﴿ **أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**..﴾ إعادة حرف (أم) للتأكيد كما يعاد عامل المبدل منه في البدل، والمعنى: أم هم الخالقون للسماوات والأرض.

والاستفهام إنكاريٌّ، والكلام كنايةٌ عن إثبات أن الله خالق السماوات والأرض، والمعنى: أنَّ الذي خلق السماوات والأرض لا يُعجزه إعادة الأجساد بعد الموت والفناء.[٤]

خامسًا: القراءات القرآنية:

- ﴿ **أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ** ﴾ قرأ ابن كثير وحفص: (أم هم المسيطرون) بالسين وقرأ حمزة بالإشمام، وقرأ الباقون بالصاد. وتصحُّ القراءة بالصاد والسين، والأصل السين، وكلُّ سينٍ بعدها طاءٌ يجوز أن تقلب صادًا، مثل: سطر وصطر.. ويجوز الإشمام فيهما.[٥]

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن أمر الله ﷻ نبيه محمدًاﷺ بالتذكير والموعظة وعدم الالتفات إلى أقوال السفهاء من كفار قريشٍ وغيرهم، وبعد أن زكَّاه من التهم التي نسبت إليه زورًا وبهتانًا، أبطل الله شِرك المشركين

---

(١) انظر: مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧١٣١).

(٢) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٧٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (ج١٠/٧٨)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٣).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٦٩).

(٥) يراجع: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وردَّ على إنكارهم وحدانية الخالق، فهل وُجدوا من غير مُوجِدٍ، أم إنَّهم أَوجدوا أنفسهم؟ وبما أن الأمرين منتفيان عقلًا وواقعًا، فالله هو الذي خلقهم، وهو الإله الواحد.

وهل خلقوا السماوات والأرض وما فيهما من العجائب، وأسباب العيش، ليدعوهم ذلك إلى التكبر، بل في الواقع إنهم غير مستيقنين حقًّا بأنَّ الله هو الخالق، خلافًا لإقرارهم، فهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرًا يؤديهم إلى اليقين، وخصَّ الله من الأشياء السماوات والأرض لعظمتهما وشرفهما في المخلوقات، وهذا توبيخٌ لهم على أنفسهم.

أم عندهم الاستغناء عن الله ﷻ في جميع الأمور، فهل يملكون خزائن الله من النبوة والرزق والمال والصحة والقوة وغير ذلك من الأشياء، فيتصرفوا فيها كيف شاءوا، أم هم المسلطون على المخلوقات، يدبرون أمرها كيف يشاءون؟ والواقع ليس الأمر كذلك، بل الله هو المالك المتصرف في كل شيء وهو الفعال لما يريد.

بل أيقولون: إنَّ لهم سلَّمًا منصوبًا إلى السماء والأماكن العالية يصعدون به، ويستمعون فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم، ويطَّلعون على علم الغيب؟ فليأتِ مستمعهم إليهم على صحة ما هم فيه بحجةٍ ظاهرةٍ واضحة، كما أتى محمدًاﷺ بالبرهان الدالِّ على صدقه، والواقع أنهم لا دليل ولا حجة لهم على ما يقولون، ويبقى النص مفتوحًا لمن تسّول له نفسه ويدَّعي اطلاعه على علم الغيب.(١)

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- إثبات وجود الخالق ﷻ وقدرته على الحشر، وإثبات البعث والجزاء، والردُّ على من أنكر البعث ووجود الخالق ﷻ بأن الله هو المدبر والخالق الأول لهذا الكون، والخلق دليلٌ على وجود الخالق ﷻ، وقدرته على البعث والحشر وإعادة الأعيان.

٢- أنَّما خلقه الله ﷻ من بدء الخلق من سماواتٍ وأراضين وغيرهما أعظم وأفخم من إعادة الأجساد بعد الموت والفناء، والبعث أمرٌ ممكن، وكل أمرٍ ممكنٍ جائز الوقوع؛ لأنَّ القادر على البدء قادرٌ على إعادة الأعيان، بل إنَّ الإعادة أهون والله أعلم، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا** ﴾ [الإسراء:٩٩]، وأيضًا ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [الأحقاف:٣٣].

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج٣/٢٠١٩) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- أنكر القرآن على الكفار اعتراضهم على نبوة النبي محمد ﷺ بأنه هل عندهم خزائن الرحمة والغيب والرزق حتى يختاروا للنبوة من أرادوه ؟ أم أنهم المصيطرون على العالم الغالبون حتى يدبروا أمر العالم على حسب مشيئتهم؟(١)

٤- أنكر القرآن على الكفار قدرتهم على تحصيل شيء من علم الغيب، ومضمون ذلك: أيدعون أنَّ لهم مرتقى إلى السماء ومصعدًا وسببًا يستمعون الأخبار، والكلام الموحى للملائكة، ويصلون به إلى علم الغيب، كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحي، فإذا صحَّ ذلك فليأت مستمعهم على صحة ادعائه بحجةٍ بيِّنةٍ واضحةٍ أنَّ هذا الذي هم عليه حق.(٢)

٥- أنَّ هذه الآيات الكريمة كانت سببًا في إسلام الصحابي جبير بن مطعم ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه، عن جبير بن مطعم ﷺ، قال: " **سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور، فلما بلغ هذه الآية:** ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ** ﴾" **قال: كاد قلبي أن يطير.**(٣)

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (٨٢/٢٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٨٣/٢٧) بتدخل.

(٣) البخاري: صحيح البخاري / كتاب تفسير القرآن، باب قوله:﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ [ق: ٣٩]، ١٤٠/٦: رقم الحديث:٤٨٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثالث: تسفيه أحلام كفار قريش وتنزيه الله عن نسبة الشريك له.**

قال الله تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)** ﴾.[الطور ٣٩-٤٣].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا جرى نفي أن تكون لهم مطالعة الغيب من الملأِ الأعلى إبطالاً لمقالاتهم في شؤون الربوبية، أعقب ذلك بإبطال نسبتهم لله البنات، استقصاءً لإبطال أوهامهم في المغيبات من العالم العلوي، ولما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة، وكان ادعاؤهم الولد عظيمًا جدًّا لدلالته على حاجته وضعفه، وكان جعله البنات أعظم؛ لأنَّه دالٌّ مع ضعفه على سفهه، دلَّ على استعظامه بالالتفات إلى خطابهم بعذابهم فقال:(أم له البنات) أي كما ادعيتم، ولكم خاصة (البنون)؛ لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله محمدًاﷺ وتردُّوا قوله من غير حجةٍ فتكونوا آمنين من عذابٍ يأتيكم منه لضعفه وقوتكم، وهذه الأقسامُ كلُّها على تقدير التكذيب، وهي هنا بذكر ما على تقدير التصديق، وإنَّما وقع الرَّد فيها لعارض وقع.[١]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ المغرم: أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه، أي: لزمهم مغرمٌ ثقيلٌ فدحهم وبهَّظهم، فزهَّدهم ذلك في اتباعك. وقيل: هو ما يفرض على أحد من عوضٍ يدفعه.[٢]

٢-﴿ **أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ أي: علم الغيب وما غاب عنهم، وقيل: اللوح المحفوظ.[٣] فالمعنى أم عندهم الغيب فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؛ حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم.[٤]

٣- ﴿ **أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا** ﴾ أي: أراد المشركون بدين الله ﷻ وبرسوله ﷺ كيدًا، أي: مكرًا وخديعةً.[٥]

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٢٩)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٤) بتصرف.

(٢) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٨٧)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٥).

(٣) يراجع: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٢٧٩).

(٤) يراجع: المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين (ج١/٦٩٩).

(٥) انظر: مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧١٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ **فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ** ﴾ أي: هم الممكور بهم المهلكون، دون محمدٍ ﷺ ودينه ومن آمن به.(١)

ثالثًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ**﴾ تقديم قوله: (لكم) على قوله: (البنون) لإفادة الاختصاص، أي لكم البنون دونه فهم لهم بنين وبنات، وأما تقديم المجرور(له) على المبتدأ (البنات) في قوله:(أم له البنات) فالاهتمام باسم الجلالة ﷻ.(٢)

وفي الآية التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التَّوبيخ والتَّقريع للمشركين.(٣)

٢- ﴿ **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** ﴾ الاستفهام المقدر بعد (أم) مستعملٌ في التهكم بالمشركين بتنزيلهم منزلة من يتوجس خيفة من أن يسألهم الرسول ﷺ أجرًا على إرشادهم، و(مِنْ) للتعليل، أي مثقلون من أجل مغرمٍ حمل عليهم.(٤)

٣- ﴿ **أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ التعريف في (الغيب) تعريفٌ للجنس، وكلمة (عند) تؤذن بمعنى الاختصاص والاستئثار، أي استأثروا بمعرفة الغيب فعلموا ما لم يعلمه غيرهم.(٥)

٤- ﴿ **أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ** ﴾ضمير الفصل(هم) أفاد القصر، أي الذين كفروا المكيدون دون من أرادوا الكيد به. وإطلاق اسم الكيد على ما يجازيهم الله به عن كيدهم من نقض غزلهم إطلاقٌ على وجه المشاكلة بتشبيه إمهال الله إيَّاهم في نعمة إلى أن يقع بهم العذاب بفعل الكائد لغيره، وهذا تهديدٌ صريحٌ لهم.(٦)

٥- ﴿ **أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (مَا) في قوله: (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يحتمل أن تكون مصدريةً، أي عن إشراكهم، ويُحتمل أن تكون خبريَّةً أي: عن الذين يشركون.(٧)

رابعًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن أثبت رسالة محمد ﷺ وردَّ عليهم ما زعموه من أنه كاهنٌ أو شاعرٌ أو مجنون، وأمره أن

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) يراجع: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٤) باختصار.

(٣) يراجع: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٧٨).

(٤) راجع: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٥-٧٦).

(٥) ينظر: المرجع السابق.

(٦) ينظر: المرجع نفسه ص٧٦.

(٧) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج١٨/١٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمضى للدعوة ويذكِّر الناس ويبشرهم وينذرهم ولا يأبه لمقالتهم، فالله ناصره عليهم وسينتقم منهم عاجلًا أم آجلًا، ففي السياق القرآني انتقل إلى الرد عليهم في إنكارهم للخالق كما هو شأن الدهريين، أو لادعائهم لله ﷻ شريكًا كما هو شأن كثيرٍ من العرب الذين قالوا: أن الملائكة بنات الله، وقالوا: ما نعبد الأوثان والأصنام إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر:٣].

فوبَّخهم الله ﷻ على ما هو أشنع وأقبح من تلك المزاعم الباطلة وهو نسبتهم إلى الله البنات، وجعلهم لله ما يكرهون لأنفسهم، فكيف تجعلون لله البنات مع كراهتكم لهن وتجعلون لأنفسكم البنين؟ أهذا هو المنطق والإنصاف؟ فسفَّه الله ﷻ أحلامهم توبيخًا لهم وتقريعًا، ثم بعد ذلك أدحض مزاعمهم بادعائهم الغيب والمجهول، فقال تعالى موبخًا: أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاءوا ويخبرونهم بما أرادوا وليس الأمر كذلك، إذ لا يعلم غيب السماوات والأرض إلَّا الله. وبعد أن أقام عليهم الحجة في كل ذلك، وسدَّ عليهم المسالك، طلب إليه أن يتوكل عليه، وأن يعلم أن كيدهم لا يضره شيئًا، فكيدهم راجعٌ إليهم ووباله على أنفسهم ﴿ **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** ﴾[فاطر:٤٣]، فالله ناصره عليهم، وسيُظهر دينه، ويتم له الغلبة والنصر عليهم.(١)

خامسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- لقد سفَّه القرآن الكريم أحلام كفار قريشٍ وأمثالهم وقرَّعهم ووبَّخهم في قولهم: الملائكة بنات الله، وهذا إشارةٌ إلى نفي الشرك، فهل يُعقل أن يكون لله البنات، وللبشر البنون؟ ومَنْ كان عقله هكذا فلا يُستبعد منه إنكار البعث.(٢)

٢- أكَّد الحقُّ ﷻ صدق نبوة عبده ﷺ بدليل أنه لا يطلب أجرًا على تبليغ الرسالة، فهم من المغرم الذي يطالبهم به مجهدون لما كلفهم به، ثم أضاف دليلاً آخر وهو أنه ليس عندهم علم بالغيب يكتبون للناس ما أرادوه من علم الغيب.(٣)

٣- جاء في هذه الآيات إعجازٌ من المعجزات القرآنية وإخبارٌ عن الغيب لإثبات صدق نبوة محمد ﷺ وهي كالتالي: أنَّ الكفار دبَّروا مكيدةً لقتل النبي ﷺ والتخلص من دين الإسلام.

---

(١) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٣٥،٣٣)، الصابوني، صفوة التفاسير (ج٣/٢٥٠) بتدخل.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٨٣).

(٣) انظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأيضًا إنَّ السورة مكية، وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة، ثم أهلكهم الله ﷻ بوقعة بدرٍ الكبرى عند انتهاء سنين عدتها [عدة ما في السورة من لفظ (أم)]، وهي خمس عشرة، فإنَّ بدرًا كانت في الثانية من الهجرة وهي الخامسة عشر من النبوة، وقد أذلهم الله في مواطن كثيرةٍ وتمرَّغت أنوف كبار الكفر بالتراب، ومكر الله ﷻ بهم ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [آل عمران:٥٤].[١]

٤- أنَّ الله ﷻ تكفَّل لنبيه ﷺ بعصمته من الناس ومنع الناس من قتله، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة:٦٧]، فمضى النبي ﷺ في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، ونشر الدين وتعليمه للناس ولم يخش في الله لومة لائمٍ، حتى تبعه وإنقاد لأمر الله وشرعه كبار القبائل ودخل أقوامهم في دين الله أفواجا.

٥- جرت سنة الأنبياء- عليهم السلام- ألّا يطلبوا على رسالتهم أجرًا، وألّا يؤملوا لأنفسهم عند الخلق قدرًا، فعملهم لله لا يطلبون شيئًا من غير الله. فمن سلك من العلماء سبيلهم حشر في زمرتهم، ومن أخذ على صلاحه من أحدٍ عوضًا، أو اكتسب بسداده جاهًا لم ير من الله إلا هوانًا وصغارا.[٢]

٦- قال الشيخ الشنقيطي[٣] – رحمه الله -: " ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة: أنَّ الواجب على أتباع الرسل من العلماء وغيرهم أن يبذلوا ما عندهم من العلم مجانًا من غير أخذ عوضٍ على ذلك، وأنه لا ينبغي أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله ﷻ، ولا على تعليم العقائد والحلال والحرام".[٤]

وذهب أكثر أهل العلم إلى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، ومن العلماء من رخَّص في أجور المعلمين.

وعلى الإنسان إذا لم تدعه الحاجة الضرورية فالأولى له ألا يأخذ عوضًا على تعليم القرآن، والعقائد، والحلال والحرام، وإن دعته الحاجة أخذ بقدر الضرورة من بيت مال المسلمين، أو أن

---

(١) انظر: محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٢٣٥) بتدخل.

(٢) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج٢/١٣٣).

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، مفسر وأصولي وفقيه سلفي، من تلاميذه: ابن عثيمين، من مؤلفاته: (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن) و (منع جواز المجاز) و (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) و (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) ، ت ١٣٩٣ هـ (انظر: ملتقى أهل الحديث، الوفيات والأحداث (ج١/٢٠٩)).

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان (ج٢/١٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتوفر له مرتبًا من قبل الدولة ؛ لأنَّ الظاهر أن المأخوذ من بيت المال من قبيل الإعانة على القيام بالتعليم لا من قبيل الأجرة.

والأولى لمن أغناه الله أن يتعفف عن أخذ شيءٍ في مقابل التعليم للقرآن والسنة، والعقائد والحلال والحرام، والله تعالى أعلم.(١)

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان (ج٢/١٨٢) بتلخيص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة الطور من الآية (٤٤-٤٩).

❖ **المطلب الأول: الإعراض عن الكفار لمكابرتهم في المحسوسات، وتهديدهم بالهلاك السريع.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧)** ﴾.[الطور ٤٤-٤٧].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد تفنيد مزاعم المشركين في الحشر والمعاد، والألوهية والوحدانية، والنبوة والشرك، وإثبات المعاد والتوحيد وصدق النبوة ونفي الشرك، أجاب الله ﷻ عن بعض مقترحاتهم بإسقاط قطعةٍ من السماء تعذيبًا لهم، وبيَّن مدى مكابرتهم في إنكار المحسوسات، فضلًا عن المعقولات، ثم أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالإعراض عنهم، والصبر على مساوئهم ومكائدهم، وعنادهم وجهلهم، فإن الله ناصرك عليهم وحافظك من شرورهم، وأخبره بأن العذاب واقع بهم لا محالة في الدنيا قبل الآخرة.

ثانيًا: سبب النزول:

روى الطبري عن ابن زيد قال: حين سألوا [كفارَ قريشٍ] النبي ﷺ الكِسْفَ قالوا: أسقط علينا كِسفًا من السماء إن كنت من الصادقين.(١)

أي: أنهم قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن لك، ولن نصدق أنك رسولٌ من عند الله حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا؛ لتبرهن لنا أنك من عند الله ولا تدعي النبوة، فأنزل الله هذه الآيات.

ثالثًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **كِسْفًا** ﴾ الكِسْفُ جمع كِسْفَةٍ، وهي القطعة من الشيء(٢)، كالنار والشهب والصواعق.

٢- ﴿ **مَرْكُومٌ** ﴾ المجموع والمتراكم الذي تجمع بعضه فوق بعض، يقال: رَكَمَهُ رَكْمًا، وهو السحاب الممطر قال الله ﷻ: ﴿ **ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا** ﴾ [النور: ٤٣]، والمعنى: أن يقع ذلك في المستقبل يقولوا: سحابٌ قد تجمَّع.(٣)

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٨٥).

(٢) انظر: المرجع السابق ص٤٨٦، محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٢٣٦).

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٩)، طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿ يُصْعَقُونَ ﴾ الصَّعق: هو الإغماء من خوفٍ أو هلع. وأصله مشتقٌ من الصاعقة؛ لأنَّ المصاب بها يغمى عليه أو يموت.(١) فمعنى يصعقون يموتون أو يهلكون من شدة صوت الصاعقة، التي تزلزل الأسماع والأبدان، فما لهم من مهرب أو مأوىً يلجئون إليه.

٤- ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ ﴾ الإغناء: جعل الغير غنيًّا، أي غير محتاجٍ إلى ما تقوم به حاجياته.(٢)

والكيد: هو فعلٌ يسوء من نزل به، وإن حسن ممن صدر منه.(٣) فيوم القيامة لا ينفعهم كيدهم الذي أعدوه للنبي ﷺ، ولا يمنعهم من العذاب الواقع بهم مانعٌ ولا حاجب.

٥- ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: أن للظالمين عذابًا في الدنيا قبل عذاب يوم القيامة، وهو قتلهم يوم بدر، وقيل: هو مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا، وذهاب الأموال والأولاد، وقال مجاهد: "هو الجوع "(٤)، وقيل: هو عذاب القبر، وقيل: المراد بالعذاب هو القحط، وبالعذاب الذي يأتي بعده هو قتلهم يوم بدر.(٥)

رابعًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ وَإِنْ يَرَوْا ﴾ إنْ: إما شرطيةً جازمة، وإما بمعنى لو.(٦)

٢- ﴿ سَاقِطًا ﴾ يُحتمل أن يكون مفعولًا ثانيًا، أو حالًا، أو صفةً لكسفًا منصوبة مثلها.(٧)

٣- ﴿ سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ سحاب: خبر مبتدإٍ مضمرٍ أي: (هذا سَحَابٌ)، مركوم: صفةٌ لسحاب، والجملة الاسمية في محل نصب مفعولٍ به (مقول القول).(٨)

٤- ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي ﴾ يوم: بدل من (يومهم) وفتحته فتحة إعرابٍ؛ لأنه أضيف إلى معرب.(٩)

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٨١).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٨٧).

(٤) مجاهد، تفسير مجاهد (ج١/٦٢٤).

(٥) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٢٣).

(٦) انظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج١٨/١٤٦).

(٧) انظر: المرجع السابق ص١٤٧، وبهجت صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (ج١١/٢٦٥).

(٨) انظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج١٨/١٤٧)، وبهجت صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (ج١١/٢٦٥).

(٩) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا** ﴾ أسلوب الفرض والتقدير، أي لو رأوا ذلك لقالوا ما قالوا.(١)

واستُعمل في السماء لفظة الكِسْفِ، واللغويون ذكروا استعمالها في الثوب؛ لأنَّ الله تعالى شبه السماء بالثوب المنشور، ولهذا ذكره فيما مضى فقال: ﴿ **وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال أيضًا: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ** ﴾ [الأنبياء:١٠٤].(٢)

٢- ﴿ **يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ** ﴾ المراد باليوم: يوم القيامة الذي فيه يحشرون، وملاقاتهم لليوم مستعارةٌ لوقوعه، حيث شُبِّه اليوم وهو الزمان بشخصٍ غائبٍ على طريقة الاستعارة المكنية، وإثبات الملاقاة إليه تخييلٌ. والملاقاة مستعارةٌ أيضًا للحلول فيه والتلبس به، والإتيان بالاسم الموصول (الذي) للتنبيه على خطأ المنكرين من الكفار في إنكاره.(٣)

سادسًا: القراءات القرآنية:

- ﴿ **فِيهِ يُصْعَقُونَ** ﴾ قرأ عاصم وابن عامرٍ: (فيه يُصْعقون) بضم الياء أي يهلكون، وقرأ الباقون (يَصْعقون) بالفتح أي يموتون، حيث جعلوا الفعل منسوبًا إليهم، تقول: صعق الرجل يصعق وأصعقه غيره.

فحجَّةُ من فتح الياء قوله: ﴿ **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الزمر:٦٨]، وأما من قرأ: (يُصعقون) فإنَّه نقل الفعل بالهمزة، تقول صُعِقَ هو، وأَصْعقه غيره فـ(يُصعقون) من باب يُكرمون لمكان النقل بالهمز.(٤)

سابعًا: المعنى الإجمالي:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآيات الكريمة عن عناد المشركين ومكابرتهم للمحسوسات والآيات الدالة على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، فيقول الله ﷻ حتى لو رأوا يا محمد كسفًا من السماء، فلن يصدقوا ولن يؤمنوا، وسيقولوا هذا سحابٌ ممطرٌ مجموعٌ متراكم، تجمع بعضه فوق بعض.

وبعد هذا العناد والتكبر.. تنتهي السورة الكريمة بنداءٍ وأمرٍ من المولى ﷻ لنبيه ﷺ بالإعراض

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٨٤).
(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٨/٢٢٣).
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٧٩) بتصرف.
(٤) راجع: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن الكفار لمكابرتهم في المحسوسات، والصبر على مساوئهم ومكائدهم، وتوجيه تهديد سريع بهلاكهم في يومٍ لن ينفعهم عنادهم وكيدهم، ولا يدفع عنهم شيئًا من العذاب والهلاك، وسيلقوا وبال هذا العناد والتكبر بالعذاب والإهانة، وهذا ما حصل لهم يوم وقعة بدر في هزيمتهم النكراء، ومقتل صناديدهم وفرسانهم، ورجوعهم خائبين إلى مكة يجرون أذيال الهزيمة والخيبة والندم، إما أن يكون العذاب هو ما أعده الله ﷻ لهم عند النفخة الأولى (الصعقة)، فيصعقون ويهلكون، ولا ينفعهم حينها نافعٌ، ولا ينصرهم ناصر، ولا يمنعهم من العذاب الواقع بهم مانع ولا حاجب، ثم أخبر الله ﷻ بأن للذين ظلموا أنفسهم بالعناد والرضى بالكفر [وهم أهل مكة] عذابًا في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وهو قتلهم يوم غزوة بدر الكبرى، وما أصابهم من مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا، وذهاب الأموال والأولاد، أو الجوع، أو القحط سبع سنين، أو عذاب القبر في البرزخ قبل القيامة (١)، وإن أكثر هؤلاء الظلمة لا يعلمون ما أعده الله لهم من عذاب في الدنيا وفي الآخرة؛ وذلك لجهلهم بما ادَّخره الله لهم من عقاب وحساب على أعمالهم.

ثامنًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- شأن الكفار وديدنهم العناد ومكابرتهم للمحسوسات والبراهين الجلية، حتى إنهم لو رأوا بأعينهم أمارات العذاب النازل عليهم من السماء كالشهب والصواعق، لَمَا أيقنوا ولَمَا آمنوا، وظلُّوا على كفرهم وتكبرهم عن الحق، وزعموا أنه سحابٌ محملٌ بالمطر متراكم بعضه على بعض، وليس بصواعق ولا عذابٍ مُحل.(٢)

٢- للكفار عذابان: عذاب النار في الآخرة، وهو الأدهى والأمر؛ لأنه عذابٌ خالدٌ دائم، قال تعالى: ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ [القمر:٤٦]، وعذابٌ في الدنيا قبل موتهم وهو أخفُّ من عذاب الآخرة، وعذاب الدنيا وإنْ عَظُم أخف وأهون من عذاب الآخرة، وذلك بالتعرض لمصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا وذهاب الأموال والأولاد، والجوع والقحط سبع سنين، وقد حصل ذلك لأهل مكة، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون أن العذاب نازلٌ بهم، ولا يعلمون كيف مصيرهم.(٣)

٣- تقرير وخامة عاقبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة.﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان:١٣]، وقال أيضًا: ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**

---

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٢٣) بتلخيص.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٨٩) بتدخل.

(٣) راجع: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٩٠) مختصرًا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران:١٥١] فهذا وعيدٌ بالعذاب في الدنيا والخلود في النار يوم القيامة، وقد وصف الله ﷻ حال الظالمين وكيفية تعذيبهم فقال ﷻ: ﴿ **لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأعراف:٤١]، وكثر الحديث عن الظالمين وأحوالهم في القرآن، وقد اقتصرت الحديث حتى لا أطيل في البحث.

٤- الصبر مفتاح الفرج؛ لذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر على القضاء فيما حمَّله من رسالته العظيمة ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ [النحل:١٢٧]، وأعلمه بأنه بمرأى ومنظر من الله يراه ويسمع ما يقول ويفعل، وأنه موضع عناية الله ونظره وحمايته ولن يصيبه من كيدهم شيء، والله حافظه وحارسه وراعيه ﴿ **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف:٦٤].(١)

فحريٌّ بنا أن نقتدي بالنبي ﷺ وأن نتحلى بالصبر والسكينة في نشر الدين الإسلامي، والتوعية الإسلامية بين أبناء المسلمين، ولا نلتفت إلى منتقدٍ أو رامٍ إلينا بالرجعية أو عدم صلاح الدين لكل زمانٍ ومكانٍ، بل علينا أن نقيم الحجة عليه لإظهار الدين وإعلاء كلمة الله في كل أرجاء الأرض.

٥- اشتملت الآيات الكريمة على أسلوبٍ تطميني، تكرر كثيرًا منها في القرآن الكريم عامة، وفي هذه الآيات الكريمة خاصةً، مثل: (اصبر، ذر، اتركه، لا تحزن.. إلخ) فكان يمدُّ النبي ﷺ بالقوة والتأييد والتحمل، ويجعله يستمر في مهمته غير مبالٍ بقوة الكفار وكثرتهم، ويستغرق في عبادة الله ﷻ وذكره وهو مطمئنٌ بحسن العاقبة.(٢)

٦- ثبوت عذاب البرزخ، في المرحلة الفاصلة بين الحياة الدنيا التي يفارقها المرء، والحياة الآخرة التي ينتظرها وهي التي تسمى بالحياة البرزخية، فيقع في هذه الحياة نعيم للمؤمنين، وعقاب للكافرين، فيكون النعيم والعقاب على حسب الأعمال. والله أعلم.(٣)

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٩٠) بتصرف، ودروزة، التفسير الحديث (ج٥/٣٧١) بتلخيص.

(٢) ينظر: دروزة، التفسير الحديث (ج٥/٣٧١) بتدخل.

(٣) يراجع: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (ج١/٥٢٥)، والبيجوري، تيسير شرح جوهرة التوحيد (ج٣/٣٣) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثاني: التوجيه الإلهي بالصبر والتسبيح والتحميد لتقوية العزيمة وتفريج الكربات.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)** ﴾.[الطور٤٨-٤٩].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن أخبر الله ﷻ عن عناد المشركين ومكابرتهم للمحسوس، وبعد أن أجاب عن بعض مقترحاتهم بإسقاط قطعةٍ من السماء تعذيبًا لهم، وبيَّن مدى مكابرتهم في إنكار المحسوسات، فضلاً عن المعقولات، أمر نبيه ﷺ بالإعراض عنهم، والصبر على مساوئهم ومكائدهم، فإن الله ناصرك عليهم وحافظك، وأخبره بأن العذاب واقعٌ بهم في الدنيا قبل الآخرة، وقوَّى معنوية نبيه ﷺ بالاعتصام به، والإقبال على طاعته، وذِكْرِه صباحًا ومساءً، نهارًا وليلًا حين يقوم من منامه أو من مجلسه أو بعد غياب النجوم، وإصباح الصباح.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** ﴾ يعني: واصبر لِمَا أمرك ربك، ونهاك عنه، ويقال: واصبر على تكذيبهم وأذاهم لك، ولِمَا حُكم عليك، وهذا أمرٌ من الله لنبيه ﷺ بالصبر لما قد يلحقه من أذىً من المشركين، وفيه أيضًا تعزيةٌ وتسليةٌ له ﷺ في الأذى الذي كان يلحقه من الكفار.(٢)

٢- ﴿ **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ أي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك. وجمع لفظ العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ.(٣)

٣- ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** ﴾ (سبِّح) أي: نزِّهه ﷻ عما لا يليق به ملتبسًا، (بحمد ربك) أي احمد الله ﷻ واشكره على نعمائه الفائتة للحصر، (حين تقوم) أي من أي مكان قمت يا محمد سواء من مجلسٍ أو منامٍ أو أي وقتٍ من الأوقات، واستعن على الصبر بالتسبيح الذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها، والضراعة والدعاء صباح مساء.(٤)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٨٥) بتصرف.

(٢) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٥٧)، السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٢٨١) بتدخل.

(٣) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٥٣).

(٤) يراجع: المرجع السابق، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٨٦) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ ومن اللَّيل فعظِّم ربَّك يا محمدُ بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب والعشاء.(١)

٥- ﴿ إِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ يعني حين تدبر النجوم للأفول عند إقبال النهار، وقيل: عُنِي بذلك ركعتا الفجر، على اعتبار انتشار النور والضياء، واختفاء النجوم تبعًا لذلك.(٢)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ اللام يجوز أن تكون بمعنى (على) فيكون لتعدية فعل (اصبر)، ويجوز فيها معنى (إلى) أي: اصبر إلى أن يحكم الله بينك وبينهم، ويجوز أن تكون للتعليل فيكون (لحكم ربك) هو ما حكم به من إرساله إلى الناس، أي اصبر؛ لأنك تقوم بما وجب عليك.(٣)

٢- انتصب قوله: ﴿ وإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ على الظرفية الزمانية؛ لأنه على تقدير: ووقت إدبار النجوم.(٤)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

-﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فالعين مجازٌ عن الحفظ، وجمع العين هنا لإضافته إلى ضمير الجمع، وفائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ كأن معه من الله ﷻ حافظًا يكلؤونه بأعينهم.(٥)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

جاءت الآيتان الأخيرتان خاتمةً للسورة.. وطابع الختام ظاهرٌ عليها في التوجه لله ﷻ بالتسبيح.. حيث قال الله ﷻ: واصبر أيها الرسول على أذى هؤلاء القوم الفجرة، ولا تبال بهم، إلى أن يقع بهم العذاب الذي وعدناهم به، فإنك بمرأى ومنظرٍ منا، وفي حفظنا وحمايتنا وتحت كلاءتنا ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة:٦٧].

قال سيد قطب – رحمه الله– في شرح قوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾: " يا له من تعبير! ويا له من تصوير! ويا له من تقدير! إنها مرتبةٌ لم يبلغها قط إنسان، هذه المرتبة التي يصورها هذا التعبير الفريد في القرآن كله، حتى بين التعبيرات المشابهة، وهو تعبيرٌ فيه إعزازٌ خاص، وأنسٌ خاص.

---

(١) يراجع: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٩٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٨٣).

(٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٨٥).

(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٣/١٨٣)، الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٤٠) مختصرًا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو يلقي ظلًّا فريدًا أرقّ وأشفَّ من كل ظلٍ.. ولا يملك التعبير البشري أن يترجم هذا التعبير الخاص".[(١)]

ثم أمر الله ﷻ نبيه ﷺ فقال ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** ﴾ أي ونزّه ربك عما لا يليق به لإنعامه عليك، واعبده بالتلاوة والصلاة حين تقوم من مجلسك فقل: (سبحان الله وبحمده) أو(سبحانك اللهم وبحمدك) عند قيامك من كل مجلسٍ تجلسه.

وعن أبى برزة الأسلمي ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ بآخرةٍ [أي بآخر عمره] إذا قام من المجلس يقول: **سُبحانَك اللهُم وبِحَمدِكَ، أشهدُ أنْ لا إلَه إلَّا أنتَ، أستغفرك وأتوب إليك، فقال رجل يا رسول الله: إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، قال: كفارةٌ لما يكون فى المجلس** ".[(٢)]

وختم المولى ﷻ السورة بتوجيه للنبي ﷺ فقال: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبارَ النُّجُومِ** ﴾ أي: وسبِّحه فى صلاة الليل في جوف الليل؛ لأنَّ العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء، وحين إدبار الليل بظهور ضوء الصبح. وقيل المراد من التسبيح من الليل صلاة المغرب والعشاء، ومن إدبار النجوم ركعتا الفجر. وقد روي ذلك عن عمر وعليٍّ وعائشة ﷺ.[(٣)]

ويأتي أمرٌ من الله ﷻ لنبيه ﷺ في موضعٍ آخر من القرآن الكريم نحو قوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً**﴾[الإسراء:٧٩]، فهذه عبادة نافلة زيادة على المكتوبة، لنيل درجة السمو والشرف والرفعة عند الله ﷻ وهي بلوغ المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة.

ويأتي فضل هذه الأوقات أيضًا في أحاديث رسول الله ﷺ وحسبي أن أذكر دليلًا واحدًا حتى لا أطيل، وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: " **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ** ".[(٤)] فالغدوة أول النهار، والروحة الوقت من بعد زوال الشمس إلى الليل،

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٤٠٢) باختصار.

(٢) [أخرجه أبو داود، سنن أبو داود، كتاب الأدب / باب في كفار المجلس، ٢٦٥/٤: رقم الحديث ٤٨٥٩]. و[النسائي، سنن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة / باب كفارة ما يكون في المجلس، ١٦٣/٩: رقم الحديث ١٠١٨٧]، والحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر / باب حديث أبي برزة الأسلمي، ٧٢١/١: رقم الحديث ١٩٧١]. قال الألباني: حديثٌ حسنٌ صحيح.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٩٠-٤٩١) بتلخيص، المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٣٨-٣٩٨) بتصرف.

(٤) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان / باب الدين يسر، ١٦/١: رقم الحديث ٣٩].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدُّلجة آخر النهار أو الليل. فخص النبي ﷺ هذه الأوقات لأنها أوقات نشاطٍ، وفراغٌ للقلب للطاعة والعبادة.. والله تعالى أعلم.(١)

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- في الآيات حثٌّ للنبي ﷺ على الصبر والثبات انتظارًا لأمر الله وحكمه، وتطمينٌ بأنه موضع عناية الله ونظره وحمايته ولن يصيبه من كيدهم قدر أنملة ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة:٦٧].

٢- إنَّ الإقبال على طاعة الله، والاعتصام بقوته وقدرته وتفويض الأمور إليه، يقوي النفس البشرية، وينفخ فيها روح الجد والعزيمة والإقدام والجرأة على أداء رسالة الحياة؛ لذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ وكل مؤمن بتسبيح الله وحمده في كل وقتٍ وعقب كل مجلس، وبالصلاة المكتوبة والنافلة، والتهجد ليلًا والتضرع إلى الله في الدعاء، والتبتُّل إليه تبتيلا كما قال ﷻ ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** ﴾ [المزمل:٨].(٢)

٣-مشروعية التسبيح.. عند القيام من النوم بنحو: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويُميت وهو على كل شيءٍ قديرٍ والحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور، وعند الاستفتاح في الصلاة بنحو: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.(٣)

٤-أنَّ الله ﷻ قد أمر نبيه ﷺ بالإكثار من التسبيح له ﷻ في كل الأوقات؛ لأنَّ هذا التسبيح يجلو عن النفس همومها وأحزانها، وينبغي على المؤمن أن يقرر التسبيح والتحميد في نفسه، فإنه يفسح له مضائق الدنيا.(٤)

٥- التنبيه على أوقات النشاط وفراغ القلب؛ لأنَّ الغدو والرواح والإدلاج أفضل أوقات النشاط، فحريٌّ بنا أن نتعرض لهذه النفحات ونوقع العبادة والطاعة لله ﷻ بها، وأن نغتنم هذه الفرص ونتحرى العبادة في هذه الأوقات، حتى نتمكن من المداومة عليها من غير مشقة، وننال الرضى والأجر كاملاً من الله ﷻ.(٥)

---

(١) انظر: العيني، عمدة القاري (ج١/٢٣٩) مختصرًا.
(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٩٠) بتدخل.
(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٧/٤٣٩)، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٨٧).
(٤) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/١٩٤)، طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٥٢).
(٥) ينظر: العيني، عمدة القاري (ج١/٢٣٩) ملخصًا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- الاقتداء بالنبي ﷺ وسنته وتقريرها في أنفسنا، والعمل على تطبيقها في حياتنا ما أمكن ذلك، ومن تلك السنن: أنَّ مَنْ جَلس في مجلسٍ وكثر فيه لغطه، فعليه أن يختم بدعاء النبي ﷺ "سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتُوب إليك". فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ** ".(١)

---

(١) [الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الدعوات / باب ما يقول إذا قام من مجلسه، ٥/٤٩٤: رقم الحديث ٣٤٣٣]. وقال الألباني: حديثٌ صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة النجم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النجم

المبحث الأول: تعريفٌ عامٌ بسورة النجم.

❖ أولًا: أسماء سورة النجم وترتيبها وعدد آياتها.

سورة النجم سورةٌ مكيةٌ، وهي كسائر السور المكية التي تتميز بطابع القرآن المكي، حيث احتوى الحديث بين آياتها عن: أصول الدين العامَّة وهي الوحدانية، وإثبات صدق رسالة النبي محمد ﷺ، والحديث عن البعث والنشور، وذِكر دلائل النبوة والمعجزات التي جاءت مؤيِّدةً لرسالة النبيِّ ﷺ وذِكر بعض المخلوقات الدالة على عظمةِ صفات الله ﷻ، والتذكير ببعض الأقوام السابقة، وما كان من تنكيل الله بهم بسبب تكذيبهم لرسل الله والتعالي والتكبر على دعوتهم.

١- تسميتها:

سُميت سورة النجم بهذا الاسم؛ لأنَّ الله ﷻ افتتحها بالقسم بالنجم، أي بنجوم السماء وقت سقوطها وغروبها، وسُميت بـ(سورة والنجم) بواوٍ، بحكاية لفظ القرآن الواقع في أولها، وسُميت (والنجم إذا هوى) كما في حديث زيدٍ بن ثابت ؓ في صحيح مسلمٍ أنَّ النبي ﷺ قرأ:(والنجم إذا هوى فلم يسجد).[1] وهذا كلُّه اسمٌ واحدٌ للسورة متوسَّعٌ فيه، فلا تعد هذه السورة من السور ذات الأسماء المتعددة [2]

٢- ترتيبها:

سورة النجم هي السورة الثالثة والعشرون في ترتيب نزول السور، وقد نزلت بعد الإخلاص وقبل سورة عبس، فهي تعتبر من أوائل ما نزل على النبي ﷺ من قرآنٍ، إذ لم يسبقها في النزول سوى اثنتان وعشرون سورةً، وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب المصحف الشريف.[3]

٣- عدد آياتها:

---

(١) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب سجود التلاوة، ٤٠٦/١: رقم الحديث ٥٧٧].

(٢) يراجع: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٢٧/٨٧)، والزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٩٢).

(٣) يراجع: المرجع السابق (ج٢٧/٨٨)، طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي ستون وآيتان في الكوفي (عاصمٌ وحمزة)، وستون وآيةٌ في عدد الباقين، وكلمها ثلاثُ مائةٍ وستون كلمة ككلم سورة الذاريات، وحروفها ألفٌ وأربع مائةٍ وخمسة أحرفٍ، وسبب اختلافها ثلاثُ آيات:

١- قوله: ﴿ مِنَ الحَقِّ شَيْئًا ﴾ عدَّها الكوفي (عاصمٌ وحمزة) ولم يعدها الباقون.

٢- قوله: ﴿ عَنْ مَنْ تَوَلَّى ﴾ عدَّها ابن عامر الشامي ولم يعدها الباقون.

٣- قوله: ﴿ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ لم يعدها ابن عامر الشامي وعدَّها الباقون.(١)

❖ ثانيًا: مكان نزول السورة:

سورة النجم سورةٌ مكيةٌ جميعها – في قول الجمهور –، وعن ابن عباس ﷺ وقتادة: استثناء قوله تعالى: ﴿ الذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمم ﴾ قالا: هي آيةٌ مدنيَّةٌ. وهذا القول سنده ضعيفٌ، والصحيح أنَّ السُّورة مكيةٌ بإجماع المتأوِّلين.(٢)

وقد أُضفي عليها طابع القرآن المكي في الحديث عن أصول الدين العامة وهي الوحدانية، وإثبات صدق رسالة النبي محمد ﷺ بذكر بعض دلائل النبوة والمعجزات (المعراج إلى السماء) الدَّالَّة على صدق رسالة النبي ﷺ، وإثبات رؤيته لبعض الغيب ورؤيته لآيات ربه الكبرى، إثبات البعث والجزاء، وذكر أخبار الأمم السابقة، وتفصيل الكلم عن قدرة الله ﷻ وجمال بديعه في خلقه للموجودات الحسية من خلق الإنسان من النطفة، وخلقه للذكر والأنثى وغيره، كلُّ ذلك وغيره نجده في القرآن المكي، وخاصةً السورة التي بين أيدينا.

❖ ثالثًا: فضائل السورة وجوّ نزولها:

١- فضائل السورة:

ذكر السيوطي في الدر المنثور أن ابن مردويه أخرج عن ابن مسعود ﷺأوَّل سورةٍ أعلن بها النبي ﷺ يقرؤها (والنجم).(٣)

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود ﷺ أيضًا قال: " أوَّل سورة أُنزلت فيها سجدة: (وَالنَّجْمِ) فسجد رسول الله ﷺ وسجد الناس كلهم إلَّا رجلًا رأيته أخذ كفًا من تراب، فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا " وهو أمية بن خلف.(١)

---

(١) انظر: أبو عمر الداني، البيان في عدِّ آي القرآن (ج١/٢٣٤).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٢٧/٨٧).

(٣) راجع: السيوطي، الدر المنثور (ج٧/٦٣٩)، ولم أعثر على الحديث في كتب السنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- جوُّ نزول السورة:

هذه السُّورة في عمومها كأنها منظومةٌ موسيقيةٌ علويةٌ منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفةٍ عامَّة، ويبدو القصد فيه واضحًا في بعض المواضع، ذلك الإيقاع ذو لونٍ موسيقيٍّ خاصٍّ، لونٌ يلحظ فيه التموُّج والانسياب، وبخاصةٍ في المقطع الأول والمقطع الأخير من السورة، وهو يتناسق بتموُّجه وانسيابه مع الصور والظلال الطليقة المرفرفة في المقطع الأول. ومع المعاني واللمسات العلوية في المقطع الأخير، وما بينهما مما هو قريبٌ منهما في الجو والموضوع.

والصور والظلال في المقطع الأول، تَشُعُّ من المجال العُلويِّ الذي تقع فيه الأحداث النورانية والمشاهد الربانية التي يصفها هذا المقطع. ومن الحركات الطليقة للرُّوح الأمين وهو يتراءى للرسول الكريم.. والصور والظلال والحركات والمشاهد والجو الروحي المصاحب، تستمدُّ وتمدُّ ذلك الإيقاع التعبيريَّ وتمتزج به، وتتناسق معه، وتتراءى فيه في توافقٍ مُنَغَّمٍ عجيبٍ. ثم يعمُّ ذلك العبق جو السورة كلِّه، ويترك آثاره في مقاطعها التالية، حتى تختم بإيقاعِ موجٍ شديد الإيحاء مؤثر عميق التأثير، ترتعش له كل ذرةٍ في الكيان البشري وترفُّ معه وتستجيب. هذه الآيات حملت إنذارًا ووعيدًا، وتذكيرًا مهيبا ﴿ **هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)** ﴾ ختامٌ مناسب، وتوجيهٌ عظيم، وتذكيرٌ عجيبٌ مؤثرٌ عميق التأثير.(٢)

❖ رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي:

المحور الذي تدور حوله هذه السورة الكريمة هو تقرير أصول الدين العامة، وهي الوحدانية، وإثبات صدق رسالة النبي محمد ﷺ بذكر بعض دلائل النبوة والمعجزات الدالة على صدق رسالته ﷺ، وإثبات رؤيته لما فتح له من الغيب ورؤيته لآيات الله الكبرى وبديع صنعه، وإثبات البعث والحساب والجزاء، وذكر أخبار الأمم السابقة، وتفصيل الكلم عن قدرة الله ﷻ في خلقه للموجودات الحسية من خلق الإنسان من النطفة، وخلقه للذكر والأنثى وغيرها.

وهنا أُوجزُ بعضًا من أغراض السورة العامة التي تناولتها السورة الكريمة وهي كالتالي:

---

(١) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير [تفسير سورة النجم] / باب/﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾، ١٤٢/٦: رقم الحديث ٤٨٦٣]، و[مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب سجود التلاوة،٤٠٥/١: رقم الحديث ٥٧٦].

(٢) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٤٠٤-٣٤٠٥) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- تحقيق أنَّ الرسول ﷺ صادقٌ فيما يُبَلِّغُه عن الله ﷻ وأنه منزَّهٌ عما ادعوه.(١)

٢- إثبات أنَّ القرآن وحيٌ من عند الله ﷻ بواسطة جبريل عليه السلام، وتقريب صفة نزول جبريل عليه السلام بالوحي في حالين زيادةٍ في تقرير أنَّه وحيٌ من الله واقعٌ لا محالة.(٢)

٣- بيان معجزة معراج النبي محمد ﷺ إلى السماء العلا ورؤيته لعجائب ملكوت الله ﷻ، واطلاعه على أحوال بعض الناس في البرزخ.

٤- ذِكر سفاهة عقول مشركي قريش في عبادتهم لأصنام لا تضر ولا تنفع، هذه الآلهة صُنعت بأيديهم من حجارةٍ أو أخشابٍ أو عجوةٍ لا تملك من أمرها شيئا، يعبدونها من دون الواحد القهار.

٥- بيانُ قُبح أقوال المشركين لنسبتهم الملائكة إلى الله، وتسميتهم إناثًا، قال الله ﷻ..﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف:١٩].

٦- تذكير المشركين بما حلَّ بالأمم الغابرة الكافرة من عقابٍ وسخطٍ من الله، وذلك لأخذ العبرة من نهايتهم وهلاكهم، وحتى لا يحلَّ بهم ما حلَّ بأشباههم في الكفر والضلال.

٧- الأمر بالخضوع والانقياد لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**﴾.(٣)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (١-١٨).

---

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٨٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر: عبد الحميد كشك، في رحاب التفسير (ج٢٧/٥٩٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الأول: إثبات ظاهرة الوحي وصدقها.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)** ﴾. [النجم: ١-٤].

أولًا: مناسبة الآيات لخاتمة سورة الطور:

لمَّا خُتمت سورة الطور بأمره للرسول ﷺ بالتسبيح والتحميد، وكان أمره تكوينًا لا تكليفًا، فكان فاعلًا لا محالةَ، وذاك بعد تقسيمهم القول في النبي ﷺ بأنه كاهنٌ وساحرٌ ومجنون، وكان لذلك تعلقٌ بالشياطين، وكانت الشياطين مباينةً للقرآن بختلها وبمنعها بالرُّجوم من النُّجوم، افتتحت هذه السورة الكريمة بالحث على الاهتداء بهدي النبي ﷺ والاستدلال بِدَلِّه واتباع أثره، ولمّا كان من ذلك تسبيحه بالحمد في إدبار النجوم أقسم أول هذه السورة بالنجم على وجه أعم مما في آخر سورة الطور فعبَّر بعبارةٍ تفهم عُروجه وصعوده إلى السماوات السبع وإلى سدرة المنتهى.(١)

قال الإمام الرازي – رحمه الله –: " أول هذه السورة مناسبٌ لآخر ما قبلها لفظًا ومعنى، أما اللفظ فلأن ختم الطور بالنجم، وافتتاح هذه السورة بالنجم مع واو القسم، وأما المعنى فنقول: الله تعالى لمّا قال لنبيه ﷺ ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ** ﴾ [الطُّور: ٤٩] بيَّن له أنه جَزَّاه في أجزاء مكايدة النبي ﷺ بالنجم وبعده فقال: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** ﴾".(٢)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **وَالنَّجْمِ** ﴾ يعني الثريَّا، وهو اسمٌ غالب لها، أو جنس النجوم، وقيل: المراد بالنجم القرآن إذا نزل، وسمي نجمًا؛ لأنَّه نزل منجمًا مفرقًا.(٣)

فالنَّجم له معانٍ متعددة، وعلى ضوء ذلك يتضح للباحث من خلال التعريفات السابقة لمعنى النجم.. أنَّ المراد به هنا القرآن الكريم؛ لأنَّ الآية الأولى متصلةٌ بما بعدها، والحديث عن القرآن مؤكدٌ بقوله: وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، فزكَّى الله ﷻ لسان نبيه ﷺ عن الهوى، وذلك أنَّ القرآن هو كلام الله الموحى إلى نبيه محمد ﷺ وليس من تلقاء نفسه، وزكَّى وحيه وهو جبريل الذي أنزل القرآن على النبي ﷺ منجمًا.. والله أعلم.

---

(١) يراجع: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٤٠،٤١).

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (ج٢٨/٢٣١).

(٣) انظر: مجاهد، تفسير مجاهد (ج١/٦٢٥)، والزمخشري، الكشاف (ج٤/٤١٧)، والشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ﴿ **إِذَا هَوَى** ﴾ ومعنى الهَوْيُ على قول من فسَّر النجم بالقرآن: أنَّه نزل من أعلى إلى أسفل.(١)

٣- ﴿ **ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ** ﴾ الضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى المقصود، وهو مجازٌ في سلوك ما ينافي الحق. والمعنى: أي ما عدل عن طريق الحقِّ الذي هو مسلك الآخرة.

والصاحب: الملازم، والمراد بالصاحب هنا: الذي له ملابسات وأحوال مع المضاف إليه، والمراد به النبي محمد ﷺ.(٢)

وذكره ﷺ بعنوان (صاحبهم) للإعلام بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وإحاطتهم خبرًا ببراءته مما نسب إليه، وباتصافه بالهدى والرشاد.(٣)

٤- ﴿ **ما غَوى** ﴾ والغيُّ: ضد الرشد، والمعنى لم يكن غاويًا، ولم يتكلم بالباطل.(٤)

٥- ﴿ **الْهَوى** ﴾ أي: لا يتكلم النبي ﷺ بهواه وشهوته إنَّما يتكلم بما يوحي الله إليه.

والهوى: الرأي الذي لا يستند فيه صاحبه إلى الحق ويصدر فيه عن غايةٍ خاصةٍ وعاطفةٍ وأنانية.(٥) وقد تنزه النبي ﷺ عن هذه الأشياء التي تُنقص من قدره ومكانته الرفيعة.

٦- ﴿ **وَحْيٌ يُوحى** ﴾ الوحي من الإيحاء، وأصل معناها: السرعة والإيعاز والإلهام والقذف بالروع، والوحي إفادة المقصود بطريق غير الكلام، مثل الإشارة، والوحي: الكتابة والرسالة والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك.(٦) والمعنى أن هذا القرآن ما هو إلا وحيٌ من الله ﷻ لنبيه ﷺ عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، وليس من تلقاء نفسه كما زعم المشركون.

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **وَالنَّجْمِ** ﴾ الواو: حرف جر وقسم، والنجم: اسم مجرور بالواو وعلامة جره الكسرة،

---

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٢٦).
(٢) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٥٤)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٢).
(٣) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٤٢).
(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٢٦)، ابن منظور، لسان العرب (ج١٥/١٤٠) بتصرف.
(٥) انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/٣١٦)، دروزة، التفسير الحديث (ج٢/٧٥).
(٦) يراجع: الأزهري، تهذيب اللغة (ج٥/١٩٣)، ابن منظور، لسان العرب (ج١٥/٣٧٩)، دروزة، التفسير الحديث (ج٢/٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره (أقسم).[١]

٢- ﴿ إِذا هَوى ﴾ اسم زمان لما يستقبل من الزمن مجردًا عن معنى الظرفية في محل جر بحرف القسم.[٢]

٣- ﴿ ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ ﴾ ما: نافية، والجملة جواب القسم (والنجم).[٣]

٤- ﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ﴾ ما: نافية نفت أن ينطق عن الهوى، وفي فاعل(يَنْطِقُ) وجهان:

- **أحدهما**: هو ضمير يعود على ضميرٍ مستترٍ جوازًا يعود على النبي ﷺ.
- **والثاني**: أنَّه مستتر جوازًا يعود على القرآن.[٤]

٥- ﴿ يُوحَى ﴾ الجملة الفعلية صفةٌ مؤكدةٌ لوحيٌ، ومتعلّق (يوحى) محذوفٌ تقديره: إليه، أي إلى صاحبكم، وتُرك فاعل الوحي لضرب من الإجمال الذي يعقبه التفصيل؛ لأنه سيرد بعده ما يبينه من قوله: ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم:١٠].[٥]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- مناسبة القسم بـ(النجم إذا هَوَى)، أنَّ الكلام مسوقٌ لإثبات أنَّ القرآن وحيٌ من الله منزلٌ من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هويه، مشابهةٌ تمثيليةٌ حاصلةٌ من نزول شيءٍ منيرٍ إنارةً معنويةً، نازلٌ من محل رفعةٍ معنويةٍ، شُبِّه بحالة نزول نجم من أعلى الأفق إلى أسفله، وهو من تمثيل المعقول بالمحسوس، أو الإشارة إلى مشابهة حالة نزول جبريل عليه السلام من السماوات بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله، تشبيهٌ محسوسٌ بمحسوس.[٦]

٢- ﴿ ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ ﴾ وإيثار التعبير عنه بوصف (صاحبكم) تعريضٌ بأنهم أهل بهتان، وفيه استعارةٌ وتمثيلٌ؛ لكونه ﷺ على الصواب في أقواله وأفعاله.[٧]

٣- بين قوله: (هَوَى) و(الْهَوى) جناسٌ شِبه التَّام، فالأول بمعنى هبط ونزل، والثاني بمعنى

(١) ينظر: ياقوت، إعراب القرآن الكريم (ج٩/٤٤٦٣).
(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٠)، الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٤٥).
(٣) ينظر: ياقوت، إعراب القرآن الكريم (ج٩/٤٤٦٣). بتدخل.
(٤) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٨٣)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٣).
(٥) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٥٥)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٤).
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩١-٩٢).
(٧) انظر: المرجع السابق، الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هوى النفس.[١]

٤- ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى ﴾ لفظ (يُوحى) استعمل لدفع المجاز وتأكيد الإيحاء.[٢]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يُقسِمُ الله ﷻ في فاتحة السورة الكريمة بالقرآن الكريم المنزَّل على النبي ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام، أنَّ محمدًا ﷺ ما عدل عن طريق الحقِّ، وما حَادَ عن طريق الهداية، بل هو في غاية الاستقامة، ولا يتكلم بهواه وشهوته، ولا برأيه الذي لا يستند فيه إلى الحق ويصدر منه عن عاطفةٍ وأنانية، إنَّما يتكلم بما يوحي الله إليه، وما القرآن والسنة إلا وحيٌ من عند الله إلى نبيه ﷺ وليس من تلقاء نفسه.

سادسًا: مقاصد أهداف المقطع القرآني:

١- لله ﷻ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، في أي وقتٍ يشاء، ولكنه لا يُقسم إلَّا بعظيمٍ، وقد أقسم هنا بالنجوم لينفي عن النبي ﷺ وقوعه في الضلال والغواية، بل إنَّه راشدٌ عادلٌ لا يتكلَّم بالباطل.

٢- ذكر في الآيات أحد ثلاث صورٍ لاتصال الله ﷻ بأنبيائه -عليهم السلام- وهي الوحي المباشر الذي يقذف في قلوبهم ويلهمون إياه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ﴾، أو صوتٍ يسمعونه ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾، أو رسولٍ (مَلَك) يرسله الله إليهم ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ و﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾.[٣]

٣- إنَّ ما نطق به الرسول ﷺ ليس شعرًا يلقى، ولا بكهانةٍ تدعى، بل هو وحيٌ من المولى، هو القرآن الكريم الذي نقله جبريل عليه السلام عن الله ﷻ ثم تلقاه النبي ﷺ عن الوحي.

٤- قد يحتجُّ بقوله ﷻ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ﴾ مَنْ لا يُجوِّز لرسول الله ﷺ الاجتهاد في الحوادث، وهذا خطأ؛ لأنَّ المراد بالآية إثبات كون القرآن وحيًا من عند الله، والقرآن ذاته أمر الرسول ﷺ بالاجتهاد، وقد اجتهد ﷺ في الحروب فيما لم يحرِّمه الله، وأذن لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك، فعاتبه ربه بقوله: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة ٩- ٤٣].[٤]

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٣)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٩٦).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٩٦).

(٣) ينظر: دروزة، التفسير الحديث (ج٢/٧٧).

(٤) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٠٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- إنَّ القرآن الكريم نـزل جملةً واحدةً إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وبذلك شارك الكتب السماوية السابقة، ثم نزل على النبي ﷺ منجمًا متفرقًا بالتدرج في بضعٍ وعشرين سنة، وإن ابتداء نزوله كان في ليلة القدر بدليل قوله: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [البقرة:١٨٥]، هذا بخلاف الكتب السماوية السابقة فكانت تنزل دفعة واحدة على النبي المرسل، وهذه خصيصة بالنبي ﷺ؛ لتكون معجزته الخالدة إلى يوم القيامة.(١)

❖ **المطلب الثاني: صفة الوحي جبريل عليه السلام.**

قال الله تعالى: ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠)** ﴾ [النجم:٥-١٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولَمَّا كان الوحي ظاهرًا بواسطة الملك، تشوَّق السَّامع إلى بيان ذلك، فذكر أوصافه؛ لأنَّ ذلك أضخم في حقه وأعلى لمقداره، فعلَّم صاحبكم ملكٌ موصوفٌ بالشدة والقوة، أفلا تعجبون يا كفار قريش من هذه علم النبي ﷺ الذي فاقكم به وهو أميٌ لم يتعلم من قبل قط ؟! فإنَّ مُعَلِّمَه بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به من غير جدالٍ، ولا عصيان.(٢)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **عَلَّمَهُ** ﴾ الضمير في هذا الفعل عائدٌ إلى المَلَكْ الذي أرسله الله للنبي ﷺ على ما عليه جمهور المفسرين وهو جبريل عليه السلام.(٣)

٢- ﴿ **شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾ القوى: جمع قوة، والقوة هي: استطاعة تنفيذ ما يأمر الله به من الأعمال العظيمة العقلية والجسمانية، فهو المَلَك القوي الذي ينزل على الرُّسل بالتبليغ.(٤)

قال الزمخشري: " المراد بشديد القوى: أي مَلَكٌ شديدٌ قواه، ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط ثم رفعها إلى السماء ثم قلبها [جعل عاليها سافلها]، وصاح صيحةً بثمود فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف.. ".(٥)

---

(١) ينظر: مرجع مشابه، فضل عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن (ج١/١٤٨-١٥٠).

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٤٤) بتدخل.

(٣) انظر: محمد عزت دروزة، التفسير الحديث (ج٢/٧٥).

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٥).

(٥) الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤١٨-٤١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ عنى بالمِرّة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، وقيل: قوةٌ وشدةٌ في خلقه، ذو خلقٍ طويلٍ حسنٍ، وذو حصافةٍ (استحكام) في عقله ورأيه ومتانة في دينه.(١)

٤- ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ المستوي هو جبريل عليه السلام. ومعنى الاستواء: أي ارتفع جبريل وعلا إلى مكانه في السماء، بعد أن علَّم محمدًا ﷺ، واستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلّما هبط بالوحي.(٢)

٥- ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾ هو الأُفُقُ الذي تطلع من جانبه الشمس، وقيل: الذي يجيء منه النهار، والأفق: جوانب السماء، يقال بالأفق الأعلى أي: بالسماء.(٣)

٦- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ أي: قرب جبريل عليه السلام من النبي ﷺ عندما هبط عليه من السماء، ثم زاد في القرب منه شيئًا فشيئا.

وأصل التَّدلِّي: أن ينزل الشيء من طبقته إلى ما تحتها، حتى لكأنه معلقٌ فى الهواء.(٤)

٧- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أي: ثم اقترب جبريل عليه السلام من الرسول ﷺ، فزاد في القرب، فكان دُنوه منه قدر قوسين، بل أدنى من ذلك، ومعنى القوسين أي: مقدار قوسين عربيتين، وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع، وقد خوطب الكفار على لغتهم، ومقدار فهمهم وهم يقولون: هذا قدر رمحين أو أنقص.(٥)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ عَلَّمَهُ ﴾ الضمير عائد على الرسول ﷺ، والمفعول الثاني محذوف، أي علمه الوحي. أو وقد يعود الضمير على القرآن، فالمفعول الأول محذوف، أي علمه الرسول ﷺ.(٦)

٢- ﴿ أَوْحَى ﴾ ضمير أوحى عائد إلى الله ﷻ المعلوم من قوله: (إن هو إلا وحيٌ يُوحى) فالمعنى: فأوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحاه.(٧)

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٤٩٩)، الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤١٩).
(٢) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٩٠)، محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٢٤٦).
(٣) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٢٨٥).
(٤) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٦٠).
(٥) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٩٠) بتدخل.
(٦) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/١٠).
(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- في قوله: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** ﴾ فنُّ القلب وهو من المقلوب الذي تقدم فيه ما يوضحه التأخر، وتأخُّر ما يوضّحه التقديم. أي: تدلَّى فدنا؛ لأنَّه تدلَّى للدنو ودنا بالتَّدلّي.(١)

٢- ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾ وإيثار التعبير عن النبي ﷺ بعنوان (عبده) إظهارٌ في مقام الإضمار في اختصاص الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف، وفي قوله: (ما أوحى) إبهامٌ لتفخيم وتعظيم ما أوحى إليه.(٢)

٣- في فاصلة كل آية من المقطع القرآني جرسٌ ساحرٌ أخَّاذٌ في تقطيعٍ لفظيٍ عجيبٍ، يصور موضوعًا جليلًا ببراعةٍ معجزةٍ.(٣)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يصف المولى ﷻ في هذه الآيات الكريمة الوحي جبريل ﵇ في أبهى الأوصاف وأجملها، فيقول: لقد علَّم النبي محمداً ﷺ مَلَكٌ شديدةٌ قواه، صاحب منظرٍ حسنٍ وجميل، ومتصفٌ بخلقٍ طويلٍ حسن، وذو حصافةٍ في عقله ورأيه، وقد ظهر واستوى للنبي ﷺ على صورته الحقيقية التي جُبل عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، فاستوى في الأُفُق الأعلى عند مطلع الشمس الذي يجيء منه النهار، ثم دنا جبريل ﵇ من النبي ﷺ فزاد في الدنو، فكان دنوّه مقدار قوسين عربيتين أو أقربَ من ذلك، فأوحى الله ﷻ إلى عبدهِ محمدٍ ﷺ ما أوحى عن طريق الوحي جبريل ﵇.

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- كان وحي الله ﷻ إلى أنبيائه عن طريق ملكٍ موكلٍ بالوحي، وهو الوحي جبريل ﵇،وهذا الوحي منزَّلٌ من الله بطريقةٍ خفيةٍ سريعةٍ، غير معتادةٍ للبشر، فأحيانًا كان يتنزَّل على صورته التي جُبل عليها، وأحيانًا كان يأتيه مثل صلصلة الجرس، وأحيانًا يتمثل بهيئة بشر.

٢- وصف الله ﷻ الوحي جبريل ﵇بأبهى الأوصاف وأسماها درجةً ورفعةً، بأنه مَلَكٌ شديدةٌ قواه، صاحب منظرٍ حسنٍ وجميل، ومتصفٌ بخلقٍ طويلٍ حسن، وذو حصافةٍ في عقله ورأيه.

---

(١) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٤٧).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٨).

(٣) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- أحبَّ النبيُّﷺ أن يرى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية التي خلق عليها، فأتاه على صورته الحقيقية مرتين، وقد ذكر الإمام البغوي في تفسيره: أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على الصورة التي جُبل عليها فأراه نفسه مرتين: مرةً في الأرض ومرةً في السماء، فأما في الأرض ففي الأُفق الشرقيِّ العلويِّ، فَسَدَّ المشرق إلى المغرب لعظمته. وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحدٌ من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد ﷺ.(١)

٥- لقد أوحى الله إلى عبده محمدٍﷺ ما أوحى عن طريق الوحي، ولم يبيِّن الموحى به تفخيمًا لشأن الوحي، أو تفخيمًا وتعظيمًا لشأن ومنزلة النبي ﷺ عند الله ﷻ.

٦- يتميَّز جبريل عليه السلام بشدة قوته وجبروته، فهو مَلَكٌ للوحي، وللغلظة، ومن قوَّته: أنَّه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحةً بثمود فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أقل من طرفة العين.(٢)

(١) راجع: البغوي، تفسير البغوي (ج٧/٤٠١) ملخصًا.

(٢) ينظر: مرجع مشابه، الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤١٨-٤١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثالث: الإنكار على الكفار؛ لتكذيبهم معراج النبي ﷺ ورؤيته لآيات الله الكبرى.**

قال الله تعالى: " **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)**".[النجم:١١-١٨].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن أثبت المولى ﷻ رؤية النبي ﷺ للوحي جبريل ﵇، وأنه يُوحي له من الله ما يأمره به، وأنه المعلم للنبي ﷺ صاحب القوة الرهيبة والهيئة الحسنة. نفى الله في هذه الآيات أن يكون النبي ﷺ زاغ بصرُهُ وعَدَلَ عن الحق، فقال ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره وهو جبريل في صورته التي خلقه الله ﷻ عليها، وأنكر على الكفار مجادلتهم للنبي ﷺ في رؤيته لجبريل ﵇، وأكد المولى ﷻ رؤية جبريل مرة أخرى عند سدرة المنتهى، وأكد رؤيته ﷺ لآيات الله الكبرى.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴾ أي: ما كذب فؤاد محمدٍ ﷺ ما رآه ببصره وهو جبريل في صورته التي خلقه الله ﷻ عليها ذات الستمائة جناحٍ، طول الجناح ما بين المشرق والمغرب، أو ما رآه ببصره ليلة المعراج.(١)

والكذب: أطلق على التخييل والتلبيس من الحواس، والفؤاد: العقل.(٢)

والنبي ﷺ منزَّهٌ عن الكذب والدَّس والحشو في كلامه، فكل ما يراه صدقًا سواءٌ في المنام أم الحقيقة.

٢- ﴿ **أَفَتُمَارُونَهُ** ﴾ المُراء: أي المماراة والجدال والافتراء، والمجادلة على سبيل الشكِّ والرِّيبة.(٣)

فالكفار جادلوا النبي ﷺ، وأرادوا أن يطعنوا في صدق كلام الله ﷻ، ومعجزة الإسراء والمعراج معجزة النبي ﷺ التي أبهرت عقولهم وأقامت عليهم الحجة، وذلك لسوء تقديرهم وإعراضهم عن الحقِّ.

٣- ﴿ **سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى** ﴾ هي شجرةُ نبقٍ في السماء السابعة عن يمين العرش: ثمرها كقِلال هَجَر(٤) وورقها كآذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلِّها

---

(١) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٩٠)

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٩).

(٣) يراجع: الأزهري، تهذيب اللغة (ج١٥/٢٠٤)، ابن منظور، لسان العرب (ج١٥/٢٧٨).

(٤) قِلال أو قُلل هي الجرة العظيمة، وقيل: إناء للعرب كالجرة الكبيرة، تأخذ القلة مزادةً كبيرةً من الماء=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبعين عامًا لا يقطعها، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: " **ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى**"(١)، والمنتهى: بمعنى موضع الانتهاء، أو الانتهاء، كأنها في منتهى الجنة وآخرها.(٢)

٤- ﴿ **جَنَّةُ الْمَأْوَى** ﴾ الجنة التي يصير إليها المؤمنون، وهي على يمين العرش، وهي منزل الشهداء. وسميت جنة المأوى؛ لأنه أوى إليها آدم، وقيل: إن أرواح المؤمنين تأوي إليها.(٣)

٥- ﴿ **مَا يَغْشَى** ﴾ الغشيان بمعنى التغطية والستر، وبمعنى الإتيان، وما يغشى: هو تعظيمٌ وتكثيرٌ لما يغشى السدرة، وقد قيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها، وقيل: يغشاها فَرَاشٌ من ذهب، وعلى كل ورقةٍ من ورقها ملكٌ قائمٌ يسبح الله.(٤)

٦-﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ** ﴾ الزيغ: الميل عن القصد، أي: بصر النبي ﷺ ما زاغ بقلبه يمينًا وشمالًا، وما عَدل ولا جَار.(٥)

٧- ﴿ **وَمَا طَغَى** ﴾ ولا طغى ولا جاوز ما رأى، بل أثبته إثباتًا صحيحًا مستيقنًا، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها، وما جاوزها إلى ما لم يؤمر برؤيته.(٦)

٨- ﴿ **آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ يعني: لقد رأى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج في مسيره وعوده، وقال ابن مسعود ﷺ : " رأى [النبيﷺ] جبريل وله ستمائة جناح"(٧)، وقيل أنَّه ﷺ رأى جبريل عليه السلام في خلقه الذي يكون به في السماوات.(٨)

=وهَجَر: قريةٌ قريبةٌ من المدينة المنورة، وكانت تُعمل بها القلال. (انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١١/٥٦٥)).

(١) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار / باب المعراج، ٥٢/٥: رقم الحديث ٣٨٨٧].

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢١).

(٣) انظر: المرجع السابق، الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٢٩).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥١٩) محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٢٤٩)، النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٩١).

(٥) انظر: الفراء، معاني القرآن (ج٣/٩٧)، أبو عبيدة، مجاز القرآن (ج٢/٢٣٦)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٠٢).

(٦) انظر: الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٥١).

(٧) [أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، ٢٤٣/٤: رقم الحديث ٤٣٩٦].

(٨) يراجع: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٢١-٥٢٢)، السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٦٠-٣٦١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴾ ما: موصولةٌ، والرابط محذوفٌ، وهو ضميرٌ عائدٌ إلى (عبده) في قوله: ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ** ﴾ [النجم:١٠] أي ما رآه عبده ببصره، واللام في قوله: (الفؤاد) عوضٌ عن المضاف إليه، أي فؤاده.(١)

٢- ﴿ **أَفَتُمَارُونَهُ** ﴾ الاستفهام: استفهامٌ إنكاري؛ لأنهم مَارَوْه.(٢)

﴿ **نَزْلَةً** ﴾ نصبت النَّزلة نصبَ الظرف الذي هو مرةً؛ لأنَّ الفعلة اسمٌ للمرة من الفعل، فكانت في حكمها، أي: نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى، أو انتصبت على النيابة عن ظرف المكان، أو على حذف مضافٍ بتقدير: وقتَ نزلةً أخرى، فتكون نائبًا عن ظرف الزمان.(٣)

٣- ﴿ **عِنْدَ سِدْرَةِ** ﴾ ظرف مكانٍ متعلقٌ بـ(رآه).(٤)

٤-﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى** ﴾ ظرف زمانٍ مستقرٌ في موضع الحال من (سدرة المنتهى) أريد به التنويه بما حُفَّ بهذا المكان المسمَّى سدرة المنتهى من الجلال والجمال.(٥)

٥- ﴿ **مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ (من آيات) في موضع المفعول، والكبرى صفةٌ لآيات ربه، ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة، وحسن ذلك هنا كونها فاصلةً.(٦)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ** ﴾ فيه بإبهام الموصول وصلته تعظيمٌ وتكثيرٌ للغاشي الذي يغشاه، إذ تلك أشياء لا يعلم وصفها إلا الله عز وجل.(٧)

٢- ﴿ **مَا يَغْشَى** ﴾ فيه إبهامٌ للتفخيم الإجمالي، وأنه تضيق عنه عبارات الوصف في اللغة، وتأخيره عن المفعول للتشويق إليه، أي: ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفًا ولا كمًا، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارًا لصورتها

---

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢١)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٩٩).

(٤) ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٧/٣٢٦).

(٥) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٠١).

(٦) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/١٤).

(٧) ينظر: المرجع السابق ص١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البديعة وللإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد.[1]

خامسًا: القراءات القرآنية:

١- ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (ما كذَّب الفؤاد) بالتشديد، وقرأ الباقون: (ما كذَب الفؤاد ما رأى) بالتخفيف، أي: صدَقَهُ فؤاده الذي رأى أي لم يكذب فيما رأى بل رأى الحق، ومَنْ قرأ بالتشديد فمعناه: صدق الفؤاد ما رأى لم ينكر ولم يشكَّ به.[2]

٢- ﴿ **أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى** ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (أفتمرونه) بغير ألفٍ، أي: أفتجحدونه. وقرأ الباقون: (أفتمارونه) بالألف، أي: أفتجادلونه، وحجتهم إجماع الجميع على قوله: ﴿ **أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** ﴾ [الشورى:١٨].[3]

سادسًا: المعنى الإجمالي:

يبيِّن الله ﷻ ما رآه النبي ﷺ ليلة المعراج وتحقيق رؤيته لآيات ربه الكبرى فقال: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه، وهو جبريل في صورته التي خلقه الله عليها ذات الستمائة جناح، طول الجناح ما بين المشرق والمغرب. قال سيد قطب – رحمه الله -: " ورؤية الفؤاد أصدق وأثبت؛ لأنها تنفي خداع النظر. فلقد رأى فتثبت فاستيقن فؤاده أنه المَلَكْ، حامل الوحي رسول ربه إليه، ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم. وانتهى المراء والجدال، فما عاد لهما مكان بعد تثبت القلب ويقين الفؤاد".[4]

ثم يخاطب الله المشركين المنكرين لرؤية النبي ﷺ فينكر ذلك عليهم ويرد عليهم بقوله: أفتمارونه وتغالبونه أيها المشركون على رؤيته لجبريل؟! ولقد رآه مرةً أخرى عند سدرة المنتهى وذلك ليلة المعراج، ووصفت شجرة النبق بأنَّ أوراقها كآذان الفيلة، وأن ثمرها كقلال هجر، وعندها الجنة التي تأوي إليها أرواح المؤمنين.

وما مال بصر النبي محمد ﷺ يمينًا ولا شمالًا، ولا ارتفع فوق الحد الذي حدد له، ولقد رأى من آيات الله الكبرى، فقد رأى جبريل في خلقه الذي يكون فيه في السماء، ورأى من عجائب خلق الله وعجائب ملكوته، ومظاهر قدرته وعلمه ما لا سبيل إلى إدراكه، ورؤيته للسماوات والجنة

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٠١).
(٢) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٥).
(٣) انظر: المرجع السابق (ج١/٦٨٥).
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦/٣٤٠٧-٣٤٠٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنار والملائكة والأنبياء، واطلاعه على أحوال الناس في البرزخ وغير ذلك ما يجل عنه الحصر والاستقصاء.(١)

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- إثبات رؤية النبي ﷺ للوحي جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله ﷻ عليها ذات الستمائة جناح، طول الجناح ما بين المشرق والمغرب.

٢- في الآيات ردٌّ على من كذَّب وأنكر رؤية النبي ﷺ لجبريل، فلقد رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى بعدما رآه في الأرض قد سد أفق الشمس، فقد أثبت الله ﷻ الرؤية مرتين، ولكن هيهات هيهات للمكذبين أن يؤمنوا بعد وضوح الدليل والبرهان !!

٣- تقرير معجزةٍ من معجزات النبيﷺ وهي معجزة الإسراء والمعراج، فقد جاءت بأحكام من الله ﷻ كفرض الصلاة في السماء، وقد رأى النبي ﷺ ما لم ير نبيٌّ من قبله، كرؤيته لجبريلعليه السلام على صورته التي جُبل عليها مرتين، واطَّلع على بعض الغيب بما أذن له الله، كاطلاعه على أحوال الناس في البرزخ، وعذاب الكفار في النار، ونعيم المؤمنين في الجنة، وغيره الكثير.

٤- أنَّ معراج النبي ﷺ كان بالروح والجسد، وليس بالروح فقط، وإلاّ لما كان المعراج معجزةً، يستحق الذكر في القرآن، والاعتناء من قبل المفسرين والعلماء المجتهدين، ولما جادل الكفار النبي ﷺ فيما رآه ليلتها، وإثباته من قبل الله ﷻ في عدة آيات، في عدة سور.

٥- كمال أدب النبي ﷺ في رحلة المعراج، حيث لم يَزِغْ بصره ولم يعدل ولم يجاوز حدًا وهو في السماء السابعة.(٢)

٦- بيان حقيقة سدرة المنتهى، والتي هي شجرة نبقٍ في السماء السابعة عن يمين العرش، ويتميز ثمرها بأنه مثل قلال هَجَر، وورقها كآذان الفيلة، وتنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه العزيز مثل الكوثر، ويسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يستطيع أن يقطعها.(٣)

---

(١) انظر: مرجع مشابه، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٩٠)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٠٣).

(٢) ينظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (ج١/٥٢٦) بتدخل.

(٣) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٩٠)، ومرجع مشابه، الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (١٩-٣٠).

❖ المطلب الأول: أصنام الجاهلية العديمة الفائدة.

قال الله تعالى:﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)**﴾.[النجم:١٩-٢٦].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن قرر الله تعالى الرسالة وصدق النبوة، ذكر ما ينبغي أن يبتدئ به الرسول ﷺ وهو التوحيد، ومنع الإشراك، وبيان عدم جدوى الأصنام في الشفاعة عند الله تعالى بأسلوب فيه إنكار وتهكم وتوبيخ، وإهدار لحرمة العقل الذي يدين لغير الخالق الرازق، ويعبد أحجارًا أو أشجارًا أو معادن صماء لا تنفع ولا تضر.[١]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **اللَّاتَ وَالْعُزَّى** ﴾ قيل: أن اللَّاتَ كان رجلًا يَلُتُّ السَّوِيق للحاج ؛ فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه، وقيل: اللَّاتَ صَنَمٌ كان لثقيف[٢] يعبدونه، وقيل: اللات بيتٌ كان بنخلةٍ تعبده قريش، وأن العُزَّى شجرةٌ كانت لغطفان[٣] يعبدونها، وقيل: العُزَّى: بيتٌ بالطائف تعبده ثقيف.[٤]

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٠٨-١٠٩).

(٢) ثقيف: هي قبيلة منازلها في جبل الحجاز، بين مكة والطائف، وعلى الأصح بينه وبين جبال الحجاز. وتنقسم إلى بطون منها بطن قريش، وبطن هذيل، دعاها النبي ﷺ إلى الإسلام فرفضوا، فقال: "اللهم اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم". (انظر: كحالة الدمشق، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (ج١/١٥١)).

(٣) غطفان من العرب العدنانية، وهي بطن عظيم متسع كثير الشعوب، كانت منازلهم بنجد وجبل طيء، وقد حاربهم الرسول ﷺ في غزوة الخندق وكانوا ألوفاً، وكانوا يعبدون العُزَّى، وقد بنوا عليها بيتاً، وأقاموا لها سدنة، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ﷺ فهدم البيت. (انظر: كحالة الدمشق، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (ج٣/٨٨٩)).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٢٣-٥٢٤)، الزجاج، معاني القرآن (ج٥/٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ﴿ مَنَاةَ ﴾ هي: بيتٌ كان بالمشلّل[١] يعبده بنو كعب، وقيل: هي صخرةٌ كانت لِهذَيْلٍ[٢] وخزاعة[٣] يعبدونها من دون اللَّه.[٤]

وأيًا كانت هذه الأصنام العديمة الفائدة، فإنها كانت أصنامًا من حجارةٍ كانت في جوف الكعبة تعبدها قريشًا ومن حولها من القبائل، وكانوا يقدسونها ويتقربون إليها بقربانهم، ويبيعونها إلى الحجاج الموفدون إلى مكة.

٣- ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ أي: قسمةٌ جائرةٌ وناقصةٌ وغير عادلةٍ، وحقيقة المعنى: أنكم يا أهل الكفر: إذا كرهتم البنات لأنفسكم فأولى أن تكرهوها لله تعالى.[٥]

٤- ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ الظن: خلاف العلم، وهو ميل النفس إلى أحد معتقدين متخالفين دون أن يكون ميلها بحجة ولا برهان.[٦]

٥- ﴿ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ أي: وما تميل إليه أنفسهم وما تشتهيه من غير التفاتٍ إلى ما هو الحق الذي يجب اتباعه، وهوى الأنفس: هو إرادتها الملذة لها.[٧]

٦- ﴿ مَا تَمَنَّى ﴾ المراد بها: طمع الكفار في شفاعة الآلهة، وهو تمنٍّ على الله في غاية البعد.

فالمعنى المترتب على ذلك أن ليس للإنسان كلُّ ما يتمنَّاه وتشتهيه نفسه من الأمور، والتي

---

(١) المُشَلّل: هي ثنية مشرفة على قديد بين مكة والمدينة من ناحية البحر، ومن المشلل إلى قديد ثلاثة أميال وفي المشلل دفن مسلم بن عقبة صاحب وقعة الحرة. (انظر: أبو عبيد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (ج٣/٩٥٦)، (ج٤/١٢٣٤)، أبو عبيد الله الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار (ج١/٥٦٠)).

(٢) قبيلةٌ يقال لها هُذيل بن مدركة، من قبائل الحجاز المهمة، وتقع ديار هذيل في أطراف مكة، وكانوا يعبدون مناة بين مكة والمدينة، وصنم سعدٍ، وصنما كان برهاط يحجون إليه، وقد هدمه عمرو بن العاص ﷺ سنة ٨ هـ.(انظر: الأنساب للسمعاني (ج١٣/٣٩١)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، كحالة الدمشق (ج٣/١٢١٣).

(٣) قبيلة من الأزد، من القحطانية كانت لهم ولاية البيت (الكعبة) قبل قريش، كانوا يعظمون مناة، دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وذلك سنة ٨ هـ. وحاربت خزاعة مع علي بن أبي طالب ﷺ سنة ٣٧ هـ. (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، كحالة الدمشق (ج١/٣٣٩)).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٢٣-٥٢٤)، الزجاج، معاني القرآن (ج٥/٧٢).

(٥) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٢٩٥) بتدخل.

(٦) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/٢٠٢).

(٧) انظر: المرجع السابق، الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جملتها أطماعهم الفارغة والمرجوة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود.(١)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ** ﴾ نوع الاستفهام: استفهامٌ تقريريٌ تهكمي، أي كيف ترون اللات والعزى ومناة؟؟(٢)

٢- ﴿ **الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى** ﴾ والأخرى: صفةٌ لمناة، أو صفةٌ للعُزَّى؛ لأنَّ الثانية أخرى بالنسبة إلى الأولى.(٣)

٣- ﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ** ﴾ في (هي) وجهان، **أحدهما**: أنها ضميرٌ للأصنام أي: وما هي إلاَّ أسماءٌ ليس تحتها في الحقيقة مسمياتٌ. **والثاني**: أن تكون ضمير الأسماء، وهي اللات والعُزَّى ومناة، وهم يقصدون بها أسماء الآلهة، يعني: وما هذه الأسماء إلاَّ أسماءٌ سمّيتموها بهواكم وشهواتكم ليس لكم على صحة تسميتها برهانٌ تتعلقون به.(٤)

٤- ﴿ **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ** ﴾ كم: خبرية، ومعناها هنا: التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء، والخبر (لا تغني).(٥)

٥- ﴿ **فِي السَّمَاوَاتِ** ﴾ والسموات صفةٌ لـ(مَلَك).(٦)

٦- ﴿ **لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا** ﴾ شيئًا: مفعولٌ مطلقٌ للتعميم، أي شيئًا من الإغناء لزيادة التنصيص على عموم نفي إغناء شفاعتهم.(٧)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى** ﴾ وتقديم المجرورين في (ألكم الذكر وله الأنثى) للاهتمام بالاختصاص الذي أفادته اللام، اهتمامًا في مقام التهكم والتسفيه والتوبيخ على أن في تقديم

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢٤)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٥٩) بتصرف.
(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٠٢).
(٣) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/٩٣).
(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٩٧.
(٥) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/١٩).
(٦) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١٣).
(٧) ينظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(وله الأنثى) إفادة الاختصاص، أي دون الذكر.[١]

٢- ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ هذه الجملة تعليلٌ للإنكار والتهكم والتوبيخ المفاد من الاستفهام في (ألكم الذكر وله الأنثى)، أي: قد جُرتم في القسمة وما عدلتم فأنتم أحقاء بالإنكار.[٢]

٣- ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ الالتفات في (يتبعون) إلى الغيبة، للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم، وحكاية جناياتهم لغيرهم.[٣]

٤- ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ هذه الجملة تعليلٌ لمعنى القصر بطريقة الاكتفاء؛ لأن كونها لا حقائق لها في عالم الشهادة أمرٌ محسوس، إذ ليست إلا حجارة.[٤]

٥- ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ بينهما طباق يوضح المعنى ويؤكده.

٦- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ لام القسم في (لقد) لتأكيد الخبر، للمبالغةِ فيما يتضمنه من التعجيب من حالهم، كأنَّ المخاطب يشكُّ في أنَّه جاءهم ما فيه هدى مقنعٌ لهم من جهة استمرارهم على ضلالهم استمرارًا لا يظن مثله بعاقل.[٥]

٧- في قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴾ مراعاة الفواصل وتوافق رؤوس الآيات الذي له وقع على السمع.[٦]

خامسًا: القراءات القرآنية:

١- ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ قرأ ابن كثير: (ومناءة الثالثة) مهموزةً ممدودةً، وقرأ الباقون: (ومناة) بغير همزٍ وهما لغتان.[٧]

٢- ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ قرأ ابن كثير:(قسمةٌ ضئزى) بالهمز، وقرأ الباقون بغير همز وهما لغتان تقول ضازني حقي أي: نقصني، وضازني، وضازه، ويضيزه، وضأزه يضأزه.[٨]

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٠٦).
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٥٨).
(٤) يراجع: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٠٨).
(٥) يراجع: المرجع السابق، ص١١٠.
(٦) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٠٧).
(٧) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٥).
(٨) انظر: المرجع السابق، ص٦٨٦ بإيجاز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن بيَّن ما رآه النبي محمد ﷺ من العجائب ليلة المعراج، قال للمشركين: ماذا رأيتم فى هذه الأصنام؟ وكيف تحصرون أنفسكم فى العالم المادي وأصنامه، وتقطعون على أنفسكم طريق التقدم والارتقاء، وإن النفس لا ترقى إلا بما استعدت له، فإذا وقفت النفوس عند هذه المادة وتلك الأصنام لم يكن لها عُروج إلى السماء، ولا سيما أن هذه الأصنام لا تشفع لهم عند ربهم ولا تجديهم نفعا.(١)

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- لقد حاجَّ الله المشركين إذ عبدوا ما لا يعقل، فإن تلك الأصنام التي يعبدونها كاللات والعزى ومناة لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر، فلذلك لا تجوز عبادتها واتخاذها آلهة من دون الله، لأنها عديمة النفع، ولا تستحق العبادة من دون الله، فيجب التوجه إلى الله ﷻ بالعبادة وحدة لا إلى هذه الأصنام العديمة الفائدة.(٢)

٢- قرَّع الله ﷻ المشركين ووبَّخهم، وردَّ عليهم قولهم: بأنَّ الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله، وثم بيَّن لهم أنه لا يعقل جعل البنات إناثًا لله، ويختارون لهم الذكور ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ** ﴾ [النحل:٦٢]، وأيضًا ﴿ **أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ** ﴾ [الطور:٣٩] فهذه القسمة قسمةٌ جائرةٌ عن العدل، مائلةٌ عن الحق.(٣)

٣- وبَّخ الله ﷻ من عَبَد الملائكة والأصنام واتخذهم أربابًا من دون الله، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر:٣]، ويجب العلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله، علو منزلتهم ورفعة شأنهم لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له، ويرضى عنه الله ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾[البقرة:٢٥٥].(٤)

٤- أنَّ هذه الأصنام التي يعبدها المشركون ما هي إلا أسماءٌ لا حقيقة لها، سموها هم وآباؤهم وجعلوها آلهةً لهم، وليس لهم من دليلٍ ولا برهانٍ على صحة ما يعتقدون، وإنما يتبعون في ذلك الظن وهوى الأنفس، والتقليد الأعمى للآباء، واعتقادهم أن الآباء لا يمكن أن يكونوا على ضلال، مع أن الله أرسل إليهم الرسول بالهدى والحق، والدليل القاطع، على وجود الله ووحدانيته

---

(١) ينظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٥١).

(٢) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١١٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (ج٢٧/١١٢).

(٤) انظر: الزحيلي، التفسير المنير ص١١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان عليهم أن يتعظوا بما جاءهم، وأن يقلعوا عن الشرك وعن عبادة الأصنام، يعبدوا الله وحده.(١)

❖ المطلب الثاني: توبيخ المشركين؛ لتسميتهم الملائكة بنات الله.

قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)** ﴾.[النجم:٢٧-٣٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أنَّ وبَّخ المولى ﷻ المشركين على عبادتهم الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، وأبان عدم جدوى تلك العبادة في مجال الشفاعة وغيرها، وبَّخهم مرة أخرى وقرّعهم في مستهل هذه الآيات على قولهم: الملائكة بنات الله، وأوضح أنها دعوى لا تستند إلى دليلٍ مقبول، وأن عقولهم مقفلةٌ وقاصرةٌ على تقليد الآباء فقط، من غير إعمال العقل في التفكر والتعرف على خالق هذا الكون المحكم، وأنهم لا يهتمون إلا بالدنيا وحطامها والتباهي بالذكور والأموال، وأن الله سيجازيهم على مزاعمهم ومعتقداتهم الفاسدة يوم الحساب، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.(٢)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى** ﴾ أي: أنَّ المشركين يصِفون الملائكة بأوصاف الأنوثة؛ لأنهم إذا قالوا للملائكة (الذين هم عباد الله المنزَّهين عن كل نقصٍ) بنات الله، فقد سمُّوا كل واحدٍ منهم بنتًا وهي تسمية الأنثى ﴿ **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾ [الزخرف: ١٩].(٣)

٢- ﴿ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ** ﴾ أي: ما يتبعون في تسمية الملائكة بالأنثى إلا مجرد الظن والتوهم، وتقليد الآباء.(٤)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ** ﴾ هذه الجملة حالٌ من ضمير (يُسمُّون)، أي يثبتون للملائكة

---

(١) انظر: أسعد حومد، أيسر التفاسير (ج١/٤٦٨٦) بإيجاز.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١١٤) بتدخل.

(٣) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/٢٠٢)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج٣/٣٩٣) بتدخل.

(٤) انظر: محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٢٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفات الإناث في حال انتفاء علمٍ منهم بذلك، وإنَّما هو تخيلٌ وتوهمٌ إذ العلم لا يكون إلا عن دليلٍ لهم. والهاء في (به) تعود على الأسماء؛ لأنَّ التسمية والأسماء واحد. (١)

٢- ﴿ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ شيئًا: مفعولٌ به لـ(يغني)، أو مفعولٌ مطلق.(٢)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى** ﴾ الإعراض والتولي كلاهما مستعملٌ هنا في مجازه؛ فأما الإعراض فهو مستعارٌ لترك المجادلة، أو لترك الاهتمام بسلامتهم من العذاب وغضب الله، وأما التولي فهو مستعارٌ لعدم الاستماع أو لعدم الامتثال.(٣)

٢- بين (ضلَّ) و (اهتدى) طباق يوضح المعنى ويؤكده.

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن عاب الحق ﷻ على المشركين عبادتهم للأصنام والأوثان، وادِّعاءهم أنَّله ولدًا من الملائكة، وردَّ عليهم بأنَّ هذه الأصنام التي جعلوها آلهة لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرا، عاد الخطاب الإلهي للمشركين فعاب عليهم مرة أخرى، وهي تسميتهم الملائكة الذين هم عبادٌ مخلوقين بناتُ الله، ثم أبان لهم أنَّ هذه مقالةٌ شنعاءَ لا تصدر إلا ممن لا يؤمن بيوم الآخرة، ولا يؤمن بالحساب ولا العقاب، فمن أخبرهم بأن لله أولادًا هن ملائكته ؟ ولقد اختاروا له البنات دون البنين، فأليست هذه قسمةٌ جائرة، وكيف يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب العقول الراجحة ﴿ **أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ** ﴾ [الطور:٣٩]، وأيضًا ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**﴾ [النحل:٥٧]، وقوله: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ**﴾ [النحل:٦٢].

وإنَّ ربَّك هو العليمُ بحالهم، والخبيرُ بما تخفى صُدورهم، وسيحاسبُهم على أعمالهم صغيرِها وعظيمِها، وسيجازيهم بما يقولون ويعتقدون جزاءً وفاقا، يوم لا ينفعهم مالٌ ولا بنون، ولا يجدون من دون الله نصيرا.(٤)

---

(١) انظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧١٦٢)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١٥).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١٦)، الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٧/٣٣٣).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١١٧).

(٤) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٥٤-٥٥) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- توبيخ المشركين على جعل الملائكة الذين هم عباد الله إناثًا، وتسميتهم بنات الله، وبتسميات الإناث، فإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على عقائد المشركين الباطلة، وعقولهم التي أقفلوها وأبقوها في حيز التقليد والتعصب الأعمى للآباء والأجداد.

٢- حذَّر الله ﷻ من القول بالظن، والعمل به؛ لأنَّ الظَّانّ مرتكب للإثم من حيث لا يدري، وواقع في الباطل الذي يؤدي به إلى الشك والريبة، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات:١٢]، وقال ﷺ: " **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ** "(١).(٢)

٣- التحذير من الماديين الذين يجعلون الدنيا ومتاعها وملذاتها أكبر همهم ومبلغ علمه، فإنهم شرٌ قائمٌ وخطرٌ قادم، فهُم شر الخلق، وناقوس الخطر للمجتمع المسلم بأن ينجرف نحو الحضارات الغربية، والتيارات الفكرية الرأسمالية، والتي تقدس المال وتتباهي بمن جمع منه وعدده، فواجب علينا الإعراض عنهم، والحذر منهم والتولي من مجالسهم، حتى يزهدوا في هذه الدنيا، ويعلموا أنَّ متاع الدنيا قليلٌ وزائل قال الله: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾[النساء:٧٧].

(١) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب / باب " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** "، ١٩/٨: رقم الحديث ٦٠٦٦]، [مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظن والتجسس...، ١٩٨٥/٤: رقم الحديث ٢٥٦٣].

(٢) انظر: مرجع قريب من المعنى، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (٣١-٥٤).

❖ المطلب الأول: جزاء المحسنين وأوصافهم، وبيان جزاء المسيئين.

قال الله تعالى:﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)** ﴾ [النجم:٣١-٣٢].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن أبان الله ﷻ أنه العليم بما في السموات والأرض، وأنه يجازي عباده بعدله، فيثيب المحسن بالجنة، ويعاقب المسيء بالنار، ذكر أنه قادرٌ على ذلك، فهو مالك العالم العلوي والعالم السفلي يتصرف فيهما بما شاء وكيف شاء، وهو يجازي على وفق علمه المحيط بكل شيء، ثم ذكر أوصاف المحسنين الذين يجتنبون الكبائر ولا يصرون على الصغائر، وأخبر أنه ﷻ جوادٌ كريم، واسع المغفرة لمن يشاء من عباده.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **بِالْحُسْنَى** ﴾ وهي الجنة،ولا حسنى دونها.(٢)

٢- ﴿ **كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ** ﴾ أي الكبائر من الإثم؛ لأنَّ الإثم جنسٌ يشتمل على كبائر وصغائر، والكبائر: الذنوب التي لا يسقط عقابها إلا بالتوبة، وقيل: التي يكبر عقابها بالإضافة إلى ثواب صاحبها، (والفواحش): ما فحش من الكبائر وشرع فيها الحد، وقيل: هو الشرك بالله.(٣)

٣- ﴿ **اللَّمَمَ** ﴾ اللَّمَمَ: صغارُ الذنوب، وقيل: إنَّ اللَّمم نحو القُبلة والنظرة وما أشبه ذلك، وقيل: أن يكون العبد قد ألَمَّ بفاحشة ثم تاب. وروى الطبري عن الضحاك قال: " كلّ شيء بين حدِّ الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله".(٤)

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١١٩).

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/٢٠٣).

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢٥).

(٤) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج٥/٧٤)، الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٣٨)، ابن منظور، لسان العرب (ج١٢/٥٤٩) باختصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل، وزيادة الخير والطاعات، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولًا وآخرا.(١)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾ اللام: لام التعليل، حيث جعل الجزاء علة لثبوت ملك الله لما في السموات والأرض.(٢)

٢- ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ يجوزُ أَنْ يكونَ منصوبًا بدلًا أو بيانًا أو نعتًا للذين أحسنوا، وبإضمار أَعْني، وأن يكونَ خبر مبتدأ مضمرٍ أي: هم الذين.(٣)

٣- ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ استثناءٌ منقطع، لأنه لم يدخل تحت ما قبله، وهو صغار الذنوب، أو صفة إلى كبائر الإثم غير اللمم وقيل: يصح أن يكون استثناء متصلًا، وهذا يظهر عند تفسير اللمم ما هو.(٤)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

- ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ بينهما مقابلة، وتكرار لفظ ليجزي من قبيل الإطناب.(٥)

خامسًا: القراءات القرآنية:

-﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (يجتنبون كَبِيرَ الْإِثْمِ) بغير ألف يعني الشرك.

وقرأ الباقون: (كَبَائِرَ الْإِثْمِ) وحجتهم في ذلك أنه لو قال (كبير الإثم) لجاء اللفظ (والفحش) أو (والفاحشة).(٦)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

ما زال السياق الكريم في تقرير ربوبيته ﷻ المطلقة لكل شيء، إذ تقدم في السياق قوله تعالى:

---

(١) ينظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٩٤).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٢٠).

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٠٠).

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٢٠).

(٥) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١١٨).

(٦) يراجع: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ **فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى** ﴾ وهنا قال عز من قائل: ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ خلقًا وملكًا وتصرفًا وتدبيرًا، فهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء هدايةً تابعةً لحكمةٍ وإضلال.(١)

والله ﷻ له ملك ما في السموات وما في الأرض؛ ليجزي بذلك الذين أساؤوا وأجرموا بعقابهم على ما عملوا من السوء في دار الفناء، وأيضًا ليجزي الذي أحسنوا بالجنة التي كانوا يرقبونها ويجعلوها أسمى أمانيهم، وهم الذين كانوا يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا الصغائر ومحقرات الذنوب، والتي لا يصرُّ صاحبها عليها، ولا يجهر بها أو يتباهى أمام الناس، فقد كانوا يقعون فيها بسبب غلبة شهوتهم عليهم ووسوسة الشيطان لهم، فإن هذه الصغائر يغفرها الله ﷻ لهم، إما بالصلاةِ أو العمرةِ أو التوبةِ النصوح، ويسترها عليهم في الدنيا والآخرة، ولا يفضحهم على رؤوس الخلائق، لأنه واسع المغفرة ، ورحمته وسعت كل شيء ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون** ﴾ [الأعراف:١٥٦].

قال الفخر الرازي– رحمه الله –: "وفي ذلك لطيفة؛ لأنَّ جزاء المسيء عذاب، فنبَّه على ما يدفع الظلم فقال: لا يُعذِّبُ إلاَّ عن ذنبٍ، وأما في الحسنى فلم يقل: بما عملوا؛ لأنَّ الثواب إنْ كان لا على حسنة، يكون في غايةِ الفضلِ فلا يخل بالمعنى، هذا إذا قلنا الحسنى هي المثوبةُ بالحسنى، وفيه إشارةٌ إلى الكرم والصفح منه ﷻ ".(٢)

وهو أعلم بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وحين أنتم نُطفة لم تتخلق، أو أجنَّة في بطون أمهاتكم، فلا تزكُّوا أنفسكم فتمدحوها وتصفوها بالتقوى والبر والصلاح، فهو ﷻ أعلم بمن اتقى عقابه فاجتنب معاصيه من عباده في السر والعلن.

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١– أنَّ لله مُلك ما في السموات وما في الأرضخلقًا وملكًا وتصرفًا وتدبيرًا، وهذا دليلٌ على قدرته ﷻ المطلقة في خلق الأشياء وإيجادها وتكوينها.

٢– إنَّ المولى ﷻ أعلم بمن ضلَّ عن سبيله، وأعلم بمن اتقاه، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فيجزي كلاً من الفريقين بحسب ما يستحق، فالذين أساؤوا وأجرموا يجازيهم بعقابهم على ما عملوا من السوء في دار الفناء، ويجزي الذي أحسنوا بالجنة التي وعدوا بها.

---

(١) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/١٩٦).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٩/٢٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣-إنَّ الله ﷻ واسع المغفرة من الصغائر والكبائر لمن تاب من ذنبه واستغفر، أما من لم تصل إليهم المغفرة، فهم الذين أصروا على الإساءة، وماتوا من غير توبة، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ** ﴾ [التوبة:٨٤].(١)

٤- أمر الله العباد بألّا يزكوا، أنفسهم ولا يثنوا عليها ولا يمدحوها؛ لأنَّ الله ﷻ وحده العالم مَنْ هو البر التقي الصالح، ومَنْ هو الفاجر الشقي السيئ.(٢)

وقد روى البخاري في صحيحه " **أنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يمدح أحدٌ صاحبه أمام آخرين، وأن يكتفي بالقول: أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ**"، **وزاد مسلم** " **وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا** ".(٣)

٥- أنَّ المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجابٍ ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه، إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشاطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به كان مستحبا.(٤)

٦- في الآيات تنبيهٌ على كمالِ العلم والقدرةِ المطلقة لله ﷻ، فإنَّ بطونَ الأمهاتِ في غاية الظُّلْمة ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ** ﴾ [الزمر:٦] فمن عَلِمَ حالَ الجنين فيها، لا يخفى عليه ما يظهر من حال العباد.(٥)

٧- إنَّ الله ﷻ غفَّار الذنوب، يغفر لمن يشاء، ويقبل توبة من تاب توبةً نصوحةً، وإنه يغفر صغائر الذنوب ما لم يصر عليها العبد، فيكفر الله الذنوب بفعل الصالحات كالوضوء، والعمرة وغيرها قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود:١١٤]، وتغفر الذنوب أيضًا باجتناب الكبائر، كما قال تعالى: ﴿ **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا** ﴾ [النساء:٣١].

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٢٣).

(٢) انظر: أسعد حومد، أيسر التفاسير (ج١/٤٦٩٥).

(٣) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات / باب إذا زكّى رجلٌ رجلاً كفاه، ١٧٦/٣: رقم الحديث ٢٦٦٢]، [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق / باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، ٢٢٩٦/٤: رقم الحديث ٣٠٠٠].

(٤) انظر: مسلم، شرح صحيح مسلم، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ج٤/٢٢٩٦).

(٥) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج١٨/١٩٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن لا يغفر الله أن يشرك به، فإنه ﷻ لا يغفر أن يشرك به شيئا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:٤٨].

❖ **المطلب الثاني: توبيخ أحد كبار أغنياء المشركين؛ لإعراضه عن الحق، تذكيره بما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.**

قال الله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤)** ﴾.[النجم:٣٣-٥٤].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بيَّن الله ﷻ سعة علمه وقدرته الفائقة على إيقاع الجزاء يوم القيامة بأهل الإساءة والإحسان، وبيَّن جهل المشركين في عبادة الأصنام، وسفاهاتهم وضلالاتهم، وميَّز بين المؤمنين والمجرمين، ذَكَر المولى ﷻ هنا نوعًا خاصًا من أهل الإجرام والضلال، فذَكَر على سبيل التعجيب والتقريع نبأَ واحدٍ معينٍ منهم بسوء فعله [وهو الوليد بن المغيرة]، أعرض عن الدخول في الإسلام، بالرغم من سماعه لبعض ما أُنزل من الذكر الحكيم، حيث أعرض عن الإيمان، وأحجم عن العطاء لمن وعد أَنْ يعطيه، وجَهِل ما غاب عنه من العذاب، وظنَّ أن غيره يتحمل عنه أوزاره، مع أن جميع الشرائع كشريعة إبراهيم وموسى -عليهما السلام- تُقررُ مبدأ المسؤولية الشخصية أو الفردية، وأن لا تتحمل نفسٌ آثمةٌ وزرَ أو ذنبَ نفسٍ أخرى، وأن ليس لكل إنسانٍ إلا سعيه سواء بالخير، أو بالشر.[١]

ثانيًا: سبب النزول:

١- سبب نزول الآيات (٣٣- ٤١):

قال مجاهد وابن زيد فيما أخرجه الواحدي والطبري: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد

(١) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج٣/٢٥٩)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٢٧-١٢٨)، والزحيلي، التفسير الوسيط (ج٣/٢٥٣) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فعيَّره بعض المشركين، وقال: لم تركت دين الأشياخ و ضَلَّلْتَهُم، وزعمت أنهم في النار؟ قال: إنِّي خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئًا من ماله، ورجع إلى شركه، أن يتحمل عنه عذاب الله ﷻ، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له، ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.(١)

٢- سبب نزول قوله: ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** ﴾ الآية (٤٣):

أخرج الواحدي **عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " مرَّ رسول الله ﷺ بقوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلًا، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول: وأنه هو أضحك وأبكى فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى تلقاني جبريل عليه السلام فقال: ائتِ هؤلاء وقل لهم: إن الله ﷻ يقول: وأنه هو أضحك وأبكى".**(٢)

ثالثًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **تَوَلَّى** ﴾ يعني: أعرض عن الحق، وهو الوليد بن المغيرة، ومن كان في مثل حاله.(٣)

فالتولي يكون بمعنى الإعراض، والإدبار عن الشيء، كما فعل الوليد بن المغيرة لمّا تكبر عن الحق واتباع رسول الله ﷺ.

٢-﴿ **أَكْدَى** ﴾ أي: قطع، أعطى قليلًا، ثم أمسك عن النفقة، وبخل ومنع وانقطع عطاؤه.(٤)

٣- ﴿ **وَفَّى** ﴾ أي: تمَّم وأكمل إبراهيم عليه السلام ما أُمر به، وقيل: أي بلَّغ قومه ما أمر به وأدَّاه إليهم، وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه، من ذبح ولده حيث تله للجبين ليذبحه، ومن بناء البيت والهجرة والختان إلى غير ذلك من التكاليف الشاقة.(٥)

٤- ﴿ **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ تزر: من وَزَرَ يَزِرُ إذا اكتسب وزرًا وهو الإثم أي: أنه لا تزر، أي: لا تحمل نفسٌ حاملةٌ حِمْل أخرى، والمعنى: لا تُؤخذ بإثم غيرها.(٦)

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٤١)، والواحدي، أسباب النزول (ج١/٤١٦) حديث رقم:٧٧١.

(٢) انظر: الواحدي، أسباب النزول (ج١/٤١٦-٤١٧) حديث رقم:٧٧٣.

(٣) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٦٥).

(٤) انظر: الفراء، معاني القرآن (ج٣/١٠١)، الأزهري، تهذيب اللغة (ج١٠/١٧٧).

(٥) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٣٧)، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/٢٠٠).

(٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٥/٢٨٢) ملخصًا، ابن الجوزي، زاد المسير (ج٤/١٩٢)، النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٣٩٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- ﴿ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ أي: ليس للإنسان إلاّ أجر سعيه وجزاء عمله ولا ينفع أحدًا عمل أحد.(١)

٦- ﴿ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى. وإنما قال جلَّ ثناؤه الأوفى؛ لأنه أوفى ما وعد خلقه عليه من الجزاء.(٢)

فالله ﷻ يجزي جزاءً كاملًا غير منقوص، بل إنه يضاعف ذلك الأجر أضعافًا كثيرة.. ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠].

٧- ﴿ الْمُنْتَهَى ﴾ أي: إليه المرجع والمصير،والمنتهى: مصدرٌ بمعنى الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه.(٣)

٨- ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ النطفة هي قطعة من الماء، وتمنى من أمنى المني إذا نزل، أو مني يمنى إذا قدر، وتمنى أي: تُقذَف وتسال و تصب إذا تدفق في الرحم.(٤)

فالله ﷻ خلق الإنسان من هذه النطفة التي تخرج من صُلب الإنسان، ومن أعلى عظام صدر المرأة، قال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:٧].

٩- ﴿ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾ أي: البعث يوم القيامة، وهي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البلي في التراب. وإنَّما قال: (الأخرى)؛ لأنها ثانية النشأة الأولى، والنشأة الأولى ابتداء الخلق.(٥)

فالذي أنشأ الخلق وكونه في البداية قادرٌ على الإعادة، بل إن الإعادة أهون وأيسر، فأمره بين الكاف والنون قال رب العزة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس:٧٧-٨٢].

١٠- ﴿ أَقْنَى ﴾ أي: أفقر. واختلف المفسرون في معناها فقالوا: معناها أرضى بما أعطى، وقيل: أخدم وأكسب وأرضى.(٦)

---

(١) ينظر: محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٢٧٠).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٤٧).

(٣) يراجع: الزجاج، معاني القرآن (ج٥/٧٦)، الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢٨).

(٤) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٩/٢٨١)، الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢٨).

(٥) ينظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٣٠٢)، وابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/٢٠٧).

(٦) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٤٩) باختصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن عاشور – رحمه الله –: "ويظهر أن معنى (أقنى) ضد معنى (أغنى) أي: أفقر، رعيًا لنظائره التي زاوجت بين الضدين من قوله: (أضحك وأبكى) و(أمات وأحيا) و (الذكر والأنثى)".(١)

١١- ﴿ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ يعني بالشِّعرى: النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله.(٢)

قال ابن عباس ﷺ : " الشِّعرى هو الكوكب الْفَتى يتبع الجوزاء كانت تعبده خُزاعة ".(٣) فيقول الله ﷻ: وأنا ربه، وأنا خلقته، فاعبدوني وحدي ولا تشركوا بي شيئًا.

١٢- ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ المؤتفكة: هي القُرى التي ائْتُفِكت بأهلها، أي: انقلبت، وهم قوم لوط ﷺ، و(أهوى) أي: رفعها إلى السماء على جناح جبريل ﷺ، ثم أهواها إلى الأرض أي: أسقطها، فجعل عاليها سافلها ودمرها بأمر الله وقوته، وجعلها الله عبرة لمن أراد أن يعتبر من الأمم.(٤)

١٣- ﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾ أي: ألبسها ما ألبسها من الحجارة التي وقعت عليها، كما في قوله: ﴿ فَجَعَلْنَا عاليها سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر: ٧٤]، والذي غشاها هو مطرٌ من الحجارة المُحمَّاة، وهي حجارةٌ بركانيةٌ، قُذفت من فوهات كالآبار كانت في بلادهم ولم تكن مُلتهبةً من قبل. وفي هذه العبارة تهويلٌ للأمر الذي غشاها به وتعظيم له.(٥)

رابعًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ فَهُوَ يَرَى ﴾ جملةٌ اسميةٌ واقعةٌ موقع الفعلية، والأصل: أعنده علم الغيب فيرى.(٦)

٢- ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (أَنْ) مخففةٌ من الثقيلة، واسمها محذوفٌ هو ضمير الشأن أي: أنه لا تزر، و(لا تزر) هو الخبر، و(أَنْ) وما بعدها فيها قولان، أظهرهما: الجر بدلًا من

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٤٩).
(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٥٠).
(٣) ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ج١/٤٤٨).
(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٢٩) بتدخل.
(٥) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٤١)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٥٥).
(٦) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٠٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ما) في قوله: (بما في صحف موسى). والثاني: الرفع خبرًا لمبتدأٍ مضمر أي: ذلك أن لا تزر أو هو أن لا تزر، وهو جوابٌ لسؤالٍ مقدر، كأنَّ قائلًا قال: وما في صحفهما؟ فأجيب بذلك.(١)

٣- ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ سعيه: اسم أن، وجملة سوف يرى خبر أن. وسوف: حرف استقبالٍ وقد يراد به المستقبل البعيد.(٢)

٤- ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (ثُمَّ يُجْزَاهُ): يجوز فيه وجهان، **أظهرهما**: أنَّ الضمير المرفوع عائدٌ على الإنسان، والمنصوب عائدٌ على سعيه، و(الجزاءَ) مفعولٌ مطلق (مصدرٌ) مبيِّنٌ للنوع.

والثاني: ويجوزُ أَنْ يكونَ الضميرُ للجزاء، ثم فسَّره بقوله (الجزاءَ)، أو أبدله عنه.(٣)

٥- ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ في انتصاب (ثمودَ) وجهان، **أحدهما**: أنه معطوفٌ على (عادًا). **والثاني**: أنَّه منصوبٌ بالفعل المقدَّر، أي: وأهلك ثمودَ.(٤)

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١-في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ استعارةٌ تصريحية؛ لأنه استعار الإدبار والإعراض لعدم الدخول في الإيمان.(٥)

٢- ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ فيها استعارةٌ تصريحيةٌ، حيث شبَّه من يُعطى قليلًا ثم يمسك عن العطاء بمن يَكدي أي يُمسك عن الحفر بعد أن حيل دونه بصلابة كالصخرة.(٦)

٣-الاستفهام في ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ استفهامٌ إنكاري.(٧)

٤- ﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾ الإبهامُ الوارد في الغَشية للتعظيم والتهويل.(٨)

٤- بين (أَضْحَكَ) و (أَبْكى)، وبين (أَماتَ) و (أَحْيا)، وبين (أَغْنى) و (أَقْنى) طباق.. وقد زاد

---

(١) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون ، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٧/٣٤٠)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٣٩).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (٤/٤٢٨)، السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٠٤).

(٤) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٠٥).

(٥) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٧/٣٤٣).

(٦) انظر: المرجع السابق.

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٢٨).

(٨) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الطباق حسنًا أنه أتى في معرض التسجيع الفصيح لمجيء المناسبة التامة في فواصل الآي.(١)

٥- بين **(أَغْنى)** و **(أَقْنى)** جناسٌ ناقصٌ لتغير بعض الحروف.(٢)

٦- في قوله: ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى** ﴾ فنُّ التنكيت.. وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدُّ مسدَّه؛ لأجل نكتة في المذكور، فقد خصَّ الله ﷻ الشِّعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شيء.(٣)

سادسًا: القراءات القرآنية:

١-﴿ **وَأَن عَلَيْهِ النشأة الْأُخْرَى** ﴾ قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرو (النَّشَأة) بفتح الشين، وقرأ الباقون (النَّشْأة) بإسكان الشين، وهما لغتان ومثلها مما تقول العرب الرأفة والرأفة.(٤)

٢- ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى** ﴾ قرأ نافعٌ وأبو عمرو (عاد لولى) موصولةٌ مدغمة، وقرأ الباقون (عادًا الأولى) منونة.

وحجة نافعٍ وأبي عمرو: أنه رُوي عن بعض العرب أنهم يقولون هذا لَحْمَرْ قد جاء، فتحذف ألف الوصل لحركة اللام.. فهذه حجةٌ لقراءة أبي عمرو ونافع؛ لأن الحركة قد صارت لازمةً؛ لأنه حذفت ألف الوصل ولو لم تكن لازمة لما حذفت.(٥)

قال الزجاج: " أما (الأولى) ففيها ثلاث لغات.. الأولى: بسكون اللام وإثبات الهمزة وهي أجود اللغات، والتي تليها في الجودة الولى بضم اللام وطرح الهمزة، ومن العرب من يقول: (لولى) فيطرح الهمز لتحرك اللام "(٦)، وعلى هذه اللغة قرأ أبو عمرو (عاد لولى).

والقول في (عادًا الأولى) أنَّ من حقق الهمزة في (الأولى) سُكِّنت له لام المعرفة والتنوين، وإذا سُكِّنت لام المعرفة والتنوين من قول (عادًا) ساكنان التقى ساكنان النون التي في (عادًا) ولام المعرفة فحركة التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين.(٧)

---

(١) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٧/٣٤٣).

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٢٥).

(٣) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٧/٣٤٤).

(٤) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٦).

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) الزجاج، معاني القرآن (ج٥/٧٧).

(٧) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ قرأ حمزة وعاصم: (وثمود فما أبقى) بغير تنوين، جعلاه اسمًا لقبيلة. وقرأ الباقون بالتنوين جعلوه اسماً لحي لهم.(١)

سابعًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن بيَّن ﷻ علمه وقدرته، وأنَّ الجزاء واقعٌ على الإساءة والإحسان، وأن المحسن هو الذي يجتنب كبائر الإثم، وهذا لا يعرف إلا بالوحي من الله ﷺ. ذكر في هذه الآيات العظيمة أنَّ من العجب بعد هذا أن يسمع سامعٌ، ويرجو عاقل أن غيره يقوم مقامه فى تحمل وزره ويعطيه جعلًا لكنه ما أعطاه إلا قليلًا حتى وقف عن العطاء وبخل، ومن ثم وبخه على ذلك، بأن علم هذا لا يكون إلا بوحي، فهل علم منه صحة ما اعتقد؟ كلَّا فجميع الشرائع المعروفة لكم كشريعة موسى وإبراهيم – عليهما السلام – على غير هذا.(٢)

ففي هذه الشريعتين أنَّه: لا تزر وازرةٌ وزر أخرى، بمعنى لا تحمل نفسٌ مستعدةٌ للحمل ذنب نفسٍ أخرى، وفيها أنه ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى يوم القيامة، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وأن إلى الله نهاية الخلق ومنتهاهم، وأنه هو أضحك بعض عباده وأبكى، أضحكهم؛ لأنه وعدهم السعادة في الدنيا والآخرة، وأبكى في الحقيقة من حرمهم السعادتين، وأنه خلق الموت والحياة، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان، خلقهما من نطفة إذا تمنى، وهذه النطفة لا يفرق فيها بين الذكر والأنثى، فليس هناك شكٌ في أنه وحده هو الخالق للذكر والأنثى! وأن عليه الإحياء بعد الإماتة، وهو وحده الذي أغنى وأقنى، أغنى بالمال والمنقولات وأقنى بالعقارات الثابتة وغيرها من المتاع، وأنه هو رب الشعرى وغيرها من الكواكب والنجوم، وأنه أهلك عادًا الأولى الذين أرسل لهم هود عليه السلام، وأهلك ثمودًا الذين أرسل لهم صالح عليه السلام، فما أبقى منهما شيئا، وأهلك قوم نوح عليه السلام من قبل هؤلاء الكفرة، إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من غيرهم، وأهلك قرى قوم لوط عليه السلام، وهم المؤتفكة التي رفعها الله بواسطة جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها إلى الأرض فغشيها من الهم والحزن ما غشيها.(٣)

ثامنًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- خصص الله ﷻ واحدًا من المشركين [وهو الوليد بن المغيرة كما ذكرت آنفًا] عيَّنه بسوء فعله للعبرة والعظة، واستهجان ما فعل من معاوضة غيره في الدنيا بمالٍ قليل، أعطى اليسير

---

(١) انظر: المرجع السابق (ج١/٦٨٨).

(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٦٢،٦٣) بتصرف.

(٣) انظر: حجازي، التفسير الواضح (ج٣/٥٦٤) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منه، ثم منع الباقي وبخل وأمسك، على أن يتحمل عنه آثامه يوم القيامة، ولم يعلم بأنه لا يتحمل أحدٌ وزر ولا ذنب أحد، حتى لو كانوا من ذوي الأقارب، ولا يآخذ المرء بجريرة غيره ولا يتحمل عنه أية جناية، قال تعالى ﴿ **وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى** ﴾ [فاطر:١٨] وقوله: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّن شيء إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [العنكبوت: ١٢].

٢- أنَّ لكل من إبراهيم وموسى – عليهما السلام – صحفًا، وهي المذكورة في قوله: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)**﴾ [الأعلى:١٨،١٩]، فصحف إبراهيم عليه السلام هي صحفٌ سُجِّل فيها ما أوحى الله إليه، فكان المأثور منها أشياء قليلة، وقدِّرت بعشر صحفٍ أي مقدار عشر ورقات بالخط القديم، تَسعُ الورقة قُرابة أربع آيات من آي القرآن، بحيث يكون مجموع ملفي صحف إبراهيم عليه السلام مقدار أربعين أية، أما صحف موسى عليه السلام فقد اشتهرت بسعة ما فيها من الهدى والشريعة.[١]

٣- كمال القدرة، فإن النطفة جسم متناسب الأجزاء فى الظاهر، ويخلق الله تعالى منها أعضاء مختلفة، وطباعا متباينة من ذكر وأنثى، ومن ثم لم يدّع أحد خلق ذلك، كما لم يدّع خلق السموات والأرض كما قال: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان:٢٥].[٢]

٤-في قوله تعالى: ﴿ **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى... وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** ﴾ توكيدٌ قويٌ وحاسمٌ للمبدأ القرآني، وهو قابلية الإنسان للكسب والاختيار والسعي، ومسؤوليته عن كسبه واختياره، واستحقاقه الجزاء على ذلك وفاقًا لما يكون فيه من خيرٍ وشر، ونفعٍ وضر، وهدى وضلال، لما في ذلك من تقوية الوازع الذاتي فيما يباشره الإنسان من أي عملٍ يقوم به.[٣]

٥- أنَّ الله عز وجل خلق الضحك والبكاء، والسرور والحزن؛ بخلق أسبابهما: فقد يضحك الضاحك؛ وأسباب البؤس والشقاء تكتنفه من كل حدبٍ وصوب. ويبكي الباكي وأسباب النعمة والسرور تحيط به من كل جانب. فهو جل شأنه باعث نعمة السرور لأناس؛ ليعوِّض عليهم بعض ما

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٢٩-١٣٠)، الشنقيطي، أضواء البيان (ج٧/٤٦٩).

(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٦٧).

(٣) انظر: دروزة، التفسير الحديث (ج٢/١١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاتهم من النعم، وهو عز سلطانه مُنزِل نقمة الحزن على أناسٍ جزاء ما فرَّطوا في جنبه، وأفرطوا في ارتكاب محارمه.(١)

٦- ذكر الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة نبيَّين من أنبيائه ومن أولي العزم الخمسة وهما إبراهيم وموسى – عليهما السلام –، وقد خص الله هذين النبيين – عليهما السلام – بالذكر دون غيرهما؛ لما قيل بأن الفترة الزمنية ما بين نوح وإبراهيم – عليهما السلام – كانوا يأخذون الرجل بأبيه وابنه وعمه وخاله، والزوج بامرأته، والعبد بسيده، ظلمًا وبهتانا، فأول من خالفهم في ذلك إبراهيم عليه السلام، ومن شريعة إبراهيم عليه السلام إلى شريعة موسى عليه السلام، كانوا لا يأخذون الرجل بجريمة غيره.(٢)

٧- خلق الله ﷻ الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان؛ لتستمر الحياة بالتزاوج بين الذكور والإناث، فقد خلق الذكر والأنثى من نطفة من المني، تخرج من صلب الذكر، تمنى وتتدفق وتستقر في رحم الأنثى ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ [الزمر:٦]، حينها يتم تكوين الجنين أطوارًا بإذن الله تعالى.. فسبحان من كون وأبدع الخلق وأنشأه إنشاءً!(٣)

---

(١) انظر: ابن الخطيب، أوضح التفاسير (ج١/٦٥٠).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٢٣).

(٣) انظر: أسعد حومد، أيسر التفاسير (ج١/٤٧٠٨) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: مقاصد وأهداف سورة النجم من الآية (٥٥-٦٢).

❖ المطلب الأول: الاتّعاظ برسالة الرسول ﷺ، والتحذير من أهوال يوم القيامة.

قال الله تعالى:﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)** ﴾.[النجم:٥٥-٥٨].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا عدَّ الله ﷻ نعمه على الإنسان من خلقه وإغنائه، ثم ذَكر أمثلة على قدرته بإهلاك مَنْ كفر بتلك النعم، وأنَّ الإحياء والإماتة بيد الله ﷻ، وبَّخ الإنسان على جحد شيءٍ من نعم الله، فيصيبه مثل ما أصاب الشاكِّين المتمارين المجادلين بالباطل. خاطب الله ﷻ هنا رأس المؤمنين ﷺ؛ لأنَّ خطابه له أشد في تذكير غيره من الناس، فقال مسببًا عما مضى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى** ﴾ فهذا إنذارٌ للرسول ﷺ، وذكَّر بإنذار القرآن، وحين فرغ من بيان التوحيد والرسالة، ختم ببيان اقتراب يوم القيامة والتي سماها بالآزفة، والكل يعلم ما هو واجبٌ عليه فعله لدنو موعد الساعة.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **تَتَمَارَى** ﴾ التَّماري والمُماراة: المجادلة، والشَّك والريبة، والمُراء: الجدال.(٢)

فيكون المعنى بأي نعمة من نعم ربك يا أيها الإنسان التي تدل على وحدانية الخالق تشك وتماري وتجادل.

٢- ﴿ **أَزِفَتِ الْآزِفَةُ** ﴾ أَزِفَ: الهمزة والزاي والفاء يدل على الدنو والمقاربة، يقال: أزف الرحيل: إذا اقترب ودنا، فأزفت الآزفة أيقَرُبت القيامة، وسميت بذلك؛ لقرب قيامها.(٣)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ** ﴾ الباء ظرفيةٌ بمعنى في، أي ففي أي آلاء ربك تتمارى.(٤)

٢- ﴿ **لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ** ﴾ هذه جملةٌ مستأنفةٌ بيانية، أو صفةٌ لـ(الآزفة)، و(كاشفة) يجوز أن يكون مصدرًا بوزن فاعلة كالعافية، وكاذبة، والمعنى ليس لها كشف، ويجوز

---

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٨٠)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٣٧).

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١٥/٢٧٨).

(٣) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج١/٩٤)، والماوردي، النكت والعيون (ج٥/٤٠٦).

(٤) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١١٤) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يكون اسمَ فاعلٍ قرن بهاء التأنيث للمبالغة مثل: راويةٍ وداهيةٍ، أي ليس لها كاشفٌ قوي الكشف فضلًا عمن دونه.[1]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- الخطاب للرسول ﷺ بقوله: ﴿ تَتَمَارَى ﴾ على طريقِ الإلهابِ والتعريض للغير.[2]

٢-في قوله: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ تشبيهٌ بليغ؛ لأنَّه شبَّه إنذار القرآن أو الرسول بإنذار الكتب الماضية، أو الرسل المتقدمة.[3]

٣- ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴾ فيها جناس الاشتقاق المتغاير،[4] ووصف القيامة بالآزفة للتأكيد، وتقرير الإنذار.[5]

٤- في قوله: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ فن التَّمثيل.. فقد أخرج الكلام مخرج المثل السائر، يتمثل به في الوقائع.[6]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد ذلك العرض العظيم لمظاهر القدرة والعلم والحكمة وكلها مقتضية للربوبية لله ﷻ، خاطب الله تعالى الإنسان فقال: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ ﴾ أي بعد الذي عرضنا عليك في هذه السورة من مظاهر النعم والنقم وكلها في الباطن نِعَم، فبأيِّها تتمارى وتتشكك أو تكذب، وكلها ثابتة جلية أمامك لا تقدر على إنكارها وإخفائها بحالٍ من الأحوال. ثم يشير الله ﷻ إلى النبي ﷺ الذي هو نذيرٌ من النذر الأولى التي سبقته وهم الأنبياء والرسل، أو ما خوفت به الرسل أقوامها من عذاب الله ﷻ العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة. ألا فاحذروا أيها الناس عاقبة إعراضكم.

ثم يخبر الرب – جلا وعلا – أنَّ موعد القيامة قد آن أوانها، وحضرت ساعتها وإنها لقريبةٌ جدًا، كما قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَر ﴾ [القمر:١]، ليس لها من دون الله نفسٌ كاشفةٌ تكشف الستار عنها وتظهرها، بل تبقى مستورةً لحكمةٍ إلهيةٍ قد تفاجأ بها كل البشرية، ﴿

(١) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ص١١٥)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٥٩).
(٢) ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/١٨٩).
(٣) ينظر: المرجع السابق.
(٤) ينظر: الزحيلي التفسير المنير (ج٢٧/١٣٦).
(٥) ينظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/١٨٩).
(٦) ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف:١٨٧]، وويلٌ يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بهذا اليوم العظيم.(١)

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- يستنكر الحق ﷻ على الإنسان المكذِّب في أي زمان كان تشككه ومماراته وجداله في آلاء الله ونعمه العديدة، بعد أن أبان القرآن الكريم بعضًا منها، كالخلق والرزق والإغناء والصحة وتسخير الكون كله لمصالح الإنسان وخدمة نفسه، كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله أيضًا: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان:٢٠].(٢)

٢- إنَّ القرآن العظيم نذيرٌ بما أنذرت به الكتب الأولى قال تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾، وكذلك النبي ﷺ نذيرٌ بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، قال تعالى: ﴿ **نَذِيرًا لِلْبَشَرِ** ﴾ [المدّثر:٣٦]، فإن أطاعه الناس أفلحوا ونجوا قال المولى ﷻ: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور:٥٤]، وهذا مطابقٌ أيضًا لِمَا في صحف إبراهيم وموسى – عليهما السلام – وغيرهما.(٣)

٣- بيان قُرب القيامة وخفاء ساعتها عن كل خلق الله لحكمةٍ إلهيةٍ، وإنها تأتي بغتة، وقد تفاجأ بها كل البشرية، فهو وحده ﷻ يعلم وقتها، وقد يدلّ على قرب وقوعها علامات صغرى وكبرى، مع عدم تحديد زمن وقوع الساعة.(٤)

❖ المطلب الثاني: الاتعاظ بالقرآن الكريم، والأمر بالخضوع والانقياد لأمر الله ﷻ.

قال الله تعالى:﴿ **أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (٦٢)** ﴾.[النجم:٥٩-٦٢].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

حين فرغ الرَّب – جل وعلا – من بيان التوحيد والرسالة، وبيان اقتراب موعد القيامة، ختم

---

(١) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/٢٠٣) بإيجازٍ وتدخل.
(٢) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٤٠) بتدخل.
(٣) ينظر: المرجع السابق. بتدخل.
(٤) ينظر: مرجع قريب، الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/٢٠٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السورة الكريمة بالتحذير من إنكار القرآن وتكذيبه، ومن التفريط بما جاء فيه، والغفلة والإعراض عن مواعظه وحِكَمه، والدَّعوة إلى الانقياد التام والاستسلام لله رب العالمين، وعبادته وحده بإتقانٍ وإخلاص، وعدم الشرك به.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ** ﴾ المراد بالحديث: الكلام وهو القرآن الكريم، أي: كيف تعجبون منه تكذيباً؟(٢)

٢- ﴿ **سَامِدُونَ** ﴾ لاهون غافلون، والسُّمود: اللّهو، والغفلة والسهو عن الشيء.(٣)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ** ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء استئنافية، و(من هذا) متعلقان بتعجبون، و(الحديث) بدلٌ من اسم الإشارة.(٤)

٢- ﴿ **وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ** ﴾ هذه الجملة تحتمل أن تكون مستأنفة، أخبر اللَّه تعالى عنهم بذلك، وتحتمل أن تكون حالًا أي: انتفى عنكم التباكي حال كونكم (سامدون).(٥)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- في قوله: ﴿ **أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سامِدُونَ** ﴾ مراعاة الفاصلة القرآنية.(٦)

٢- ﴿ **أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ** ﴾ استفهام إنكارٍ وتوبيخ.(٧)

٣- ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾ عطف العام على الخاص.(٨)

٤- بين قوله: ﴿ **تَضْحَكُونَ** ﴾ و ﴿ **تَبْكُونَ** ﴾ طباقٌ، يوضح المعنى ويؤكده.

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٣٧).
(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٤٢).
(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٣/٢١٩)، البغوي، معالم التنزيل (ج٧/٤٢١).
(٤) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٦٨).
(٥) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١١٦).
(٦) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٣٦).
(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦٠).
(٨) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- ﴿ **وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ** ﴾ تقديم المجرور للقصر، أي هذا الحديث ليس أهلًا لأن تقابلوه بالضحك والاستهزاء والتكذيب.(١)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يحذِّر الله ﷻ كفار قريشٍ في هذه الآيات الكريمات من إنكار القرآن وتكذيبه، ومن التفريط بما جاء فيه، والغفلة والإعراض عن مواعظه وحِكَمه، فيقول مُوبِّخاً: فلا تعجبوا من القرآن منكرين، تتشككوا في صحته ومصدره، ولا تضحكوا منه سخريةً واستهزاءً، ثم وبَّخهم تارةً أخرى فيقول: ألا تبكون خوفًا من وعيده، وأنتم لاهون معرضون عنه؟ ولا تبكون على ما فرَّطتم فى جنب الله وعلى غفلتكم عن مواعظه وحِكَمه التي فيها سعادتكم فى دنياكم وآخرتكم.

ابكوا حزنًا ووجلًا منه، واسجدوا شكرًا لبارئ النَّسم، الذي أوجدها من العدم، وأخلصوا العبادة له وحده، وسلِّموا أموركم له، واعبدوه بكرةً وعشيا، شكرًا على آلائه، وتقلبكم فى نعمائه.(٢)

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- وبَّخ الله – تبارك وتعالى – المشركين تعجُّبهم تكذيبًا بالقرآن الحكيم، وضحكهم استهزاءً بآياته، وعدم بكائهم انزجارًا وخوفًا من الوعيد، ولهوهم وإعراضهم عن كتاب الله تعالى.(٣)

٢- الترغيب في البكاء من خشية الله، ويستحب البكاء أو التباكي عند سماع القرآن، فعن أبي هُريرة ﷺ قال: قَال رسولُ اللهِ ﷺ: " **لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ** "(٤)، وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" **عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** (٥)".(٦)

٣- كراهية كثرة الغناء واللهو واللعب في شتى الأوقات؛ لأنَّ الغناء ينبت النفاق في القلب، ويُلهي ويُشغل القلب عن ذكر الله وعن الصلاة قال تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ**

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦١).

(٢) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٧٠) بتدخل، وجماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم (د١/٥٢٨) بتصرف.

(٣) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٤٠).

(٤) [البيهقي، شعب الإيمان، باب الخوف من الله تعالى، ٢/٢٣٤: رقم الحديث ٧٧٩]. حكم الألباني: صحيح.

(٥) [الترمذي، سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد / باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (ج٤/١٧٥) حديث رقم:١٦٣٩]. حكم الألباني: صحيح.

(٦) ينظر: حجازي، التفسير الواضح (ج٣/٥٦٥) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان:٦]، ويستثنى من ذلك في الأعياد وأيام السرور الشرعي، فإنه يجوز فيها الغناء العفيف، واللعب الذي لا معصية فيه، فعن السيدة عائشة – رضي الله عنها– قالت: "**دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ**[١]، **فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ**، **فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:** " **دَعْهُمَا** "، **فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا** "[٢].

٤– مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**﴾ لمن يتلوها ولمن يستمع لها، وهي من عزائم السجدات في القرآن الكريم، ومن خصائص هذه السجدة أن المشركين سجدوا مع النبي ﷺ بسجوده حول الكعبة فعن ابن عبَّاسٍ ، قَال: " **سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ**"[٣]، فالكفار سجدوا متأثرين بما أسمعهم الشيطان من مدح آلهتهم بقوله: تلك الغرانيق[٤] العلا.. وإن شفاعتهن لترتجى.[٥]

٥– ينبغي على المسلم عند تلاوته لهذه الآية العظيمة ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾ أن يُكثر من التدبر والتفكير، وأن يعتبر ويتعظ ويبادر إلى الزيادة في طاعة الله ﷻ والتقرب إليه أكثر وأكثر في شتى العبادات، وفي شتى الأوقات؛ حتى ينال من الله ﷻ أسمى الدرجات التي وعده الله بها في الآخرة.

---

(١) تغنيان بغناء بُعاث، أي: تنشدان وترفعان أصواتهما بما قاله العرب في يوم بعاث، وهو حِصن وقع عنده مقتلةٌ عظيمةٌ بين الأوس والخزرج في الجاهلية. (ينظر: ابن رجب، فتح الباري، تعليق مصطفى البغا (ج٨/٤٢١)).

(٢) [البخاري، صحيح البخاري، أبواب العيدين / باب الحراب والدرق في العيد، ١٦/٢: رقم الحديث ٩٤٩].

(٣) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن / باب ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾، ١٤٢/٦: رقم الحديث ٤٨٦٢].

(٤) الْغَرَانيقُ: هي الأصنام، وهي في الأصل الذُّكُورُ من طير الماء، واحدها غِرْنَوْق وغِرْنَيْق، سمِّي به لبياضه وقيل: هو الكُرْكيّ، وكانوا يزعُمون أنَّ الأصنام تُقَرِّبُهُم من اللَّه ﷻ وتشفع لهم إليه، فشُبِّهت بالطُّيُور التي تعلو وترتفع في السَّماء. (انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١٠/٢٨٧)).

(٥) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢/١٤٠)، والجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/٢٠٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة القمر

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة القمر

المبحثُ الأول: تعريفٌ عامٌ بسورةِ القمر.

❖ أولًا: أسماءُ سورةِ القَمر وترتيبُها وعددُ آياتِها.

سورةُ القَمرِ سورةٌ مكية، كسائر السُّور المكية التي تتميزُ بطابعِ القرآنِ المكي، فلقد دار الحديث بين آياتها عن أصول الدين العامة وهي الوحدانية، وبيان الدلائل على صحة نبوة النبي محمد ﷺ، والحديث عن يوم القيامة، واشتملت أيضًا على ذِكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته والتذكير بنهاية بعض الأقوامِ الغابرة، وما كان من تنكيل الله بهم بسبب تكذيبهم لرسل الله، والتكبر على دعوتهم، وبسبب عنادهم وإصرارهم على الكفر.

١- تسميتها:

سميت سورة القمر؛ لافتتاح السورة عن انشقاق القمر، التي هي معجزةٌ من معجزات النبي محمد ﷺ؛ تأييد له ﷺ فيما يدعو إليه.
وسميت أيضًا بسورة (اقتربت الساعة) ففي صحيح مسلم **أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ، سأل أبا واقد الليثي ﷺ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: " كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـقاف وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**"[1]، وبهذا الاسم عَنْوَنَ لها البخاري في كتاب التفسير، وتسمى أيضًا بسورة (اقتربت) حكايةً لأول كلمة فيها، وكما ورد في كثيرٍ من كتب التفسير.[2]

٢- ترتيبها:

سورة القمر هي السُّورة الرابعة والخمسون في ترتيب المصحف الشريف. أمَّا ترتيبها في النُّزولِ فكان بعد سورة الطارق، وقبل سورة ص.
ويبلغ عدد السور التي نزلت قبلها، سبعًا وثلاثين سورة.[3]

---

(١) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب العيدين / باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، ٦٠٧/٢: رقم الحديث ٨٩١].
(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦٥) بتدخل.
(٣) انظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- عدد آياتها:

وعدد آياتها: خمسٌ وخمسونَ آيةً، وكَلِمُها ثلاثُ مئة واثنتان وأربعون كلمة، وحروفها ألفٌ وأربعُ مئة وثلاثة وعشرون حرفًا.(١)

❖ ثانيًا: مكان نزول السورة وزمانها:

سورة القمر سورةٌ مكية جميعها – في قول الجمهور.

وكان نزولها في السنوات الأولى من بعثته ﷺ في حدود سنة خمس قبل الهجرة. ففي الصحيح **أن عائشة- رضى الله عنها- قالت: أُنـزل على رسول الله ﷺ بمكة وإني لجاريةٌ ألعب، قوله ﷻ: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ﴾**(٢).(٣)

وأخرج السيوطي عن النَّحاس عن ابن عبَّاس ؓ قَالَ: " نزلت سُورَة الْقَمَر بِمَكَّة ".(٤)

وقيل: أنَّ سورة القمر نزلت بعد سورة الطارق، ونزلت سورة الطارق بعد سورة البلد، وسورة البلد نزلت بعد سورة ق، وكان نزول سورة ق فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء، فيكون نزول سورة القمر في ذلك التاريخ.(٥)

❖ ثالثًا: فضائل السورة وجو نزولها:

١- فضائلُ السُّورة:

روى الإمام مُسلم في صحيحه **أنَّ عُمر بن الخطَّاب ؓ، سأل أبا واقِدٍ اللَّيثي ؓ: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: " كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـقَاف وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ".**(٦)

٢- جوُّ نُزُول السُّورة:

هذه السُّورة من مطلعها إلى خِتامِها حملةٌ مرعبةٌ مُفزِعةٌ عنيفةٌ على قلوب المكذبين بالنُذُر، بقدر ما هي طمأنينةٌ عميقةٌ وثيقةٌ للقلوبِ المؤمنةِ المُصدِّقة، ففيها مشهدٌ من مشاهدِ التَّعذيب للمكذبين

---

(١) انظر: أبو عمرو الداني، البيان في عدِّ آي القرآن (ج١/٢٣٦).

(٢) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن / باب قوله: ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ**﴾، ٦/١٤٣: رقم الحديث ٤٨٧٦].

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦٦).

(٤) انظر: السيوطي، الدر المنثور (ج٧/٦٦٩).

(٥) راجع: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص سور القرآن (ج٩/٧١).

(٦) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب العيدين / باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، ٢/٦٠٧: رقم الحديث ٨٩١].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأخذُ السياق في ختامها بالحسِّ البشري فيضغطه ويَهُزُّه ويقول له: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾؟ ثم يرسله بعد الضَّغط والهزِّ فيقول له: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾؟ وفيها مشهدٌ من مشاهد القيامة في مطلع السورة. ومشهدٌ من هذه المشاهد في الختام. وبينهما عرضٌ سريعٌ لمصارعِ قومِ نوحٍ، وعادٍ وثمود، وقومِ لوطٍ، وفرعونَ وملئه، وهذه الموضوعات تُعرض في هذه السورة عرضًا خاصًا، فهي تُعرض عنيفة عاصفة، وحاسمة قاصمة يفيض منها الهول، ويتناثرُ حولها الرُّعب، ويظلِّلُها الدَّمار والفزع والانبهار! وأَخَصُّ ما يميزُها في سياق السورة أن كلًا منها يُمثلُ حلقة عذابٍ رهيبةٍ سريعةٍ، يشْهدُها المكذِّبون، وكأنَّما يُشهدون أنفسهم فيها، ويَحُسُّون إيقاعاتِ سياطها. فإذا انتهت الحلقة بدؤوا يَستردون أنفاسهم اللاهثة المكروبة، ثم تعاجلهم حلقة جديدة أشد هولًا ورعبًا.. وهكذا حتى تنتهي الحلقات السبعة في هذا الجوِّ المفزعِ الخانق، فيطل المشهدُ الأخيرُ في السُّورة، فإذا هو جوٌ آخرٌ، ذو ظلالٍ أخرى، وإذا هُوَ الأَمْنُ والطُّمأنينة والسَّكينة.. إنَّه مشهدُ المتَّقين: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾.

في وسط ذلك الهولُ الرَّاجفُ، والفزعُ المُزَلزِلُ، والعذابُ المهينُ للمكذِّبين: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾.

فأين وأين؟ مشهدٌ من مشهد؟ ومقامٌ من مقام؟ وقومٌ من قوم؟ ومصيرٌ من مصير؟(١)

❖ رابعًا: أغراض السورة ومحورها الرئيسي:

المحور الذي تدور حوله هذه السُّورة الكريمة هو تقرير أصول الدين العامة، وهي: الوحدانية، وبيان الدلائل على صحة نبوة النبي محمد ﷺ، والحديث الموجز عن يوم القيامة، والكلام عن الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتذكير بالنِّهاية القاسية والمُفزعة لبعض الأقوام الغابرة، التي كذَّبت برسل الله، وتكبَّرت على دعوتهم، فهذه عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر، ومشهدٌ مفجعٌ مفزعٌ يُعرض ردًا على التعالي والتكبر من الجبابرة المعاندين.

وهنا أوجز بعضًا من أغراض السورة العامة التي تناولتها السورة الكريمة وهي كالتالي:

١- بيان معجزةٍ حسيةٍ من معجزات النبي ﷺ الكبرى الباهرة الدالة على صدق نبوته ﷺ.

٢- إنذار الكفار باقتراب موعد وقوع يوم القيامة، وتحذيرهم بما يلقونه حين البعث من الشدائد. (٢)

---

(١) انظر: قطب، في ظلال القرآن (٣٤٢٤/٦، ٣٤٢٥) بإيجاز.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦٦) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- تسجيل مكابرة المشركين في إنكارهم للآيات البينة، والبراهين الجلية، الدالة على نبوة النبي ﷺ، وأَمْرُه بالإعراض عن مكابرتهم، وعدم مجادلتهم؛ لأنَّ ذلك لن يجدي شيئًا؛ لأنَّهم بَلَغُوا في العُتُو والعِناد حدًّا لا يقتنِعُون معه بحجةٍ ولا ببرهان.(١)

٤- تذكير المشركين بما لَقِيتهُ الأُممُ أمثالُهم من عذاب الدُّنيا؛ لتكذيبهم رسل الله وأنهم سيلقون مثلما لقي أولئك الغابرون، وذلك لأخذ العبرة من نهايتهم وهلاكهم، إذ ليسوا خيرًا منهم في شيء.(٢)

٥- بيانُ جزاء الكفَّار على أعمالِهم، وجزاء المتقين وما ظفروا في الجنان، والحديث عن إثبات البعث، وَوَصْف بعض أحواله.(٣)

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦٦) بتدخل، أسعد حومد، أيسر التفاسير (ج١/٤٧٣١) بتدخل.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٦٦) بتدخل.

(٣) انظر: المرجع السابق، بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المَبحثُ الثَّانِي: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القمَر من الآية (١-٨).

❖ **المطلب الأول: موقف المشركين من انشقاق القمر.**

قال الله تعالى:﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)** ﴾ [القمر: ١-٥].

أولًا: مناسبة السورة لما قبلها:

قال الإمام المراغي- رحمه الله-: " ومناسبة السُّورة لما قبلها من وجوه:

(١) مشاكلة آخر السُّورة السَّابقة (النَّجم) لأول هذه السُّورة (القَمَر) فقد قال في النجم: ﴿ **أَزِفَتِ الْآزِفَةُ** ﴾، وقال هنا: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** ﴾.

(٢) حُسن التَّناسق بين سورة النَّجم وسورة القمر.

(٣) إنَّ هذه السُّورة قد فَصَّلت ما جاء فى سابِقتها، ففيها إيضاحُ أحوال الأمم التي كذَّبت رُسلها، وتفصيل هلاكِهم الذي أشَار إليه فى السُّورة السَّابقة بقوله: ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى، وَثَمُودَ فَما أَبْقى، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغى** ﴾ [النجم:٥٠-٥٢]".[١]

ثانيًا: سبب النزول:

سبب نزول الآيتين: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)**﴾.

أخرج الحاكم **عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: " رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقًّا بِشِقَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ بِمَكَّةَ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ، شِقَّةٌ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ**[٢]**، وَشِقَّةٌ عَلَى السُّوَيْدَاءِ**[٣] " **فَقَالُوا: سُحِرَ الْقَمَرُ،**

---

(١) المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٦١).

(٢) أبو قبيس: جبل بمكة، يقال إنَّه أوَّلُ جبلٍ خُلق على وجه الأرض، وهو إحدى الأخشبين (الجبلين العظيمين) المُطلين على مكة، فهو مشرفٌ على الصَّفا، والآخر يقال له: الأحمر. انظر: أبو بكر الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (ج١/١٣٩).

(٣) السويداء: تصغير سوداء: موضع على ليلتين أو ميلين من المدينة على طريق الشام. انظر: شهاب الدين الرومي الحموي، معجم البلدان (ج٣/٢٨٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَنَزَلَتْ ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ يَقُولُ: " كَمَا رَأَيْتُمْ مُنْشَقًّا، فَإِنَّ الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ عَنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ حَقٌّ ".(١)

وأخرج الترمذي **عن أنسٍ ﷺ قال: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً، فَانْشَقَّ القَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، فَنَزَلَتْ ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾.**(٢)

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنًى إِذِ انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اشْهَدُوا".(٣)

ثالثًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** ﴾ أي: قَرُب وقت حُلول السَّاعة، ودنا زمانُ قِيامِها.

والسَّاعة في الأصل: اسمٌ لمدارٍ قليلٍ من الزمانِ غير معينٍ، وتحديدُها بزمنٍ معينٍ اصطلاحٌ عُرفي، وتُطلق في عُرف الشَّرع على يوم القيامة.
وأُطلق على يوم القيامةِ يوم السَّاعة؛ لوقوعه بغتةً؛ أو لسرعةِ ما فيه من الحِساب؛ أو لأنَّه على طوله قدرٌ يسيرٌ عند الله ﷻ.(٤)

٢- ﴿ **وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ أي: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أنَّ كفار مكة سألوه آية، فأراهم النبي ﷺ انشقاق القمر، آيةً وحجةً على صدق قوله وحقيقة نبوَّته؛ فلمَّا أراهم أعرضوا وكذَّبوا، وقالوا: هذا سحرٌ مستمرٌّ.(٥)

٣- ﴿ **وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا** ﴾ أي: وإنْ يرى كفار قريشٍ آيةً تدل على صِدق الرَّسول ﷺ يعرضوا عنها ولا يصدِّقوا بها. والمراد بالآية معجزة انشقاق القمر.(٦)

---

(١) [الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير / تفسير سورة القمر، ٥١٢/٢: رقم الحديث ٣٧٥٧]. وهو على شرط البخاري ومسلم.

(٢) [الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن / باب ومن سورة القمر، ٣٩٧/٥: رقم الحديث ٣٢٨٦]. قال الألباني: حديث صحيح.

(٣) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب انشقاق القمر، ٢١٥٨/٤: رقم الحديث ٢٨٠٠].

(٤) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٩٥).

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٦٥).

(٦) انظر: محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/ ٢٨٧) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ **وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ** ﴾ وكلُّ أمرٍ من خيرٍ أو شرٍّ مستقرٌّ قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقرٌّ بأهله في الجنة، والشرُّ مستقرٌّ بأهله في النار.(١)

٥- ﴿ **مُزْدَجَرٌ** ﴾ مُتَّعظٌ ومُنتهي. وهو من الزَّجْرُ: أي: المَنْعُ والنَّهيُ والانْتِهارُ والرَّدْع، زَجَرَهُ يَزْجُرُه زَجْرًا وازْدَجَرَهُ فانْزَجَرَ وازْدَجَرَ.(٢)

ومزدجر: مصدرٌ ميميٌّ من الزَّجر.. كما ذكرت، إلَّا أنَّ التَّاء أُبدلت دالًا؛ ليوافق الزَّاي بالجهر، ويمكن اعتباره اسمُ مكانٍ، أي مكانُ اتِّعاظ.(٣)

٦- ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ** ﴾ يعني: القرآن حكمةٌ تامةٌ كاملة، قد بلغت الغاية في الزَّجر، والحكمة هي الإصَابةُ فِي القَوْل والفعل.(٤)

فالقرآنُ الكريم ذو حكمةٍ تامةٍ، لصحة كلمه وطهارته، فهو من لدن حكيمٍ عليم، قال الله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾ [النمل:٦].

٧- ﴿ **فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** ﴾ النُّذُر: جمعُ نَذِير، أو مصدرٌ من الإنذار، وهم الرُّسل الذين وصلت دعوتهم إلى جميع الناس.(٥)

رابعًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **مُزْدَجَرٌ** ﴾ يجوزُ أَنْ يكون فاعِلًا بـ(فيه)؛ لأنَّ (فيه) وقع صلةً، ويجوز أَنْ يكون مبتدأً، و (فيه) الخبر.(٦)

٢- ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ** ﴾ فيه وجهان، أحدُهما: أنَّه بدلٌ من (ما فيه مُزْدَجر). الثاني: أَنْ يكون خبر مبتدأٍ مضمرٍ، أي: هو حِكمةٌ.(٧)

٣- ﴿ **فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** ﴾ يجوزُ في (ما) أَنْ تكون استفهاميةً، وتكون في محلِّ نصبٍ مفعولًا مقدمًا، أي: أيُّ شيءٍ تُغْني النذرُ؟ ، ويجوز أن تكون نافيةً، أي: لم تُغْنِ النُّذُرُ شيئًا.(٨)

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٧١).
(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٤/٣١٨)، (ج١٣/٥٤٧).
(٣) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٧١).
(٤) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٣٠٨)، والبغوي، معالم التنزيل (ج٧/٤٢٧).
(٥) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٤٠٠) بتدخل.
(٦) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٢٢).
(٧) انظر: المرجع السابق.
(٨) انظر: المرجع السابق (ج١٠/١٢٢-١٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١- المُبالغة في قوله: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** ﴾ لأنَّ فيه زيادة المبالغة في قرب ودنو يوم السَّاعة.(١)

٢- الإتيان بصيغة الماضي في قوله: ﴿ **وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ للدَّلالة على تحقق الانشقاق في زمن النبي ﷺ.(٢)

٣-العدول عن المضارع إلى الماضي في قوله: ﴿ **وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ بعد قوله: ﴿ **يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا** ﴾ بلفظ المستقبل، مع أنَّ السياق يقتضي الإتيان بهما بلفظ المضارع؛ لكونهما معطُوفَيْن على ﴿ **يُعْرِضُوا** ﴾؛ للإشعار بأنهما من عاداتهم القديمة.(٣)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

يخبر المولى ﷻ في صدر السورة الكريمة عن قُرب قيام السَّاعة، ونهاية الدنيا وفنائها، وأخبر أنَّ القمر قد انفلق فلقتين في مكة، فكان ذلك معجزةً حسيَّةً للنبي ﷺ، وأن هذه المعجزة من علامات الساعة.

وكانت قريشٌ قد طلبت من النبي ﷺ آياتٍ وبراهين حسيَّةٍ معقولةٍ، تُؤكد وتُثبِت نبوته، فجاء الرد السريع، والتأييد المنيع من الله ﷻ لنبيه ﷺ بانشقاق القمر فلقتين أمام أعين المشركين..

ولكن هيهات هيهات من إيمان قريشٍ بهذه المعجزة الجلية.

كدأب الكفار وديدنهم في تكذيب الآيات المؤيدة لأنبيائهم، فقد قال المشركون بكل سفاهةٍ ووضاعة: هذا سحرٌ مبينٌ دائم، لم يفتأ محمدٌ عن خداعنا وتمويهنا.

وعلاوة على ذلك فقد كذَّبوا برسالة النبي ﷺ، وكذبوا بكل ما جاء به من توحيد وشريعة، واتبعوا في ذلك أهواء أنفسهم، لا عقولهم الراجحة.. كما يدَّعون. فكل أمرٍ خيرًا كان أو شرًا واقعٌ بأهله يوم القيامة بلا شك.

ولقد جاءهم النبي ﷺ بأخبار الأمم السَّابقة التي أُهلكت، ودُمِّرت على عروشها؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم برسلهم، واستكبارهم عن دعوة الحق، ولأنَّ القرآن ذو حكمةٍ بالغةٍ تامَّة، فكل تلك الأخبار فيها ما هو رادعٌ وزاجرٌ لكفار قريش عن التكذيب والكفر والفجور، ما يمنعهم من الهلاك وسوء العاقبة كأقرانهم الذين سبقوهم من الأقوام البائدة.

---

(١) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٤١).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- اقتراب موعد يوم القيامة، فكلُّ آتٍ قريب، وإنَّ مرور عشرات القرون بعد نزول هذه الآية العظيمة وأمثالها لا يُعد شيئًا في حساب عمر هذه الدنيا الزائلة، والذي قُدِّر بخمسة مليارات سنة. فزمن السَّاعة قريبٌ، ولا يغرنا طول السنين، وتتابع الدهر، فلا يعلم موعد الساعة إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾[الأحزاب:٦٣].(١) **وعن أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ " قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى".**(٢)

٢- إنَّ معجزة انشقاق القمر بمكة على عهد النَّبي ﷺ يعدُّ معجزةٌ حسيةٌ عظيمةٌ، جاءت مؤيدة ومآزِرة له ﷺ، وقاطعةً بدون ريبٍ ثبوت نبوته ووضوحها للعيان.

قال الإمام القرطبي – رحمه الله –: " وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أنَّ القمر انشق بمكة، وهو ظاهرُ التَّنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنها كانت آيةً ليليةً، وأنَّها كانت باستدعاء النَّبي ﷺ من الله ﷻ عند التحدي".(٣)

٣- أنَّ كل أمرٍ مستقر، يستقرُّ بكل عاملٍ عَمِلَه، فالخير مستقرٌّ بأهله في الجنة، والشَّرُّ مستقرٌّ بأهله في النار، وكلُّ أمرٍ صائرٍ إلى غايةٍ ومُنتهى، فأمْرُ النَّبي محمد ﷺ سيصير إلى حدٍّ يُعرف منه حقيقته، وكذلك أمر المشركين مستقرٌّ على حالة البطلان والخذلان واليأس.(٤)

٤- الأنباء التي في القرآن الكريم، أو القرآن نفسه حكمةٌ بالغةُ النِّهاية في الكَمال والبَيان، وهو ذو حكمةٍ تامَّةٍ كاملة؛ وذلك لصحَّة كلمه وطهارته، الذي هو من عند الحكيم الخبير.(٥)

٥- حملت الآيات في طياتها تسليةً وتبشيرًا للنبي ﷺ، ولأصحابه بحسن العاقبة. وحملت تيئيسًا وإقناطًا وتثبيطًا للمشركين من زوال أمر النبي ﷺ ودعوته، كما كانوا يتمنون ويتوهمون.. قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ،**

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٥٠) بتدخل.

(٢) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة / وباب قُرب السَّاعة، ٢٢٦٩/٤: رقم الحديث ٢٩٥١].

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج١٧/١٢٦).

(٤) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج ١٥٢/٢٧) بتدخل.

(٥) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج ١٥٢/٢٧) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].[١]

❖ **المطلب الثَّاني: أهوالُ يوم القيامةِ وشدائِدها.**

قال الله تعالى:﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)** ﴾ [القمر: ٦-٨].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا كان ﷺ شديدُ التَّعلق بطلب نجاة الكفار، فهو لذلك ربَّما اشتهى إجابتهم إلى مقترحاتهم، سبَّب عن ذلك قوله: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ** ﴾ أي كلِّف نفسك الإعراض عن ذلك، فما عليك إلَّا البلاغ، وأمَّا الهداية فإلى الله وحده، ولمَّا بيَّن اقتراب السَّاعة بالإجابة إلى بعض مقترحاتهم القائمة مقامها كلها بدلالته على القدرة عليها، وأَتْبَع ذلك القَطْمُ عن طلب الإجابة إلى شيء فيها؛ لأنها لا تغني شيئًا، تطلَّعت النفوس الكاملة إلى وصف السَّاعة، فأجاب عن ذلك على سبيل الاستئناف بذِكْرِ ظرفها وذِكْرِ ما يقع فيه من الأهوال، فقال معلقًا بما تقديره: الساعةُ كائنةٌ على وجه الاقتراب الشديد.[٢]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **يَدْعُ الدَّاعِ** ﴾ يعني: قيام إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصُّور النَّفخة الثَّانية.[٣] والدَّاعي: هو المُنادي من قبل الله ﷻ، فينادي على الأجساد البالية، والعِظام النَّخِرة، أن حان القيام لربِّ العالمين، وهذا يوم القيامة.

٢- ﴿ **إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ** ﴾ أي: أمرٍ منكرٍ فظيعٍ تُنكره النُّفوس؛ لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة.[٤] أو إلى أمرٍ كانت الكفار تُنكره وتجحدُه، وتقول أنَّه مستحيلٌ عقلًا وغير واقع.

٣- ﴿ **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ** ﴾ أي: ذليلةٌ أبصار الكفار خاشعة منكسرة من الخزي والندم.

قال الإمام الطبري – رحمه الله -: " وإنَّما وَصف -جلَّ ثناؤه- بالخُشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأنَّ أثر ذلةِ كل ذليل، وعزَّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون

---

(١) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/٩٨) بتدخُّل.

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/٩٩).

(٣) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٣٠٩).

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سائر جسده، فلذلك خصَّ الأبصارَ بوصفها بالخُشوع ".[1]

٤- ﴿ الْأَجْدَاثِ ﴾ جمع جُدْثٍ، وهي القبور.[2]

٥- ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ هَطَعَ يَهْطَعُ هُطُوعًا وأَهْطَعَ: أقبل على الشَّيء بِبصرِه فلم يرفعهُ عنه.[3]
فالكفار مُسرعين في خطاهم، دائمي النَّظر مع فتح العيْنَيْنِ لهول الموقف، مُقبلين إلى نداء الدَّاعي، ومجيبين له.

٦- ﴿ عَسِرٌ ﴾ من العُسْر والعُسُر: ضِدُّ اليُسْر، وهُو الضَّيِّقُ، والشدَّة، وَالصُّعُوبَةُ. فمعنى عَسِر أي: شديدُ هول المَطلِع.[4]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ يومَ: منصوبٌ بـ(يخرجون)، أو بإضمار اذكر.[5]
وحذفت الواو من (يدع) في الرسم اتباعًا للنطق، وحذفت الياء من (الدَّاعِ) تخفيفًا، حيث أُجريت أل مجرى ما عاقبها، وهو التنوين، فكما تحذف معه حذفت معها.[6]

٢- ﴿ خُشَّعًا ﴾ حالٌ من فاعلِ (يُخْرِجُونَ) وسبب التَّقديم؛ لأنَّ العامل متصرفٌ أي: يخرجون من الأجداثِ أذلةً أبصارُهم، أو انتصب على الحال من الضمير المقدَّر في (يدع الدَّاعِ).[7]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١-جناس الاشتقاق في قوله: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾.[8]

٢- التَّشبيه المرسل المفصَّل في قوله: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ فقد شبَّه الكفار عندما يخرجون من قبورهم بالجراد في الكثرة، والتموُّج.[9]

---

(١) الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٧٣).
(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٧٣)، ابن منظور، لسان العرب (ج٢/١٢٨).
(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٨/٣٧٢).
(٤) انظر: المرجع السابق (ج٤/٥٦٣)، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧١٨٨).
(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٢).
(٦) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٣٥).
(٧) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٦٨)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٧٨).
(٨) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٤٥).
(٩) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٤١) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- أُبهم ﴿ شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ للتَّهويل، وذلك هو أهوال الحساب وإهانة الدَّفع، ومشاهدة ما أُعد لهم من العذاب.(١)

٤-خشوع الأبصار في قوله: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ ﴾ كناية عن الذلة والانخزال؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما.(٢)

٥- قوله: ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار؛ لوصفهم بهذا الوصف الذميم، فيه تلويحٌ بأنَّ المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدَّة والعُسر، بل ذلك اليومُ يومٌ يسيرٌ لهم، حيث أُسند القول إلى الكفار فقط.(٣)

خامسًا: القراءات القرآنية:

١- قوله: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾.

قَرَأَ ابْن كثير: ﴿ إِلَى شَيْءٍ نُكْر ﴾ بِإِسْكَان الْكَاف، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَم الْكَاف، وهما لُغَتَانِ مثل الرُّعْب والرُّعُب، وَإِنَّمَا خَالف أَبُو عَمْرو أَصله فقرأها هَا هُنَا بالتثقيل؛ لِأَن رُؤُوس الْآي مثقلة نَحْو عُذر كَذَا وَنُذر وَلِهَذَا اخْتَار التثقيل.(٤)

٢- قوله: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾.

قَرَأَ أَبُو عَمْرو وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ (خَاشِعًا أَبْصَارهم) بِالْأَلف على التَّوْحِيد وَاحْتَجُّوا بِحرف ابْن مَسْعُود ﷺ: (خاشعة أَبْصَارهم) على التَّوْحِيد. وَالْعرب تجتزئ فِي مثل هَذَا وتختار التَّوْحِيد؛ لِأَنَّهُ قد جرى مجْرى الْفِعْل إِذْ كَانَ مَا بعده قد ارْتَفع بِهِ، نَحْو: مَرَرْت بِقوم حُسْنٌ وُجُوههم، وَالتَّقْدِير: حَسُنَ وُجُوههم.

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (خُشَّعًا) بِضَم الْخَاء وَتَشْدِيد الشين جمع خاشع وخشع وَرَاكِع وركع وتنصب (خشعًا) و(خَاشِعًا) على الْحَال.(٥)

٣- قرأ قالونٌ عن نافعٍ، وأبو عَمْرٍو ﴿ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِي ﴾ بالياء في الوَصل، وحذفها البَاقون.(٦)

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٧٨).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٢).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٧٨)، الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٤١).

(٤) يراجع: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٨).

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) ينظر: المرجع نفسه (ج١/٦٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- وقرأ أهل الحجاز والبصرة ﴿ **مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي** ﴾ باليَاء في الوصل، وأثبتها ابن كثيرٍ في الوَقف، وإثبات الياء فيهما أجود على الأصل، ويجوز حذفهما؛ لأنَّ الكسرة تدل عليهما.

وحُجَّة من أثبت الياء: هي أن الياء سقطت في نحو دَاعٍ لسكونها وسُكون التَّنْوين، فإذا جاء الألف واللَّام بطل التَّنوين فرجعت الياء.

وقرأ الباقُون بحَذف الياء في الوصل والوقف اتباعًا للمصحف.(١)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الحق ﷻ في صدر السورة بما فيها من أخبارٍ، وما فيها من رادعٍ وزاجرٍ لكفار قريشٍ عن التكذيب والكُفر والفُجور، ما يمنعهم من الهلاك وسوء العاقبة كأقرانهم الذين سبقوهم من الأقوام البائدة، سلَّى ربنا ﷻ رسوله الكريم ﷺ في هذه الآيات المباركات فقال: **(فتولَّ عنهم)** أي: أعرِض عنهم، ولا تُتعب نفسك بدعوتهم، حيث لم يؤثِّر فيهم الرَّدعُ ولا الزَّجر، وانتظِر يوم ينادِ المنادِ إسرافيل عليه السلام عند نفخه في الصور للبعث والحشر، يقول تعالى: ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ، يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** ﴾ [ق:٤١-٤٤]، فهذا يومٌ فظيعٌ كانت تنكره النفوس المختوم على قلوبها بالكفر وعدم الاستسلام لله ربِّ العالمين. فيخرجون من قبورهم من الحياة البرزخية، إلى حياةٍ أبدية، فيكونون في كثرتهم وتموجهم كأنهم جرادٌ منتشر، وتكون قلوبهم واجفة، وأبصارهم شاخصةٌ ذليلةٌ منكسرةٌ من الخزي والندامة.

فيُقبِلُون مسرعين إلى المنادِ، مادِّين أعناقهم نحوه من شدة الخوف والفزع، ومن هول الموقف، وليعلموا أنَّ المعاد واقعٌ لا شكَّ ولا ريب في حقيقته.

ثم هم يقولون بعد ذلك على سبيل الحسرة والنَّدامة، هذا يومٌ صعبٌ شديد، في غاية الشِّدة والصُّعوبة والقسوة، فيتمنى الكافر حينها أَنْ لو كان ترابًا، ولَمَا شَهِد هذه المشاهد المرعبة الرهيبة.(٢)

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- طمأن الله ﷻ نبيَّه ﷺ بأنَّه ما قصَّر في أداء الرِّسالة المُوكلة على عاتقه تبليغها للنَّاس قاطبةً، ومن ذلك التَّطمين قوله: ﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ** ﴾ [الذاريات:٥٤]، وألَّا يأبه

---

(١) ينظر: ابن زنجلة، حجة القراءات(ص٦٨٩-٦٩٠).

(٢) ينظر: مرجع قريب من المعنى، الشيخ علوان النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (ج٢/٣٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبي ﷺ بكفرهم وعدم استجابتهم له.. قال تعالى مسلّيًا ومطمئنًا نبيه ﷺ ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ** ﴾ [لقمان: ٢٣]، وقال أيضًا: ﴿ **وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

٢- سينفخ الملك إسرافيل عليه السلام في الصُّور نفختان في آخر الزمان، نفخةٌ يحدث فيها ما يحدث وهي التي تسمى نفخة الصَّعق، فيصعق من في السماء والأرض، ثم تكون نفخةٌ أخرى يكون فيها بعثُ كلّ من مات من الأحياء، ويتمُّ النَّشرُ للمخلوقات جميعًا، وبالنَّفخة الأولى تقوم القيامة، وبالنَّفخة الثَّانية يبدأ اليوم الآخر،(١) قال تعالى مبينًا ذلك في محكم التَّنزيل: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾ [الزُّمر:٦٨].

٣-في يوم القيامة يخرج الكفار من قبورهم ذليلةً أبصارهم، كأنهم في كثرتهم وتموُّجهم جرادٌ منتشرٌ مبثوثٌ في كل مكان. قال تعالى:﴿ **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ** ﴾ [القارعة: ٤]. قال القرطبي – رحمه الله –: " فهما صفتان في وقتين مختلفين: **أحدهما**: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذٍ كالفراش المبثوث بعضه في بعض، لا جهة يقصدها.

الثاني: إنهم إذا سمعوا المنادي قصدوه، فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأنَّ الجراد له جهةٌ يقصدها، وهم في سيرهم مهطعون، ويقولون: إنَّ يوم القيامة يومٌ صعبٌ عسر، لِمَا ينالُهم فيه من الشِّدة".(٢)

٤- إنَّ يومَ القيامةِ كائنٌ واقعٌ حتمًا لا شكَّ فيه، وفيه من العذاب ما هو قريب الوقوع، فيومها يقول الكفار هذا يومٌ شديدُ الصُّعوبة والعُسر، فيتمنى الكافر لِمَا يرى من أنواع العذاب وأشدها، أَنْ يكون ترابًا أو حيوانًا غير مكلَّفٍ بشيء، فيصفُ الله ﷻ حال الكافر يومَ القيامة فيقول: ﴿ **يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** ﴾ [النبأ: ٤٠].(٣)

(١) انظر: سعيد حوَّى، الأساس في السنة وفقهها– العقائد الإسلامية (ج٣/١٢٠١-١٢٠١٢) بإيجاز.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٧) باختصار.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٣٠/٢٩) بتدخُّل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المَبحثُ الثَّالِث: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (٩-١٧).

❖ **المطلب الأول: قِصَّة نُوحٍ ﷺ مع قَومه.**

قال الله تعالى:﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)**﴾ [القمر: ٩-١٤].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا تقدم أَمْرُه سبحانه لنبيه ﷺ بالتَّولِّي عنهم تهديدًا لهم، وصرَّح بما أراد من أمر السَّاعة لمَّا دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها؛ ولأنها أشدُّ هولٍ يهدَّدون به، وبيانًا أنَّ الخلق ما خُلقوا إلا لأجلها؛ لأنها محطُّ الحكمة، وخَتَم بعُسرها على الكافرين، تمَّم ذلك التَّهديد بعذاب الدُّنيا ردعًا لأهل الغِلظة الموكلين بالمحسوسات، فذكر عُسر يومٍ كان على الكافرين فيها، فقال مهددًا لقريشٍ بجَعْلِ القصة مثلاً لهم في إهلاكهم، وفي أمر الساعة من حيث إنَّه كما أهلك أهل الأرض في آنٍ واحد، بما أرسله من الماء فهو قادرٌ على أن يهلكهم في آنٍ واحدٍ بالصَّيحة، وكما صَرف هذا التَّصريف الذي ما سمع بمثله في الإهلاك، فهو قادرٌ على أن يصرفه في الإحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله، تنبت فيه الأجساد وتحيا فيه العباد، فهل لهم عذابٌ قبله دالٌّ على كمال القدرة، وفي ذِكرِ أخبار السَّابقين بيانٌ أن حال الرسول ﷺ كَحَالِ الرُّسل المتقدمين مع أقوامِهم، ووعيدٌ للمشركين من قريشٍ وغيرهم على تكذيبهم رسولهم ﷺ.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **ازْدُجِرَ** ﴾ أي: زُجِر نوحٌ بالشَّتم والوعيد والرَّجم، وتُوعِّد بالقتل.(٢)

٢- ﴿ **أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ** ﴾ أي: دعا نوحٌ ﷺ ربَّه قائلًا: إنَّ قومي قد غلبوني، تمرُّدًا وعُتوًّا، ولا طاقة لي بهم، وقد طالت مدة دعوتي إليهم من غير استجابة، فانتَصِر منهم بعقابٍ من عندك على كفرهم وطغيانهم.(٣)

٣- ﴿ **مُنْهَمِرٍ** ﴾ أي: منصبٌّ في كثرةٍ وتتابعٍ لم ينقطع مدة.(٤)

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٠١-١٠٢) الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٥٥).

(٢) انظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧١٨٥).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٧٧) بتدخل.

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ أي: السَّفينة ذات ألواحٍ، ودُسُر، أي: المسامير والخرز ، واحدها: دِسَار . ويقال: دُسُر أي: معاريضُ السَّفينة، وهي الخشب التي تُعرض عليها.(١)

٥- ﴿ كُفِرَ ﴾ أي: مكافأة لمن كان كُفِر به، وهو نوحٌ ﵇؛ لأنَّ قومه كفروا به وكذبوه، فبيَّن الله ﷻ أنَّ إنجاء نوح ﵇ بهذه السفينة كان جزاءً له، والله ﷻ يجزي المحسنين أكثر من إحسانهم.(٢)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ مفعول كذَّبت محذوفٌ، أي: كَذَّبَتِ الرُّسلَ؛ لأنهم لَمَّا كذَّبوا نوحاً﵇فقد كَذَّبوا جميع الرسل.(٣)

٢- ﴿ عُيُونًا ﴾ انتصب (عيونًا) على التمييز، أو الحال، أو أنه مفعولٌ ثانٍ للفعل فجَّرنا.(٤)

٣- ﴿عَلَى أَمْرٍ ﴾ نصبت على الحال من (الماء).(٥)

٤- ﴿ جَزَاءً ﴾ مفعولٌ لأجله لـ(فَتَحنَا) وما عُطف عليه، أي: فعلنا ذلك كله جزاءً لنوح.(٦)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- في ذِكرِه ﷺ بعنوان العبوديةِ مع الإضافةِ إلى نونِ العظمةِ (عبدنا) تفخيمٌ له ﷺ، ورفعٌ لمحلِّه وزيادةُ تشنيعٍ لمكذبيه.(٧)

٢- فائدةُ ذِكر الظَّرف (قبلهم) تقريرُ تسليةٍ للنبي ﷺ، أي أنَّ هذا ديدن أهل الضّلال كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: ٤].(٨)

٣- صيغة الافتعال في قوله: (وازْدُجِر) للمبالغة.(٩)

---

(١) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (٣١١/٥)، وأبو عبيدة، مجاز القرآن (ج٢/٢٤٠).
(٢) انظر: ابن عثيمين، تفسير الحجرات – الحديد (ج١/٢٧١-٢٧٢).
(٣) انظر: السمين الحلبي، الدر المصور (ج١٠/١٣٠).
(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٣٢.
(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨٤).
(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٨٥.
(٧) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٦٩).
(٨) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٧٩).
(٩) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص١٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ المغلوب: مجاز، حيث شبَّه يَأْسه من إجابتِهم لدعوته بحال الذي قاتل أو صَارع فغلبه مقاتله.(١)

٥- ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ فيها مركبٌ تمثيليٌ لهيئة تدفق الأمطار من الجو بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار.
أو أنها استعارةٌ تمثيليةٌ، شبَّه تدفق المطر من السَّحاب بانصباب أنهارٍ انفتحت بها أبواب السَّماء.(٢)

٦- إنابة الصِّفة مناب الموصوف في قوله: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ فإنَّه كنايةٌ عن السَّفينة التي تتركب من الأخشاب والمسامير.(٣)

خامسًا: القراءات القرآنية:

- قَرَأَ ابْن عَامر: ﴿ **فَفَتَّحنا أَبْوَاب السَّمَاء** ﴾ بِالتَّشْدِيدِ أَي مرَّةً بعد مرَّة، وشيئًا بعد شَيْء.

وحجَّتُه: قَوْله: ﴿ **مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ**﴾ [ص:٥٠]، جمعُوا على التَّشْدِيد؛ لِأَنَّهُ ذكر الْأَبْوَاب كَمَا ذكر عِنْد قَوْله: ﴿ **ففتحنا أَبْوَاب السَّمَاء** ﴾.

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿ **فَفَتَحنا** ﴾ بِالتَّخْفِيفِ؛ لِأَنَّهُ وَإِن كَثُر فَإِن فَتحه كَانَ بِمرَّةٍ وَاحِدَةٍ لَا بمرات.(٤)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

ساق الله ﷻ في سورة القمر قِصصَ بعض الأقوامِ السَّابقين، وعيدًا لقريشٍ وغيرهم من المشركين ومن أقدم هذه القصص: قصَّةُ نوحٍ ﷺ مع قومه، فإنَّهم كذَّبوه، وزجروه عن تبليغ الدعوة بالسَّب والرَّدِّ القبيح والتَّخويف، ووصفوهُ بأنَّه مجنون.
فاستنجد بربه.. فدعا قائلًا: إنِّي ضعيفٌ عن مقاومة هؤلاء الكفار، فانتصر أنت لدينك، بعد علمك بتمرُّدهم وعِنادهم، فأجابه الله ﷻ: لقد صَببنا عليهم ماءً غزيرًا كثيرًا متدفقًا، وجعلنا الأرض كلها عيونًا متفجرةً، وينابيعَ متدفقةً، فالتقى ماءُ السَّماء، وماءُ الأرض، على حالةٍ قد قُدِّرت في الأزل وقضيت، فدمَّر الله ﷻ القوم بالطوفان، وحمل نوحًا ﷺ ومن معه على سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ ومسامير وسارت السَّفينة بمنظرٍ وحفظٍ وحراسةٍ ومرأى من الحفيظ.

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٨٢.
(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٥٤)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨٢).
(٣) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٤٢)، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٥٤).
(٤) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان ذلك جزاءً للهالكين على كفرهم بالله ﷻ، وانتصارًا لنوحٍ عليه السلام، وهذه هي نهايةُ الظَّلَمة الذين عارضوا الرُّسل، وقاوموا الدعوة إلى الله ووحدانيته، واتَّبعوا الأهواء، وصدُّوا عن سبيل الله، سبيل الحق والعدل وتوحيد الله.[1]

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- لقد احتوت الآيات تسلية للنبي ﷺ من ناحية، وتذكيرًا وإنذارًا للكفار من ناحية أخرى، فإذا كانت قريش قد كذبت النبي ﷺ وزجرته وتحدَّته، ونعتته بالجُنون والكذب والسِّحر، فقد فعل الأقوام السَّابقون مثل ذلك مع أنبيائهم. ولقد نكَّل الله بهم، فمنهم من أغرقه بالطوفان وهم قوم نوحٍ عليه السلام. ومن الهيِّن على الله ﷻ أن ينكِّل بهؤلاء الكفار، كما نكَّل بالسَّابقين إذا أصرُّوا على مواقف التكذيب والعناد والمناوأة والصدّ.[2]

٢- كان نوحٌ عليه السلام في وقته وبداية دعوته العابد الوحيد لله ﷻ، وكان قومه أوَّل المكذِّبين للرُّسل، لذا شرفه الله تعالى بقوله: (عَبْدَنا) فالإضافة إلى الله تشريفٌ منه، واختيار لفظ العبد أدلُّ على صدقه، وقُبح تكذيبهم، من قوله: (رسولنا).[3]

٣- نجَّى الله نوحًا عليه السلام ومَنْ آمن معه، بحملهم على سفينةٍ ذات ألواحٍ شُدَّت بمسامير، وهم في حفظ الله ورعايته وكلاءته، وقد جعل الله ذلك ثوابًا وجزاءً لنوحٍ على صبره على أذى قومه الذين جحدوا برسالته، وعقابًا للكافرين على كفرهم بالله تبارك وتعالى.[4]

٤- استمر نوحٌ عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، طوال ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾، لم يفتر نوحٌ عليه السلام طول هذه الفترة، ولم يكلّ ولم يملّ ليلًا ونهارًا، سرًا وجهرًا؛ امتثالًا لأمر الله وابتغاء لطاعته. ولكنهم بالرغم من هذه المدة الطويلة لم تزدهم دعوته للاقتراب من الحق إلا تباعدًا عن الإيمان.[5]

٥- إنَّ الصَّبر على مشاق تبليغ الرسالة الإلهية، والدعوة إلى التوحيد، هو مفتاح الفرج، وسبيل الظُّفر والنصر، كما صبر نوح عليه السلام ومحمد ﷺ، وأولو العزم من الرسل -عليهم الصلاة والسلام-،

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج٣/٢٥٤٠،٢٥٤١) بتدخل.

(٢) انظر: دروزة، التفسير الحديث (ج٢/٢٨٣) بإيجاز.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٥٨).

(٤) انظر: المرجع السابق (ج٢٧/١٥٨).

(٥) انظر: المرجع السابق (ج٢٩/١٤٤) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد صبر نوحٌ عليه السلام على أذى قومه، ثم نصره الله عليهم، وكذلك صبر النبي ﷺ على أذى العرب الكفَّار، فأيَّده الله ﷻ، وأعزَّه ونصره عليهم نصرًا مؤزرًا.(١)

❖ **المطلبُ الثَّاني: التَّنبيه على الاستِذكَار والاتِّعَاظ والحِفظ.**

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧)** ﴾ [القمر: ١٥-١٧].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا تمَّ الخبر عن نجاة نوحٍ عليه السلام بحمله في السفينة، نبَّه عن آثارها بقوله: (ولقد تركناها) أي: هذه الفعلة العظيمة من جري السفينة على هذا الوجه، وإبقاء نوعها دالةٌ على ما لنا من العظمة، ثم أتبعه بذكر إهلاك المكذِّبين بحيث يحقُّ للسَّامع أن يسأل عن ماهية العذاب، ويتعرف أحواله؛ ليهتدي، أو يتقي هذا العذاب.(٢)

ولمَّا كانت هذه النَّذارة بُلِغت بالقرآن والمشركون معرضون عن استماعه حارمين أنفسهم من فوائده ذُيِّل خبرها بتنويه شأن القرآن بأنه من عند الله، وأنَّ الله يسَّره وسَهَّله لتذكُّر الخلق بما يحتاجونه من التذكير مما هو هدى وإرشاد، وفي هذا تبصرةٌ للمسلمين؛ ليزدادوا إقبالًا على مُدارسته، وتعريضًا بالمشركين، عسى أن يَرْعَوُوا عن صدودهم عنه.(٣)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً** ﴾ أي: ولقد تركنا السَّفينة التي حملنا فيها نوحًا ومن كان معه آية، يعني عِبْرَةً وعظةً لمن بعد قوم نوحٍ من الأمم ليعتبروا ويتَّعظوا، فينتهُوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رُسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة.(٤)

٢- ﴿ **مُدَّكِرٍ** ﴾ أي: مُتَّعظ متذكِّر.(٥)

قال الفراء(٦): " ومُدَّكر في الأصل مُذْتَكِر على مُفْتَعِل فصُيِّرَتِ الذَّالُ وتاءُ الافتعال دالًا..

---

(١) انظر: المرجع نفسه (ج١٢/٨٥).

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٠٦-١٠٧) باختصار.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨٧،١٨٨).

(٤) ينظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٨٢).

(٥) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (ج٥/٣١٢).

(٦) الفرَّاء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي، النحوي، الديلميّ. وهذه النسبة إلى الدّيلم، وهو إقليم في بلاد فارس، ولقب بالفرَّاء؛ لأنه كان يخيط الفراء أو يبيعها، وقيل: لأنه كان يفرى الكلام، أي يحسِّن تقطيعه وتفصيله، مات الفراء: بطريق الحج، سنة سبع ومائتين، وله ثلاث=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُشدَّدة".[1] وقد يقول البعض: مُذَّكِر فيقلبون الدَّال فتصيرُ ذالًا مشددة.[2]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- الضمير في (تركناها) للسفينة، أو للفعلة والقصة، أي: جعلناها آيةً يُعتبر بها.[3]

٢- قوله: ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي** ﴾ (كان) الظَّاهرُ فيها أنها ناقصةٌ فـ(كيف) خبرٌ مقدمٌ، وقيل: يجوزُ أَنْ تكون تامة، فتكون (كيف) في محلّ نصبٍ، إمَّا على الظَّرف، وإمَّا على الحال.[4]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ **وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً** ﴾ التَّركُ: كنايةٌ عن الإبقاء وعدم الإزالة، أي أبقينا سفينة نوحٍ محفوظةً من البِلَى لتكون آيةً تشهدها الأمم الذين أُرسلت إليهم الرُّسلُ متى أراد واحدٌ من النَّاس رؤيتها.[5]

٢- ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾ استفهامُ تعظيمٍ وتعجيبٍ وتهويلٍ لِمَا حَلَّ بقوم نوحٍ من العذاب.[6]

٣- في قوله: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ** ﴾ استعارةٌ مكنية، ولفظ (يسرنا) تخييل، ويؤوَّل المعنى إلى: يسَّرنا القرآن للمتذكِّرين.[7]

٤- في قوله: ﴿ **فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ إنكارٌ ونفيٌ للمتَّعظِ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه، حيثُ يدلُّ على أنَّه لا يقدرُ أحدٌ أنْ يُجيبَ المستفهَم بنَعَمْ، وحَملُ تيسيرِه على تسهيلِ حفظِه بجزالةِ نظمِه وعذوبةِ ألفاظِه وعباراتِه مما لا يساعدُه المقامُ.[8]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يعقِّب المولى ﷻ بعد قصة نوحٍ ﷺ، ونجاته من الطوفان، وهلاك الكفار المكذبين، وبعد رسِي

=وستون سنة -رحمه الله- (انظر: الفراء، معاني القرآن (المقدمة/٧-٨)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (ج١٠/١١٩-١٢١).

(١) الفرَّاء، معاني القرآن (ج٣/١٠٧).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٥).

(٤) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٣٦).

(٥) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٨٦).

(٦) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٤٠)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٧٠).

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩٠).

(٨) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السفينة على جبل الجودي، يقول معقبًا: لقد أبقينا خبر السَّفينة عبرةً للمعتبرين، وتركنا هذه الفعلة والقصَّة التي فعلناها بهم عبرةً وعظة، فهل من متعظٍ يتَّعظ بهذه الآية ويَعتَبِر بها؟! فانظر أيها السَّامع كيف كان عذابي لمن كفر بي، وكذَّب رسلي، ولم يتعظ بإنذاراتي التي جاء بها المرسلون؟ وكيف انتصرت لهم وثأرت لهم، وكيف كانت إنذاري؟ وهو اطلاعٌ لقريشٍ على سبيل التَّوبيخ والتَّخويف.

وفى هذا وعيد للمشركين وغيرهم على تكذيبهم لرسولهم ﷺ، وأنَّهم إن لم يُنيبوا إلى ربهم فسيحِلُّ بهم من العذاب مثل ما حَلَّ بمن قبلهم، وسينجِّي نبيه ﷺ ومَنْ معه مِن المؤمنين، كما نجَّى مَنْ قبله من الرُّسل وأتباعهم من سخطه وعقابه الذي أحله بأممهم.[1].

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- لقد أبقى الله ﷻ خبر سفينة نوحٍ عليه السلام في الأرض، وجعلها علامةً ظاهرةً لمن أراد أن يراها من الأمم، وجعلها الله عبرةً للمعتبرين، وعظةً للمتعظين، فهل من متعظٍ يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها؟!

٢- إنَّ هناك حكمةٌ من تكرار قوله: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾، ففيه تجديد التنبيه على الاستذكار والاتِّعاظ، والتَّعرف على تعذيب الأمم السَّابقة، والاعتبار بحالهم.[2]

٣- إنَّ الله تعالى يسَّر حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه، بما فيه من حُسن النَّظم، وشرف المعنى، فله التصاقٌ بالقلوب مع محبة، وامتزاجٌ بالعقول السليمة مع قناعة.[3]

٤- الحضُّ على حفظ القرآن الكريم وتذكُّر مراميه؛ لتكون زواجره وعلومه وهداياته حاضرةً في النَّفس، وهي تعداد نعم الله ﷻ في أنَّه يسَّر الهدى.[4]

---

(١) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٨٢)، والزحيلي، التفسير الوسيط (ج٣/٢٥٤١) بتدخل.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٥٨).

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج٣/٢٥٤٢).

(٤) انظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المَبحثُ الرَّابع: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (١٨-٤٢).

❖ **المطلب الأول: قِصَّةُ عادٍ قومَ هودٍ عليه السلام.**

قال الله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢)** ﴾ [القمر: ١٨-٢٢].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷻ تكذيب قوم نوحٍ عليه السلام الذي بدأ به؛ لأنَّ تكذيبهم كان أبلغ وأشد، حيث دعاهم قريبًا من ألف سنة، وأصرُّوا على التَّكذيب، أعقبه بقصة عادٍ قوم هود عليه السلام، تأكيدًا للعظة والعبرة وتبيانًا للمشركين المكذِّبين في مكة وأمثالهم، أنَّ عاقبة المكذِّبين الهلاك والدَّمار، دون تفاوتٍ بين الأقوام، وإنَّما قال: عادٌ ولم يقل: (قوم هودٍ) كما قال: (قوم نوح)؛ لأنَّ التَّعريف باسم العلم أولى من التعريف بالإضافة إليه.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **رِيحًا صَرْصَرًا** ﴾ الصَّرْصر: هي الرِّيح الباردة فيها صِرٌّ، وجمعها: صراصر.(٢)

قال الإمام الرَّازي – رحمه الله -: " هي الرِّيح الشَّديدة الصَّوت. من الصَّرير، والصَّرَّة شدةُ الصِّياح. أو هي: دائمةُ الهُبوب. من أصرَّ على الشَّيء إذا دام وثبت ".(٣)

٢- ﴿ **يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ** ﴾ أي: يوم شُؤمٍ دائمِ الشَّر، فقد استمر عليهم حتى أهلكهم.(٤)

٣- ﴿ **تَنْزِعُ النَّاسَ** ﴾ أي: تقتلع النَّاس [من عادٍ] فتقلعهم عن أماكنهم، وكانوا يصطفُّون آخذين أيديهم بأيدي بعض، ويتدخلون في الشِّعاب، ويحفرون الحُفر فيندسُّون فيها فتنزعهم وتكبُّهم وتدقُّ رقابهم.(٥)

وهذا يدلُّ على شِدَّة هذه الرِّيح المدمِّرة، فقد كانت تحمل الغضب من الله على قومٍ ظالمين تجاوز ظُلمهم وجورهم الحد، وبعد أن أمهلهم الله للتوبة والرجوع عن الكفر، والدخول في دين

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٦١).

(٢) يراجع: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (ج٦/٣٦٣٣).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٩/٣٠٢).

(٤) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج٥/٨٩)، والنسفي، تفسير النسفي (ج٣/٤٠٣).

(٥) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٤٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبيهم هودٍ ﷺ واتباع هديه.

٤-﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ يعني: أنَّهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جُثثٌ طِوالٌ عِظام، كأنَّهم أصولُ نخلٍ بلا فروع، ومُنقعرٌ: أي منقلعٌ عن مغارسه.(١)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- قولُه: ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ في إعراب (نحسٍ) وجهان: أنَّه صِفةٌ لـ(يوم)، أو أنَّه صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، أي: يومُ عذابٍ نحسٍ، و(مُسْتمرٌ) صفةٌ لـ(يوم) أو لـ(نَحْسٍ).(٢)

٢- ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ (تَنْزِعُ) في موضع نصبٍ إمَّا: نعتًا لـ(ريحًا)، وإمَّا: حالًا منها؛ لتخصُّصِها بالصفة، ويجوزُ أن تكون مستأنفةً.(٣)

٣- ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ الجملة حالٌ من النَّاس مقدرةً، و(مُنْقَعِرٍ) صفةٌ لـ(نَخْلٍ).(٤)

رابعًا: الأسرار البلاغيَّة:

١- ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ هذا الاستفهام للتشويق، فإنَّه تعالى يستفهم من السَّامع عن كيفية العذاب الواقع بعادٍ من غير أن يصف أو يكشف عن هذا العذاب ، فإنه شوّقه لسماع كيفية العذاب ونهاية هذا القوم.

قال أبو السُّعود – رحمه الله –: " وهو لتوجيهِ قلوبِ السَّامعينَ نحو الإصغاء إلى ما يُلقى إليهم قبلَ ذكرِه، لا لتهويلِه وتعظيمه، وتعجيبِهم من حاله بعد بيانِه كما قبله وما بعدهُ، كأنَّه قيل: كذبت عادٌ فهل سمعتم، أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراتي لهم ".(٥)

٢- ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ مجازٌ مرسلٌ؛ لأنَّ الاستفهام يستلزم طلب الجواب، والجواب يتوقف على صفة العذاب، وهي لمَّا تذكر فيحصل الشَّوق إلى معرفتها كما ذكرت وهو أيضًا مكنى به عن تهويل ذلك العذاب.(٦)

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٦).
(٢) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٣٧) ملخصًا.
(٣) انظر: المرجع السابق.
(٤) انظر: المرجع نفسه، ص ١٣٨، ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩٤).
(٥) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٧٠).
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ تشبيهٌ مرسلٌ مُجمل، حُذف منه وجه الشَّبه. شُبِّهوا بأعجاز النَّخل، لأنَّ الرِّيح كانت تقطع رُؤوس النَّاس من عادٍ فتبقى أجسادًا بلا رؤوس، فكانوا يتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثثٌ طُوال عِظام.(١)

٤- ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾ الاستفهام مستعملٌ في التَّعجيب والتَّهويل، وفيه تكريرٌ؛ لأنَّ مقام التَّهويل والتَّهديد يقتضي تكرير ما يفيدهما.(٢)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الباري ﷻ قصَّة قوم نوحٍ ﷺ وما فيها من العبر لمن تدبَّر وفكر وأراد أن يعتبر، أعقبه بقصة عادٍ قوم هود ﷺ، ليبيِّن للمكذِّبين أنَّ عاقبة كلِّ مكذبٍ الهلاك والبوار، وإن تعدَّدت أسبابه.

قال الشاعر: ومَنْ لَمْ يَمُت بالسَّيفِ مَاتَ بِغَيْرِه... تَعَدَّدتِ الأسْبَابُ والمَوتُ وَاحِد(٣)

فقد أرسل الله على عادٍ ريحًا عاصفةً، لصوتها صَريرٌ شديدٌ حين هبوطها، وكان ذلك فى يومِ شؤمٍ عليهم، واستمرَّ بهم البلاء حتى حلَّ بهم الدمار. قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ [الحاقة:٦-٧]، وكانت الرِّيح لشدَّتها تقتلع النَّاس من الأرض وترفعهم إلى السَّماء، ثمَّ ترمى بهم على رؤوسهم، فتندقُّ رقابهم، وتَبِينُ من أجسامهم، فانظروا أيُّها المكذِّبون إلى ما حلَّ بهم من العذاب، جزاءَ تكذيبهم لرسولهم، كما هي سنَّة الله فى أمثالهم من المكذِّبين.(٤)

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- يتنوع القرآن الكريم في استخدام الأساليب البلاغية، فالأسلوب القرآني راقٍ جدًا في بيان نظمه وترتيب آياته، حتى لو كانت هذه الآيات متكررة، فتتنوَّع الحكمة في تكرار الآيات في السُّورة الواحدة، ويختلف مراد كل آيةٍ عن آيةٍ أخرى.

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٦)، والزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٦٠).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩٥).

(٣) هذا البيت منسوب للشاعر: ابن نباتة السعدي. في كتاب لعبد الله بن محمد البُصيري، بعنوان: أبيات مختارة تشتمل على: عقيدة، نصائح، مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب (ج١/٦٧).

(٤) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/٨٦) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- استخدم القرآن الكريم أسلوب التَّشويق في بداية هذه الآيات (فكيف كان عذابي ونذر)، وفي هذا توجيهٌ لقلوب السَّامعين إلى الإصغاء لما يُلقى عليهم قبل ذكره.[١]

٣- عذَّب الله ﷻ قوم عادٍ بريحٍ عاتيةٍ باردةٍ لها صوتٌ وصريرٌ شديدٌ ،ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: " **نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَت عَادٌ بالدَّبُور**"[٢]، فكانوا يتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جُثثٌ طِوالٌ عِظام، كأنَّهم أصولُ نخلٍ بلا فروع.

دمَّرهم الله؛ لأنهم استحقوا العذاب والدَّمار لتكذيبهم نبيهم هود ﵇، ولأنهم استكبروا عن دعوته وعن عبادة الله وحده.

٤- كانت العاقبة على قوم عادٍ سوءًا وشرًا مستطيرًا، يستدعي التَّفكير بكيفية عذاب الله وإنذاراته. وطريق فهم ذلك ميسرٌ، فإنَّ القرآن العظيم بما اشتمل عليه من العِظات والعِبر سهلٌ يسيرُ الاعتبار والاتِّعاظ، فهل من متَّعظ ومعتبر؟![٣]

---

(١) انظر: أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٧٠) بتدخل.
(٢) حديثٌ سبق تخريجه ص٣٢.
(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٦٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلبُ الثَّاني: قِصَّةُ ثمود قومِ صالحٍ ﷺ.**

قال الله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢)** ﴾. [القمر: ٢٣-٣٢].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه قصةٌ ثالثةٌ، أو أنموذجٌ من تكذيب الأمم السَّابقة برسلها، فإنَّ عادتهم ومذهبهم إنكار الرُّسل وتكذيبهم ومعاندتهم، فقد كذَّبوا صالحًا ﷺ فيما يدَّعيه من الوحي عن ربه ﷻ، وكلُّ من كذب رسولًا كذَّب جميع الرُّسل؛ لاتحادهم في أصول الاعتقاد والدِّين والتَّوحيد. وكانت معجزة نبي الله صالحًا ﷺ ناقةٌ فريدة، خرجت من صخرةٍ صماء، فكانت تشرب ماءَ نهرٍ كلّه يومًا، وتُدرُّ لبنًا يكفي جميع قبيلة ثمود، بل يفيضُ عنهم، فقتلوها، فعاقبهم الله بعذاب الصَّيحة، صيحةِ جبريلِ ﷺ، فأبيدوا جميعًا.[1]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **سُعُرٍ** ﴾ قَالَ الْفراء: " أَراد بالسُّعُر: العَنَاء للعذاب "[2]، وقيل السُّعُر: الجنون، يقال: نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ: كأَن بِهَا جُنُونًا مِنْ سُرْعَتِها.[3]

٢- ﴿ **أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ** ﴾ أي: قالت ثمودُ: أُنزل الوحي وخُصَّ بالنُّبوَّة بشرٌ من بيننا وهو واحدٌ منَّا [أي صالح ﷺ]، وذلك إنكارًا منهم أن يُرسل الله رسولًا من بني آدم.[4]

٣- ﴿ **كَذَّابٌ أَشِرٌ** ﴾ يعني: بَطِرٌ فَرِحٌ مُتكبرٌ، يريد [أي: النبي صالح ﷺ] أن يتعظَّم علينا ويتعالى بادِّعائه النُّبوَّة.

والأَشِر: المَرَح والنَّشَاط، أو البَطَر والتَّكبُّر. وتفسيره بالبَطَر والتَّكبر أنسبُ بالمقام.[5]

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٦٦) بتصرُّف.

(٢) الفراء: معاني القرآن (ج٣/١٠٨).

(٣) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج٢/٥٣)، وابن منظور، لسان العرب (ج٤/٣٦٦).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٩٠).

(٥) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج٧/٤٣٠)، والشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٥٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ فانتظرهم وتبصَّر ما هم صانعون، واصبر على أذاهم، ولا تَعْجل حتى يأتيَك أمري.(١)

وفي هذا.. أسلوبٌ تطميني للنَّبي صالحٍ عليه السلام، بأن يصبر على أذى قومه، ولكن في النهاية ستدور الدائرة عليهم، وسيتحسرون على عنادهم ومجادلتهم لنبيِّهم، وسيفرح الرسول ومن معه من المؤمنين بنصر الله على هؤلاء المكذبين الضالين، وسيدركون أنَّ وعد الله نافذٌ ومحتوم.

٥- ﴿ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ أي ماء البئر الذي لهم، مقسومٌ بين ثمودٍ وبين النَّاقة، لهم شِرْبُ يومٍ، وللنَّاقة شِرْبُ يوم.(٢)

٦- ﴿ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾ يعني: إذا كان يوم النَّاقة، فتحضر النَّاقة، ولا يحضر قوم ثمود، وإذا كان يومهم، فلا تحضر النَّاقة، وكلُّ فريقٍ يحضُر في نوبته.(٣)

٧- ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ ﴾ أي: فنادت ثمودٌ صاحِبهم عاقرُ النَّاقة؛ ليعقر النَّاقة حضًّا منهم له على ذلك.(٤)

٨- ﴿ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ أي: تناول النَّاقة بالعقر فعقرها، أو اجترأ على تعاطي أسباب العقر فعقر. وقيل: كَمِنَ لها في أصل شجرةٍ على طريقها، فرماها بسهمٍ فانتظم به عضلة ساقها، ثمَّ شدَّ عليها بالسَّيف فكسر عرقوبها، ثمَّ نحرها، والتعاطي: هو تناول الشَّيء بتكلفٍ.(٥)

والعَقْر عِند العرب: كَسْر عُرقوب البَعِير، ثمَّ جُعل النَّحر عقرًا؛ لأنَّ العَقْر سببٌ لنحره، وناحِرُ الْبَعِير يَعقِره ثمَّ ينحره.(٦)

والذي يتَّضح لي.. أنَّ العَقْرُ يكون بالصَّيد، أو ما لا يُقدر على ذبحه، كأن يهرب جملٌ أو عِجلٌ، فيتمُّ طعنه برمحٍ أو ضربه بسكينٍ وهو قائمٌ على الأرض؛ لعدم السَّيطرة عليه.

وهكذا حصل بعقر ناقة نبي الله صالحٍ عليه السلام، فقد عُقرت بسهمٍ وهي قائمة، ثم نُحرت بعدما وقعت على الأرض.

---

(١) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٤٠٤).

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٤٤).

(٣) انظر: السَّمرقندي، بحر العلوم (ج٣/٣٧٤)

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٩٢).

(٥) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٥٢).

(٦) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ج١/١٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩- ﴿ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ الْمُحْتَظِر: هو الرَّجل يجعل لغنمه حظيرةً بالشَّجر والشَّوك، وما سقط من ذلك وما داسته الغنم فهو الهشيم.(١)

وقيل: الهشيم: ما يَبِسَ وجفَّ من الكلأ ومن الشَّجر، وهو مشتقٌ من الهَشْم وهو الكَسْر؛ لأنَّ اليابس من ذلك يصيرُ سريعُ الانكسار.(٢)

وقيل: الْمُحْتَظِرِ: هو الذي يعمل الحظيرة التي تكون مسكنًا للحيوانات.(٣)

وعلى تعدد المعاني.. فالمراد بهشيم المحتظر: ما تكسَّر وما تفتَّت من أغصان الشَّجر وأوراقه بعد أكل الأنعام منه، وما تبقى من أثر طعامهم، فجاء التشبيه بذلك، لشدِّة قوة الصَّيحة التي دمرت ثمود، فلم تُبقِ لهم أثرًا بعد عين، وجعلتهم عبرة لمن يعتبر، وهكذا يأتي عذاب الله للقوم الجبارين.

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾ (أبشرًا): الهمزة للاستفهام، و(بشرًا) منصوبٌ على الاشتغال، أي: بفعلٍ مضمرٍ يفسره ما بعده، أي: أنتبع بشرًا، و(منَّا) صفةٌ لبشرًا، و(واحدًا) إما: نعتٌ لـ(بَشَرًا)، أو أنَّه نُصبَ على الحال من هاء (نَتَّبِعُه).(٤)

٢- قوله: ﴿ مِن بَيْنِنَا ﴾: حالٌ من هاء (عليه)، أي: أُلْقى عليه منفردًا من بيننا.(٥)

٣- قوله: ﴿ فِتْنَةً ﴾: مفعولٌ له أو مصدرٌ من معنى الأول، أو في موضع الحال.(٦)

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا ﴾ الاستفهام هنا إنكاري، أنكروا أن يرسل الله إلى الناس بَشرًا مثلهم، أي لو شاء الله لأرسل ملائكة.(٧)

---

(١) يراجع: الواحدي، الوجيز (ج١/١٠٤٨).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠٣).

(٣) انظر: سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/١١٢).

(٤) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٣٨-١٣٩) مختصرًا، الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٨٣).

(٥) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٤٠)

(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٤٢.

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- جملة ﴿ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ تعليل؛ لإنكار أن يتَّبعوا بشرًا منهم. تقديره: أنتَّبعك وأنت بشرٌ واحدٌ منَّا.(١)

٣- في قوله: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ ببيان انكشاف أمر الكذَّاب الأشر، وأورد ذلك مورد الإبهام والاحتمال، وإن كانوا هم المعنيين بقوله تعالى، وفيه إخبارٌ عن غيبٍ سيقع في المستقبل، وهذا من باب التَّنبؤات المستقبلية القريبة.(٢)

٤- ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ﴾ الإرسال هنا مستعارٌ لجعلها آيةً لصالح ﷺ، وقد عُرف خَلْق خوارق العادات؛ لتأييد الرُّسل باسم الإرسال في القرآن، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩]، فشُبِّهت النَّاقة بشاهدٍ أرسله الله لتأييد رسوله ﷺ.(٣)

٥- اسم الفاعل من قوله: ﴿ مُرْسِلُو النَّاقَةِ ﴾ مُستعملٌ في الاستقبال مجازًا بقرينة قوله: ﴿ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾، فَعَدل عن أن يُقال: سنُرسلُ، إلى صيغة اسم الفاعل الحقيقة في الحال؛ لتقريب زمن الاستقبال من زمن الحال.(٤)

٦- قوله: ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ صيغةُ مبالغةٍ على وزن فَعَّال وفَعِلْ، أي كثير الكذب، عظيمُ البَطَر.

خامسًا: القراءات القرآنية:

قوله: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴾.

قَرَأَ ابْن عَامر وَحَمْزَة: ﴿ سَتَعْلَمُون غَدًا ﴾ بِالتَّاءِ على الخطاب، على أنَّ رسولهم خاطبهم فقال لَهُم: ﴿ سَتَعْلَمُون غَدًا ﴾.

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿ سَيَعلَمُون غَدًا ﴾ بِالْيَاءِ. وحُجَّتهم، قَوْله بعْدهَا: ﴿ فِتْنَةً لَهُم ﴾ ولم يقل لكم.(٥)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

يقُصُّ الله ﷻ علينا في هذه الآيات الكريمة قصةَ ثمودٍ مع نبيها صالحٍ ﷺ، إذ قالوا: أنحن العدد الجمُّ، والكثرة السَّاحقة، نتبع واحدًا منَّا لا امتياز له عنا ؟ إنَّا إذا فعلنا ذلك لفي ضلالٍ،

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ص١٩٧).
(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٤٤) بتدخل.
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/١٩٩).
(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٠.
(٥) انظر: ابن زنجلة، حجة القراءات (ج١/٦٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبُعدٍ عن مَحجَّةِ الصَّواب، وإنَّه لكاذبٌ فيما يدَّعيه من الوحي عن ربه، وما هو إلَّا بشرٌ وليس بمَلَكٍ، فقال لهم ربهم: ستعلمون بعد حينٍ قريبٍ من الكذَّاب البَطِر؟ وقد جعلنا ناقته فتنةً واختبارًا لهم، فأمرناه أن يخبرهم بأنَّ ماءَ البئر يُقَسَّم بينها وبينهم، فلها شِرب يومٍ، ولهم شرب يومٍ آخر، فما ارتضوا هذا! وقام بعقر النَّاقة فخرَّت صريعة، فجازاهم الله ﷻ بالصَّيحة من جبريلِ ﵇ فصاروا كالهشيم الذي يتفتَّت حين بناء حظيرة الماشية، ولقد يسَّرنا القرآن للذكرى والموعظة، فهل من متذكِّرٍ أو متعظٍ بما حلَّ بغيره ؟

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- كذَّبت قبيلة ثمودٍ كغيرها من الأمم الغابرة، نبيها المرسل لهم، وكذَّبوا بالآيات والمعجزات التي جاء بها، وأنكروا أن ينبَّأ بشرٌ كائنٌ منهم منفردٌ لا أتباع له، وزعموا أنَّهم إن اتبعوه كانوا في خطأٍ وذهابٍ عن الصَّواب، وجنونٍ وعناء.(١)

٢- عاقب الله ﷻ ثمودًا أشدَّ العقاب، جزاءَ تكذيبهم وكفرهم برسولهم صالح، واعتدائهم على النَّاقة، فأرسل عليهم صيحةً واحدةً من جبريل ﵇، فلما سمعوا الصَّيحة أُبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد، وصاروا كهشيمِ المحتظر.

٣- أنَّ كلَّ نبي أوتي من خوارق المعجزات العظيمة، والآيات البيِّنة، والحُجج الجليَّة، ما تبرهن على صدق نبوته، وبراءته من الكذب والخداع والسحر. ومن ذلك ما أعطى الله ﷻ لنبيه صالحٍ ﵇، وأيَّده بمعجزة خارقة للعادة، فقد أخرج الله لصالحٍ ﵇ ناقةً من صخرةٍ صمَّاء، جعلها الله له آيةً وحجةً على قومه، وقد جعل لها شِربُ يومٍ، ولهم شِربُ يومٍ آخر.

٤- كان صالحٌ ﵇ قد توعَّد قومه بالعذاب الشَّديد إن عقروا الناقة فقد قال الله حكايةً عن صالح ﵇: ﴿ **وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾ [هود:٦٤]، وقد حذَّرهم الله ﷻ من مساسها بأي سوءٍ، من أي سفيهٍ أو أحمق فقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ **هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف:٧٣]. فهذه حدود الله، لا ينبغي لأحدٍ تعديها، سيَّما جاء التحذير لاهجًا منه ﷻ.. ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [النساء:١٣-١٤].

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- لمَّا شاهد قومُ ثمودٍ آثار العذاب من الله بعد إقدامهم على نَحر النَّاقة، اقتضاهم العُدول عن إصرارهم على الكفر والتوبة منه. ثم ندموا على عقرها لمَّا أيقنوا بالعذاب القريب، ولكن لم ينفعهم النَّدم عند معاينة العذاب، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ: إِنِّي تُبْتُ الْآنَ...** ﴾ [النِّساء:١٨].(١)

٦- اقتضى العدل الإلهي ورحمة الله ﷻ إنجاء صالحٍ ﵇ ومن آمن معه، وكانوا قلةً من المؤمنين، واقتضى العدل إهلاك قبيلةِ ثمودٍ؛ بسبب الجُحود برسالة نبيهم، وإصرارهم على كفرهم بربهم، وإنكارهم وجوده، وتأثُّرهم وتقليدهم الأعمى بآبائهم وأجدادهم بما عبدوا من أوثانٍ وأصنامٍ لا تضر ولا تنفع.(٢)

٧- يرى المتأمِّل والمتدبِّر بما آلَ إليه هؤلاء القوم المجرمين من إبادةٍ وعذابٍ، كيف أهلك الله من كذَّب رسوله، وكفر به. فأصبحوا مثلًا وعبرةً للتاريخ.

فليحذر النَّاس في كلِّ زمانٍ ومكان من عصيان الرُّسل وتكذيبهم، ولكن مع الأسف لا يتَّعظ أكثر النَّاس بهذا، ويبقون في كفرهم وطغيانهم، ويهملون النَّظر إلى قدرة الله القادر على الانتقام من كل أحد.(٣)

٨- يَسهُل على كلِّ إنسانٍ إدراك حقيقة نهاية المكذبين بالرسل من القرآن، فالقرآن أخبر عن هذه المحن الأليمة، والعذابات العظيمة، فهو كتابٌ سهلُ المأخذ، يسَّر الله به فهم المواعظ والعبر، ولكن هل من متعظٍ معتبر؟!(٤)

---

(١) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج١٧/١٠٦٥٩) بإيجاز، والزحيلي، التفسير المنير (ج١٩/٢٠٣) بتدخل.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج١٢/١٠٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (ج٢٧/١٧٠)، (ج١٩/١٩٦).

(٤) انظر: المرجع نفسه، (ج٢٧/١٧٠) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلب الثَّالث: قِصَّةُ قَوْمِ لوطٍ عليه السلام.**

قال الله تعالى: ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠)** ﴾. [القمر: ٣٣-٤٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا كان التَّذير: كأنَّه قال المُنذَرين لم يتَّعظوا به، فزاد في وعظهم، وكانت قصَّة لوطٍ عليه السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود، مما تعرفه العرب بالأخبار ورؤية الآثار، ومع ما في قصتهم من تصويرِ السَّاعة من تبديل الأرض غير الأرض، استأنف قوله: ﴿ **كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ** ﴾؛ ليكون تذكيرًا لكفار مكة بانتقام الله من أعدائه وأعداء رسله، وختم ببيان أنَّ القرآن سُهِّل للتذكُّر وأخذ الموعظة من هلاك الهالكين.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **حَاصِبًا** ﴾ الحَصْباء: الحَصى والحِجارة، أي كان عقاب قوم لوطٍ عذابًا يَحْصِبُهم. أي: يرمِيهم بحجارةٍ من سجِّيل؛ وقيل: حاصبًا: أي ريحًا تَقْلَعُ الحَصْباء لقُوَّتها، وهي صغارُها وكبارُها.(٢) أو ريحًا عاتيةً تَحمِل التُّراب والحصى دمَّرت قرى قوم لوطٍ ومن فيها.

٢- ﴿ **بِسَحَرٍ** ﴾ السَّحَرُ: قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، وقيل: هو من ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ إِلَى طُلُوعِ الفَجْرِ.(٣)

قال الماوردي – رحمه الله -: " والسَّحر: هو ما بين آخر اللَّيل وطلوع الفجر. وهو في كلام العرب: اختلاط سواد آخر اللَّيل ببياض أوَّل النَّهار؛ لأنَّ هذا الوقت يكون مخاييل اللَّيل ومخاييل النَّهار".(٤)

٣- ﴿ **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا** ﴾ أي خوَّفهم وحذَّرهم لوطٌ قبل حلول العذاب عليهم، ونقمةَ الله عز وجل لهم، وسوء العاقبة، وكان ذلك إنذارًا لهم قبل إيقاع العذاب.(٥)

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٢٣)، والصابوني، صفوة التفاسير (ج٣/٢٧٠) بتدخل.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١/٣١٨،٣٢٠)، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج١/١٧٧).

(٣) انظر: المرجع السابق(ج٤/٣٥٠)، والزبيدي، تاج العروس (ج١١/٥١٣).

(٤) الماوردي، النكت والعيون (ج٥/٤١٨).

(٥) ينظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج١١/٧٢٠١) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ ﴾ أي: نازعوه في ضيوفه ليفجُروا بهم، وهم يظنُّون أنَّهم من البشر.[١]

المراودة: مُحَاوَلَةُ رِضَا الْكَارِهِ شَيْئًا بِقَبُولِ مَا كَرِهَهُ، وهي مفاعلةٌ من رَادَ يرُودُ رَوْدًا، إذا ذهب ورجع في أمر، وراود المرأةَ عن نفسها، وراودت الرَّجُل عن نفسه: طلب أن يفجُر بها، وأغراها وأغرته بفعل الفاحشة عن طريق الاحتيال.[٢]

٥- ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ يعني: فطمسنا على أعين قوم لوطٍ حتى صيَّرناها كسائر الوجه لا يُرى لها شقٌّ، وتركهم عميًا يتردَّدون، فلم يبصروا ضيف نبي الله لوط عليه السلام.[٣]

٦- ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ أي جاءهم العذاب وقت الصُّبح، والبكرة: أوَّل النهار.

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- انتصب قوله: ﴿ نِعْمَةً ﴾ على الحال من ضمير المتكلم، أي: إنعامًا منا.

وقيل: انتصب على أنه مفعولٌ لأجله، أي نجَّيناهم لإنعامنا عليهم، أو على المصدر؛ لأنَّ المعنى: أنعمنا بالتَّنجية إنعامًا.[٤]

٢- قوله: ﴿ مِنْ عِندِنَا ﴾ إمَّا متعلقٌ بنعمة، وإمَّا بمحذوفٍ صفةً لها، والكاف في (كذلك) نعتُ مصدرٍ محذوفٍ، أي: مثل ذلك الجزاء نَجْزِي.[٥]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا ﴾ تأكيد الكلام بلام القسم وحرف التحقيق، يُقصد منه تأكيد الغرض الذي سيقت القصة لأجله، وهو موعظة قريشٍ الذين أنذرهم رسول الله ﷺ فتماروا بالنذر.[٦]

٢- ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ استعمال الذَّوق في الإحساس بالعذاب مجازًا مرسلًا بعلاقة التَّقييد في الإحساس.[٧]

---

(١) ينظر: القطان، تيسير القطان (ج٣/٢٨٩).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠٦)، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج٢/٩٥٨).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٥٩٧).

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٤٦)، السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٤٣).

(٥) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (ج١٠/١٤٣).

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠٥).

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- فائدة تكرار قوله: ﴿ **فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾، وتكرار ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ هو التَّجرد عند استماع كل نبأٍ من أنباء الأوَّلين؛ للاتِّعاظ واستئناف التَّيقظ إذا سمعوا الحثَّ على ذلك؛ لئلا تستولي عليهم الغفلة.(١)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يقُصُّ الحق ﷻ في هذه الآيات الكريمة رابع قصةٍ من قصص الأنبياء مع أقوامهم، فيقول – جل ثناؤه–: كذَّبت قوم لوط بآيات الله التي أُنذِروا بها، وكذَّبوا وعاندوا نبيهم المرسل إليهم، فعاقبهم الله ﷻ بشَرِّ أعمالهم فأرسل عليهم ريحًا فيها حجارةً وحصى إلَّا آل لوط أنجاهم من العذاب في السدس الأخير من اللَّيل، وكان ذلك نعمةً من عندنا عليهم، كما أثاب لوطًا وآل بيته الطَّاهرين وأنعم عليهم، فأنجاهم من عذابه وبطشه، كذلك يُثيب الله من آمن به وشكره على نعمه، ولقد خوَّف وحذّر لوطٌ قومه سخط الله وعذابه، فلم يسمعوا له ولم يتأثروا بهلاك السابقين أمثالهم.

ولمَّا شاهدوا عند لوطٍ ضيوفًا في صورة الرجال، وكانوا على أحسن صورة، طلبوا منه أن يفعلوا الفاحشة بضيوفه، وهم يجهلون أنهم من الملائكة، فطمس الله أعينهم عن طريق نفحةٍ من جناحِ جبريل عليه السلام فلم يُبصروا شيئًا، فقيل لهم: ذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوطٌ عليه السلام. ولقد جاءهم وقت الصباح المبكر عذابٌ دائمٌ، استقرَّ فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب النار يوم القيامة، وذلك العذاب هو رجمهم بحجارةٍ وحِصي، وقلب جبريل عليه السلام قُراهم وجعل أعلاها أسفلها، فقيل لهم: ذوقوا العذاب الذي أنزل بكم؛ لكفركم وتكذيبكم، ولقد سُهِّلَ لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، وسُهِّلت معانيه للفهم والتَّدبر لمن أراد أن يتذكَّر، فهل من متعظٍ ومتذكِّر به ؟

سادسًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١- لمَّا كذَّب قوم لوط نبيهم، أرسل الله عليهم عذابًا من عنده، فكانت ريحًا ترميهم بالحصباء، فلا عقاب دون جريمةٍ، ولا عذاب قبل إنذار ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [الإسراء:١٦].(٢)

٢- نجَّى الله نبيه لوطًا عليه السلام ومن تبعه على دينه – ولم يكن إلا ابنتاه –، وتمَّت النَّجاة في وقت السَّحر آخر الليل، إنعامًا وفضلًا من الله ﷻ على لوطٍ وابنتيه. ومثل ذلك الجزاء يجازي

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٣٩) ملخصًا.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٧٤) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله كل من آمن بالله وأطاعه، كما أنَّ ذلك الإهلاك كان عدلًا لكفر القوم، وجرمهم المشهود الذي نُهوا عن فعله مرارًا وتكرارًا.(١)

٣- كان قوم لوطٍ يعملون السَّيئات، أي كانت عادتهم إتيان الرِّجال [أي اللواط] شهوة من دون النساء، فلمَّا جاؤوا إلى لوطٍ ﷺ، وقصدوا ضيوفه الكرام، قام إليهم لوطٌ مدافعًا، وقال: هؤلاء بناتي، وأرشدهم إلى التَّزوج بالنِّساء، وإيثار التَّزوج بالبنات على اقتراف الشُّذوذ بالضّيوف. (٢)

٤- اقتضت رحمة الله ﷻ وعدله إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين، وتلك معجزةٌ للنَّبي وتكريمٌ لمن آمن معه، وردعٌ للظَّالمين وإرهابٌ للكافرين. فأنقذ الله لوطًا وأهله وهم بنتاه إلَّا امرأته ﴿ **إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [الحجر:٥٩-٦٠].(٣)

٥- كان إهلاك قوم لوط ما بين طلوع الفجر إلى شروق الشمس بقلب جبريل ﷺ قرى قوم لوط وجعل عاليها سافلها ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾ [هود:٨٢،٨٣].(٤)

٦- اللِّواطُ فاحشةٌ قبيحةٌ تدلُّ على انتكاس الفطرة، وناسب أن يكون عقاب قوم لوطٍ من جنس عملهم، فنكَّس الله عليهم قراهم.

ولشدَّة قُبح جريمة اللِّواط، فإنَّ تحريم اللِّواط جاء لأسباب كثيرة منها:

١- الضَّرر بالمفعول به، فإنَّه يُحدث مرضًا ثبت أنه مميت، وهو المسمى "الإيدز" أي فقد المناعة؛ لأنَّه تعالى أودع في الرَّحم جاذبيةٍ شديدة؛ لامتصاص المني، وليس في عضو المفعول به قوةٌ جاذبيةٌ لامتصاص المني، فيتسمَّم الدَّم ويُحدِث الضَّرر.

٢- التأثير على أعضاء التناسل والإصابة بالعقم، بحيث يضعف مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم، ويعمل على القضاء على الحيوية المنوية، ويؤثر على تركيب مواد المني، ثم ينتهي الأمر بعد قليل من الزمن إلى عدم القدرة على إيجاد النسل، والإصابة بالعقم، مما يحكم على اللائطين بالانقراض والزوال.(٥)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٧٤) بتدخل.

(٢) انظر: انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج١٢/١١٨) بتدخل.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٢٠ بتدخل.

(٤) انظر: المرجع نفسه.

(٥) انظر: محمد إبراهيم الحمد ، الفاحشة عمل قوم لوط (ج١/٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- إفساد خُلق اللَّائط وإسرافه في الشَّهوة، إذ لا يقدِّر آنيًا المخاطر التي ستلِمُّ به.

٤- إلحاق العار والعيب بكلٍّ من الفاعل والمفعول به، واستحكام العداوة بينهما.

٥- إفساد النِّساء بالإعراض عنهنّ إلى الرجال.

٦- إقلالُ النَّسل، لِما في الفاحشة من رغبةٍ عن الزَّواج، والرغبة عن الزَّوجات في غير محل الإنجاب، أما الإتيان في محل الحرث فيحقق الإنجاب.

وقد بيَّنت واستفضت الحديث عن مخاطر جريمة اللِّواط على الفرد، وعلى المجتمع، وعلى الصِّحة العامة، في مقاصد وأهداف سورة الذاريات في قصة لوطٍ مع قومه.

لهذا كله كان عذابُ القومِ هو الاستئصال في الدنيا، ثمَّ إنَّ عذابَ الآخرة أعظمُ وأدومُ وأشدُّ وأبقى من ذلك.(١)

❖ المطلب الرابع: قِصَّةُ آل فرعون، وسوء عاقبتهم.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ [القمر: ٤١-٤٢].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

ولمَّا كان الآخَر ينبغي له أن يحذر ما وقع للأول، وكان قوم فرعون قد جاءوا بعد قوم لوط ﷺ، فكان ربَّما ظنَّ أنَّهم لم يُنذروا؛ لأنَّ من عَلِمَ أنَّ العادة جرت أنَّ من كذب الرُّسل هلك، أنكر أن يحصل ممن تبع ذلك تكذيب، فقال مقسمًا: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ** ﴾.(٢)

مع أن الإنذارات جاءتهم والمنذرون نبهوهم بأخذ العبرة من هلاك ودمار من سبقهم، ولكنَّهم فضَّلوا الجُحود والكفر على الإيمان والتَّقوى، فكانت نهايتهم أشبه بنهاية مَنْ سبقهم من البائدين.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **فِرْعَوْنَ** ﴾ الفَرْعَنَة: الكِبْرُ والتَّجبُّر، فِرْعَوْن: لقب مَلِكِ مِصر، وكلُّ عاتٍ فِرْعَوْنٌ، والعُتاة: الْفَرَاعِنَة، وقد تَفَرْعَنَ وهو ذو فَرْعَنَة أي: دهاءٍ وتَكَبُّر.(٣)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٨/٢٨٥)، والمراغي، تفسير المراغي (ج٨/٢٠٧) بتدخلٍ يسير.

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٢٨).

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج١٣/٣٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفِرْعَون: لَقَبُ ملكِ مصر في التاريخ القديم[1]، أو لقبٌ أطلق على كل طاغيةٍ متمردٍ جبَّار.

٢- ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ أي: أخذناهم بالعذاب أخذ غالبٍ في انتقامه قادرٍ على إهلاكهم، لا يعجزه شيء.[2]

ثالثًا: وجوه الإعراب:

- قوله: ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ انتُصب على المفعولية المطلقة مبينًا لنوع الأخذ بأفظع ما هو معروفٌ من أخذ الملوك والجبابرة، (مقتدرٌ) صفةٌ لـ(عزيز) والإضافة من إضافة المصدر لفاعله.[3]

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النذر ﴾ صُدِّرتْ قصتُهم بالتوكيدِ القسمِي؛ لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظِم ما فيها من الآياتِ وكثرتِها وهول ما لاقوْه من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ. والاكتفاءُ بذكر آلِ فرعون للعلم بأنَّ نفسه أولى بذلك، أي: وبالله لقد جاءهم الإنذارات.[4]

٢-أكَّد ﷻ المعجزات التي جاءت لآل فرعون بقوله: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾؛ للإشعار بكثرتها، وبأنَّهم قد أنكروها جميعًا دون أن يستثنوا منها شيئًا.[5]

٣- جناسُ الاشتقاق في قوله: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾.[6]

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يقول الحق ﷻ مخبرًا عن فرعون وقومه، أنه جاءهم رسول الله موسى عليه السلام، وأخوه هارون عليه السلام، بالبشارة إن آمنوا وصدقوا بالآيات والمعجزات، والنَّذارة وسوء المرد إن كفروا بالله وعصوه، وقد أيَّد الله موسى وهارون - عليهما السلام- بمعجزاتٍ عظيمة، وآياتٍ متعددة، فكذَّبوا بها كلها، فكانت النتيجة محسومة، أن الله أخذهم أّخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ، فأُبيدوا عن آخرهم، ولم يبق منهم مخبرٍ، ولا عينٌ لا أثرٌ، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا، قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ**

---

(١) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج٢/٦٨٤).

(٢) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٥٤).

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٠٩)، الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٨٨).

(٤) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٧٣).

(٥) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/١١٧).

(٦) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ [الإسراء:١٠١-١٠٣]، وقال أيضًا: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [النمل:١٣-١٤].

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- تكرَّرت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في سورٍ عدة، لِمَا تضمنت من العظة والعبرة التي تتجلى في قهر الله لأكبر قوةٍ عاتيةٍ بشريةٍ، ألا وهو فرعون، وتحطيم جبروت سلطةٍ ظالمةٍ غاشمةٍ، على يد رجلٍ أعزل من السِّلاح هو وأخوه هارون – عليهما السلام- إلَّا أنَّهما قويان بقوة الله عز وجل، وقوة الإيمان، وعظمة النبوة.(١)

٢- أنزل الله لآل فرعون الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات، ومع ذلك كفروا ولجُّوا ولم يؤمنوا، فقوم فرعون رَأَوْا من موسى عليه السلام تسع آياتٍ بينات(٢)، فكفروا بها جميعًا من غير استثناء، وهكذا يؤيِّد الله أنبياءه بالدلائل والمعجزات القوية الخارقة للعادة؛ لبرهنة نبوتهم وصدق ما جاؤوا به، ولئلا يكون لهم حجةٌ أمام الله يوم القيامة.

٣- أيَّد الحق سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام بتسع آياتٍ بينات، تُثبِّته أمام فرعون وقومه. وهذه التسع هي: العصا ولها مهمتان: أن تتحوَّل إلى حيةٍ أمام السَّحرة، وأنْ يضرب بها البحر أمام جيشه، حينما يهاجمه فرعون وجنوده.

ثم اليد في قوله: ﴿ **وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**﴾ [النَّمل:١٢]، واثنتان أُخر هما الجدب، ونقص الثمرات في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمرات** ﴾ [الأعراف: ١٣٠]. ثمَّ: الطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضَّفادع، والدَّم. وهذه وردت في قوله: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ** ﴾ [الأعراف:١٣٣].(٣)

٤- لا يُعجز الله القويَّ القادرَ القاهرَ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فلقد أهلك فرعون في الدنيا مع جنوده بالغرق في الماء، وسيعذبه في الآخرة بالنار، وإن في هذه القصة بيانُ ما أحلَّ

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج١٩/٢٦٧).

(٢) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج١٤/٨٧٧٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (ج١٧/١٠٧٤٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله بفرعون وجنوده من الخِزي والمذلّة؛ ليكون لمن خلفه آيةً وعبرة ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً** ﴾ [يونس:٩٢].(١)

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٣٠/٤٢) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المَبحثُ الخامس: مَقاصدُ وأهداف سُورةُ القَمَر من الآية (٤٣–٥٥).

❖ المطلبُ الأول: توبيخ المشركين، وإهلاكهم في الدُّنيا.

قال الله تعالى:﴿ **أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦)** ﴾. [القمر: ٤٣–٤٦].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد بيان إهلاك بعض الأمم السابقة وهم قوم نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ بسبب تكذيبهم الرُّسل، خاطب الله ﷻ أهل مكة موبخًا لهم بطريق الاستفهام الإنكاري، ليبيِّن لهم أنَّ ما أصاب غيرهم من العذاب والهوان سيصيبهم؛ لأن ما جرى على المثيل يجري على مثيله، إن استمروا على كفرهم، وأصرُّوا على ضلالهم، وأنَّهم أيضًا سيهزمون في الدنيا، وسيلقون في الآخرة عذابًا أشدَّ وأدهى.(١)

ثانيًا: سبب النزول:

سبب نزول الآية (٤٥):

﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾: أخرج الطبري عن ابن عباس ﷺ قال: كان ذلك يوم بدرٍ. قال: قالوا نحن جمعٌ منتصرٌ، قال: فنزلت هذه الآية ﴿ **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾.(٢)

ثالثًا: معاني الكلمات:

١– ﴿ **أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ** ﴾ والبراءة: الخَلاص والسَّلامة مما يضرّ أو يشقّ أو يكلّف كلفة. والمراد بها في الآية: الخَلاص من المُؤاخذة والمُعاقبة، و(الزُّبُر): جمع زَبُور، وهو الكتاب، وزبور بمعنى مَزبُور، أي: براءةٌ كتبت في كتب الله السَّالفة.(٣)

والمعنى: أم أُنزلت عليكم يا أهل مكة، براءةٌ في الكتب المتقدمة أنَّ من كفر منكم وكذَّب الرُّسل كان آمنًا من عذاب الله، فأمنتم بتلك البراءة ؟(٤)

---

(١) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٨١).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٦٠٣).

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١٠).

(٤) انظر: النسفي، تفسير النسفي (ج٣/٤٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴾ أي: يعتقدون أنَّهم مُناصِرون بعضهم بعضًا، وأنَّ جمعَهم يغني عنهم من أرادهم بسوء.(١)

٣- ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ أي: سيتفرق شمل أهل مكة ويغلبون، والمراد بالدبر :أَي الأَدْبارَ، أو الظَّهر، وهو ما أدبر، أي كان وراءً.(٢)

٤- ﴿ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ أي: يوم القيامة أشدُّ على كفار قريشٍ من عذابِ يوم بدرٍ، وأمَرُّ من المرارة.(٣)

رابعًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ السين حرف استقبال، ويُهزم: فعل مضارع مبني للمجهول والجمع: نائب فاعل، ويولون: عطفٌ على سيهزم، والدُّبر مفعول به.(٤)

٢-﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ ﴾ بل: حرف إضرابٍ وعطف، والساعة: مبتدأ وأدهى: خبر، وأمرُّ: عطفٌ على السَّاعة، ويجوز أن تكون الواو للحال.(٥)

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١- ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ﴾ الاستفهام إنكاريٌّ في معنى النفي، فكأنه قيل: ما كفاركم خير من أولئكم الكُفار المعدودين بأن يكونوا أكثر منهم قوةً وشدةً، وأوفر عددًا وعدة ؟(٦)

٢-﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ أم: للإضراب الانتقالي، وما يُقدَّر بعدها من استفهامٍ، مستعملٌ في الإنكار، والتقدير: بل ما لكم براءةٌ في الزُّبُر حتى تكونوا آمِنين من العقاب.(٧)

٣- الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿ أَمْ

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج٧/٤٨١).

(٢) انظر: المرجع السابق، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١١)، وابن منظور، لسان العرب (ج٤/٢٦٨).

(٣) انظر: الفراء، معاني القرآن (ج٣/١١٠)، وابن منظور، لسان العرب (ج٥/١٦٩).

(٤) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٩٠).

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: الألوسي، روح المعاني (ج٢٧/٩١).

(٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَقُولُونَ ﴾ للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم، وإسقاطهم عن رتبة الخطاب، وحكاية قبائحهم لغيرهم.(١)

٤- ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ** ﴾ أم: منقطعةٌ لإضرابٍ انتقاليٍّ، والاستفهام المُقدَّر بعد (أم) مستعملٌ في التَّوبيخ، فإن كانوا قد صرَّحوا بذلك فظاهر، وإن كانوا لم يصرِّحوا به فهو إنباءٌ بأنهم سيقولونه في المستقبل.(٢) وفيها إفرادٌ، حيث لم يقل: (منصورون) لمراعاة الفاصلة.(٣)

٥- الإفراد في قوله: ﴿ **وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** ﴾ حيث لم يقل: الأدبار لإرادة الجنس؛ لأنَّ كل واحدٍ يولِّي دبره، وحسن إفراده كونه فاصلةً، وقد جاء مجموعًا في قوله: ﴿ **لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ**﴾ [الحشر:١٢].(٤)

٦- ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ فيها إطنابٌ بتكرار لفظ السَّاعة لزيادة التَّخويف.(٥)

٧- ﴿ **وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ فيها استعارةٌ لصعوبة الشَّيء على النَّفس. وقيل: استُعيرت المرارة للإحساس بالمكروه على طريقة تشبيه المعقول الغائب بالمحسوس المعروف.(٦)

وفيها إظهارٌ في مقام الإضمار في قوله: (والسَّاعة أدهى) لتربية تهويلها، وزيادة تخويفها.(٧)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

لقد كذَّب الكفار بالنبوة، وكانوا كلما رأوا آيةً يعرضون ويقولون: هذا سحرٌ مستمرٌ، فخوَّفهم الله بذكر أخبار الذين كذَّبوا بالآيات، وأعرضوا عنها من الأمم الماضية، وطالبهم بالعبرة والموعظة مرارًا، ثم أنحَى عليهم باللائمة قائلًا: لم لا تخافون أن يحلَّ بكم ما حلَّ بغيركم؟ أأنتم أقلُّ كفرًا وعنادًا من قوم عادٍ وثمودٍ وقوم فرعون وإخوان لوط؟! حتى يصح لكم أن تأمَنُوا مكر الله بكم؟! بل أعطاكم الله ﷻ براءةً من عذابه مكتوبةً حتى تكون حجةً في أيديكم؟ بل أيقولون -وهم

(١) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٨).
(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١١).
(٣) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٨).
(٤) انظر: المرجع السابق.
(٥) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٧٩).
(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١٤)، وأبو حيان، البحر المحيط (ج١٠/٤٨).
(٧) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واثقين بشوكتهم-: نحن جماعةٌ أمرُنا مُجتمِعٌ لا يرام، ونحن جماعةٌ جَمعُنا منصورٌ لا يضام ولا يرام.

ولقد ردَّ الله ﷻ عليهم هذا الزعم الفاسد بقوله: سيُهزم الجمع ويولون الدبر، وقد روى الإمام الطبري – رحمه الله– **أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قال: لمَّا نزلت (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) جعلت أقول: أيُّ جمعٍ يهزم؟ فلما كان يوم بدرٍ رأيت النبي ﷺ يَثِبُ فِي الدَّرْعِ[1] ويقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ).**[2]

وقد كانت هذه الآية من دلائل النبوة، فهُزمت جموعهم وشتِّتت، وولُّوا الأدبار صاغرين، يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، وليس هذا تمام عقوبتهم، بل السَّاعة موعد عذابهم المنتظر، والسَّاعة أدهى من ذلك العذاب الدنيوي وأشد مرارًا.[3]

سابعًا: أهداف ومقاصد المقطع القرآني:

١- التفت الخطاب في الآيات إلى كفار مكة، لتحذرهم من سوء عاقبة الاقتداء بالكافرين، ولتدعوهم إلى التفكر والاعتبار، فلا القوة ولا الجاه ولا السلطان، تمنع من وقوع العذاب بالكفار، ولا يقدرون على التخلص والسلامة منه بعهدٍ قد كُتب في الكتب السماوية السابقة.[4]

٢- هناك بشارةٌ ربانيةٌ حققها الله ﷻ لنبيه ﷺ والمؤمنين في بدرٍ وما بعد بدر فكانت معجزةً قرآنيةً. فقد أخبر القرآن بهزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها، وهذا من الإخبار بالغيب الدَّالِّ على صدق القرآن، وهو من دلائل النُّبوَّة؛ لأن الآية مكية، ووقعت معركة بدر بعد الهجرة.[5]

٣- زعم كفار قريش أنَّهم منتصرون على المؤمنين بسبب كثرة عددهم وقوتهم، وضعف المسلمين وقلتهم، غير أنَّ موازين القوى البشرية تختل في ميزان القدرة والحكمة والتوفيق الإلهي قال تعالى:﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة:٢٤٩].

---

(١) أي فَرِح النبي ﷺ حتى تغيَّرت مِشْيَتُه شيئًا عمَّا كانت عليه. (انظر: محمد أنور شاه، فيض الباري (ج٥/٤١٠)).

(٢) يراجع: الطبري، جامع البيان (ج٢٢/٦٠٢).

(٣) يراجع: الحجازي، التفسير الواضح (ج٣/٥٧٦) بتدخل.

(٤) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/١١٨) بتلخيص.

(٥) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (ج٩/٩٥)، ودروزة، التفسير الحديث (ج٢/٢٨٧) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- لقد عذَّب المولى ﷻ كفار قريشٍ في غزوة بدر أشدَّ العذاب، فقد أنزل ملائكةً تقاتل مع المسلمين بسيوفٍ من نار فهزموهم بإذن الله، وأثخنوا فيهم الجراح، وقُتل رؤوس الكفر وصناديد المشركين قال تعالى وهو يصف أحداث المعركة: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ** ﴾ [آل عمران:١٢٣-١٢٧].

وهذا كله عذابٌ يسيرٌ بالنسبة إلى عذاب الآخرة، فإنَّ ما يلاقوه من الجزاء في الآخرة إهانةٌ وتحقيرٌ ومذلةٌ لهم. وعذاب الآخرة أشدُّ من عذاب الدنيا وآلم وأدوم وأبقى ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى** ﴾ [طه:١٢٧].

❖ المطلبُ الثَّاني: بيانُ حال المُجرمين في الآخرة.

قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)**﴾. [القمر: ٤٧-٤٨].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا أخبر الحق ﷻ عن السَّاعة بهذا الإخبار الهائل المخيف، علَّله مقسمًا لأهلها مُجملًا بعض ما لهم عند قيامها، لمَّا أظهروا التكذيب والإنكار والإصرار على الكفر.(١) بيَّن الله ﷻ نوع العذاب المعد للمجرمين في الآخرة، وبيَّن سنَّته في عقاب الكفرة المجرمين، الذين تجاوزوا الحد في الطغيان، فيعذبهم بعذابٍ شديدٍ عنيفٍ، تكوى منه أبدانهم، ويحقَّرون ويعنَّفون، وتذل جباههم في النار.

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **سُعُرٍ** ﴾ السُّعر: جمع سعير، وهي النَّار، وجُمع السَّعير؛ لأنَّه قويٌ شديد.(٢)

٢- ﴿ **ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ** ﴾ سَقَر: اسمٌ من أسماء جهنم. وهو مشتقٌ من السَّقْر بسكون القاف وهو التهابٌ في النار.(٣)

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٣٢).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢١٦، الفراء، معاني القرآن (ج٣/١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ** ﴾ يوم: الظرف متعلقٌ بقول محذوف، أي: يقال لهم يوم يسحبون، وجملة (يسحبون) في محل جرٍّ بإضافة الظَّرف إليها، و(في النَّار) متعلقان بـ(يسحبون)، و(على وجوههم) متعلقان بمحذوف حال.(١)

٢- ﴿ **سَقَرَ** ﴾ مضافٌ إليه، وهي اسمٌ أعجميٌ علمٌ لجهنَّم، ولذلك مُنعت من الصَّرف؛ لأنها علمٌ مؤنث.(٢)

رابعًا: الأسرار البلاغيَّة:

١- ﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ** ﴾ اقتران الكلام بحرف (إنَّ) لفائدتين؛ إحداهما: الاهتمام بصريحه الإخباري، وثانيهما: تأكيدُ ما تضمَّنه من التَّعريض بالمشركين؛ لأنَّ الكلام وإن كان موجهًا للنبي ﷺ فإنَّ المشركين يبلُغهم ويشيعُ بينهم وهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فكانوا جديرين بتأكيد الخبر في جانب التعريض، فتكون (إنَّ) مستعملةً في غرضيها من التوكيد والاهتمام. والتعبير عنهم بـ(المجرمين) إظهارٌ في مقام الإضمار لإلصاق وصف الإجرام بهم.(٣)

٢-﴿ **ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ** ﴾ الذَّوق مستعارٌ للإحساس والشعور بالشيء، وصيغة الأمر مستعملةٌ في الإهانة والتهكم والمجازاة، والمَسُّ مستعملٌ في الإصابة واللمس على طريقة المجاز المرسل(٤).

خامسًا: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر تكذيب الأمم الماضية لرسلها كما كذبت قريش نبيها، وأعقبه بذكر ما أصابهم في الدنيا من العذاب والهوان، أردف ذلك ذكر ما سينالهم من النكال والوبال في الآخرة، فبين أن المجرمين في ذهابٍ و تيهٍ عن الحق وعناءٍ وعذاب، وأنهم سيساقون على وجوههم إلى جهنم سوقا، ويُجرُّون على وجوههم ويضربون بمقامعَ من حديد، وإلى ما لا يبلغه الوصف في حدود هذه الأسطر، يفعل بهم وزيادة على ذلك بكثير، إهانةً وتحقيرًا لهم، ويقال لهم حينئذ توبيخًا وتعنيفًا: ذوقوا عذاب النار وشديد حرِّها، ذلك بسبب كفركم وضلالكم وبما قدمت أيديكم، قال تعالى واصفًا حالهم: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**

---

(١) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٩٠).

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١٥).

(٤) انظر: المرجع السابق (ج٢٧/٢١٥-٢١٦) بتدخل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال:٥٠-٥١].(١)

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- إنَّ المشركين بالله الذين كذَّبوا رسله وأنكروا بعثتهم للناس، وكلَّ كافرٍ ومبتدعٍ كافرٍ ببدعته من سائر الفرق في حيرةٍ وتخبطٍ في الدُّنيا وبعدٍ عن الحق والصِّراط المستقيم، بسبب انطماس بصائرهم، وإيثارهم الضَّلال والغي على الهدى والرَّشاد (٢)؛ لأنَّهم رضوا بأن يكونوا في مستنقع الكفر وبراثين الوثنية. فعلى الكفار في جميع النِّحَل والملل أن يرجعوا عن كفرهم وعن ضلالهم، وأن يهتدوا في دنياهم إلى الصراط المستقيم الذي أبانه الله، وأرشدهم إليه النبي ﷺ، بأن يكونوا في نور التوحيد وصحة الاعتقاد حتى ينالوا من الله الرضى والرضوان.

٢- تزُجُّ ملائكة العذاب المجرمين والمشركين في نار جهنم، بأخذهم بنواصيهم وأقدامهم قال تعالى: ﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ** ﴾ [الرحمن:٤١]، ويجرُّون على وجوههم في النَّار على سبيل الإهانة والإذلال، ويطاف بهم بين النَّار التي يُحرقون بها، وبين الماء المغلي البالغ نهاية الشدة في الحرارة فتشوى به وجوههم، ويقال لهم توبيخًا وتقريعًا: ذوقوا مسَّ جهنَّم التي كنتم تكذبون بها، وبسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لنبوة النبي محمد ﷺ.(٣)

٣- إنَّ للنَّار طبقاتٌ، طبقةٌ فوق طبقة، أعدت للمجرمين والكفار ولمن يستحقها، وهي نارٌ عظيمةٌ وكبيرة، وقد وصفها النبي ﷺ في الحديث الصحيح، فقال: " **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** "(٤).

---

(١) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج٢٧/١٠٠) بتدخل.

(٢) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٨٣)، طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/١١٩).

(٣) انظر: الزحيلي، الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/٢١٧). بتدخل.

(٤) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار / باب في شدَّة حَرِّ نار جهنَّم وبُعدِ قعرها وما تأخُذُ من المُعذَّبين ٤/٢١٨٤: رقم الحديث ٢٨٤٢].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ المطلب الثَّالث: إنكار الكفار للقضاء والقدر.

قال الله تعالى:﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)** ﴾.

[القمر: ٤٩-٥٠].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا أخبر الحق ﷻ بقيام السَّاعة، وما يتفق للمجرمين فيها جزاءً لأعمالهم التي قدَّرها عليهم، وكان ربما ظنَّ ظانٌّ أنَّ تماديهم في الضلال والكفر لم يكن بإرادته سبحانه، علَّل ذلك منبهًا على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ لله سبحانه، وأنَّ الأفعال هو الذي خلقها، وإنَّما نسبتها إلى العباد بأمورٍ ظاهرية، تقوم عليهم بها الحجة في ما يجري في عاداتهم، وأنَّ أمره ﷻ بين الكاف والنون وهو سريع النَّفاذ.(١)

ثانيًا: سبب النزول:

سبب نزول الآية:﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:" جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ ﴿**..إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾.(٢)

ثالثًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ أي: ملتبسًا بقدرٍ معينٍ اقتضتهُ الحكمة التي عليها يدور أمرُ التَّكوين، أو أنَّ كلّ ما خلقنا فمقدورٌ ومكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ قبل وقوعه.(٣)

٢- ﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾ أي: إنَّما نأمر بالشَّيء مرةً واحدةً، لا نحتاج إلى تأكيدٍ بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمحِ البَّصر. واللَّمح: النَّظر على العَجَلة والسَّرعة.(٤)

رابعًا: وجوه الإعراب:

١- قوله: ﴿ **وكلَّ شيءٍ** ﴾ منصوبٌ بفعلٍ يفسره الظَّاهر ما بعده.(٥)

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٣٢) بتصرف.

(٢) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر / باب كلُّ شيءٍ بقدرٍ، ٢٠٤٦/٤: رقم الحديث ٢٦٥٦].

(٣) انظر: الزجاج، معاني القرآن (ج٥/٩٢)، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم (ج٨/١٧٤).

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج٧/٤٨٦)، والشوكاني، فتح القدير (ج٥/١٥٥).

(٥) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٤١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- قوله:﴿ **كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾ في موضع الحال من (أمرنا) باعتبار الإخبار عنه بأنه كلمة واحدة.(١)

خامسًا: الأسرار البلاغية:

١- مناسبة الفاصلة القرآنية في أواخر الآيتين، له وقعٌ وجرسٌ وجمالٌ في اللَّفظ.

٢-التَّشبيه المُرسل المُجمل في قوله: ﴿ **كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾ حيث حذف منه وجه الشَّبه، فهو تشبيهٌ في سرعة الحصول، أي ما أمرنا إلَّا كلمةً واحدةً سريعةَ التَّأثير في المتعلِّقةِ هي به كسرعة لمح البصر.(٢)

سادسًا: المعنى الإجمالي:

تُأكِّد الآيات العظيمة ما للحق سبحانه من حكمٍ بالغةٍ في خلقه، ومِنْ أسرارٍ باهرةٍ في صنعه، وما لقدرته من سرعة الإبداع والإنجاز، والتنفيذ والقضاء، وفي الآيات إعلامٌ منه ﷻ عن نظام الكون الذي خلقه، وهو أنَّ كل حادثٍ يحدث في هذا العالم قد سبق به علم الله ﷻ، وتقديره له، فحَدَّد ذاته وصفاته وأعماله ومآله إلى جنةٍ أو إلى نارٍ، إنْ كان إنسانًا أو جانًا أو حيوانًا، وليس هناك شيءٌ يحدث بدون تقديرٍ سابقٍ له، أو علمٍ تامٍّ به قبل حدوثه.(٣)

لذا جاء مُشركو قريشٍ يُخاصِمون رسول الله ﷺ في القدر، وقد عقب ابن عاشور على هذا الحديث فقال: " ولم يذكُرْ راوي الحديث تعيين معنى القَدَر الذي خاصم فيه كفار قريش، فبقي مجملاً، ويظهر أنَّهم خاصموا جَدلًا؛ ليدفعوا عن أنفسهم التَّعنيف بعبادة الأصنام كما قالوا: ﴿ **لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم** ﴾ [الزخرف:٢٠]، أي جدلًا للنبي ﷺ بموجب ما يقوله من أنَّ كلَّ كائنٍ بقدر الله جهلًا منهم بمعاني القَدَر".(٤)

ويخبر الحق ﷻ عن قدرته كما أخبر عن علمه، بأنَّه ﷻ إذا أراد إيجاد شيءٍ في الوجود من العدم لم يزد على أمرٍ واحدٍ، وهو (كُنْ) فإذا بالمطلوب يكون كما أراد تعالى أزلًا أنْ يكون، وبسرعةٍ خارقةٍ كسرعة لمح البصر الذي هو نظرةٌ سريعةٌ قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢].(٥)

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٢١)

(٢) المرجع السابق، والهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٩).

(٣) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/٢٢١،٢٢٠)، والناصري، التيسير في أحاديث التفسير (ج٦/١٣٢).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢١٨).

(٥) انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج٥/٢٢١) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- تقرير عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرِّه، حيث يُعدُّ الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان الستة، فالإيمان به واجبٌ، ومنكر القدر كافرٌ؛ لأنه أنكر ركنًا من هذه الأركان الستة، ومعلومًا من الدين بالضرورة، فيجب الإيمان بأنَّ الله ﷻ خلق كل شيءٍ بقدرٍ معلوم، وبحكمةٍ هو يعلمها وحده ﷻ، حيث قال: ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾ [الحجر:٢١].

٢- قدَّر الله ﷻ لعباده أقدارًا عَلِمها قبل كونها، بحسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته، وقد خلق المولى ﷻ كلَّ شيءٍ في هذا الكون البديع، بتقديرٍ حكيمٍ، وبعلمٍ شاملٍ، وبإرادةٍ تامَّةٍ، وبتصريفٍ دقيقٍ لا مجال معه للعبث أو الاضطراب أو الجدال، كما قال ﷻ: ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ**﴾ [الرعد:٨]، وكما قال ﷻ: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ [الفرقان:٢].(١)

٣- إنَّ مذهب أهل السنة إثبات القضاء والقدر، ومعنى ذلك كما قال النووي – رحمه الله -: " أنَّ الله تعالى قدَّر الأشياء في القِدم، وعلم سبحانه أنَّها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده سبحانه على صفاتٍ مخصوصةٍ فهي تقع على حسب ما قدَّرها الله، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنَّه سبحانه لم يقدِّرها، ولم يتقدَّم علمه بها، وأنَّها مستأنفةُ العلم، أي إنَّما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذَبوا على الله ﷻ عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا ".(٢)

٤- إنَّ ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أنَّ الله ﷻ قدَّر الأشياء، وعلم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنَّه يُوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدثٌ في العالم العلوي والسُّفلي إلا وهو صادرٌ عن علمه ﷻ وقدرته وإرادته دون خلقه، وأنَّ الخلق ليس لهم فيها إلَّا نوعُ اكتسابٍ ومحاولةٍ ونسبةٍ وإضافةٍ، وأنَّ ذلك كله إنَّما حصل لهم بتيسير الله ﷻ وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، لا كما قالت القدرية وغيرهم من أنَّ الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا.(٣)

٥- حذَّر النبي ﷺ من القدرية الذين ينكرون بقضاء الله وقدره، وإنهم بذلك قد كفروا بركن من أركان الإيمان، وكان ابن عباسٍ ؓ يكرههم ويحذر منهم.

فعن عليٍّ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " **لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،**

---

(١) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج١٤/١٢٠).

(٢) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (ج١/١٥٤).

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج١٧/١٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ".[1]

❖ المطلب الرَّابع: الاعتبار بهلاك الأمم السَّابقة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)** ﴾. [القمر: ٥١-٥٣].

أولًا: مناسبة الآيات لما قبلها:

لمَّا أخبر بتمام قدرته، وكان إهلاك من ذُكر من الكفار، وإنجاء من ذُكر من الأبرار في هذه السورة نحوًا مما ذُكر من أمر السَّاعة في السُّهولة والسُّرعة، دلَّ على ذلك بإنجاء أوليائه وإهلاك أعدائه، فذكَّر بهم جملةً وبما كان من أحوالهم بأيسر أمرٍ؛ لأنَّ ذلك أوعظ للنفوس وأزجرُ للعقول، فقال مقسمًا تنبيهًا على عادتهم في الكفر مع هذا الوعظ فِعْل المكذِّب بهلاكهم لأجل تكذيبهم عاطفًا على ما تقديره: ولقد أنجينا رسلنا وأشياعهم من كلِّ شيءٍ خطر.[2]

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **أَشْيَاعَكُمْ** ﴾ الأشياع: جمع شيعةٍ، والشِّيعة: الجماعة الذين يؤيِّدون من يُضَافون إليه. وأشياعكم: أي أشباهكم في الكفر من الأمم، وقيل: الأشياع الفرق المتشابهة في مذهبٍ ودين، ونحوه الأول شيعةٌ للآخر، الآخر شيعةٌ للأول.[3]

٢- ﴿ **مُسْتَطَرٌ** ﴾ منسَطَرَ يَسْطُرُ إذا كَتَبَ[4]، ومُستطرٌ ومَسطُورٌ، أي: مكتوب.
فكل ما هو موجودٌ في الكون من صغيرٍ أو كبيرٍ مدونٌ ومكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ قبل خلق هذا الكون وإيجاده، وأن علم الله ﷻمحيطٌ به.

ثالثًا: الأسرار البلاغية:

١- بين قوله: ﴿**صَغِيرٍ**﴾ و قوله: ﴿**كَبِيرٍ**﴾ طباقٌ.[5]

---

(١) [الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان / وأما حديث معمر ٨٧/١: رقم الحديث ٩٠. وقال" حديث صحيح على شرط الشيخين].

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٣٣).

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٤١)، ابن عطية، المحرر الوجيز (ج٥/٢٢١).

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج٤/٣٦٣).

(٥) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- توافق فاصلة الآيات، له وقعٌ وجرسٌ وجمالٌ في اللَّفظ.

٣- قوله: ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ** ﴾ أطلق الأشياع هنا على الأمثال والأشباه في الكُفْر على طريق الاستعارة بتشبيههم، وهم منقرضون بأشياعٍ موجودين.(١)

٤- قوله: ﴿ **مُسْتَطَرٌ** ﴾ كنايةٌ عن علم الله بكل صغير وكبير من الأعمال، وذلك كنايةٌ عن الجزاء عليه مكان ذلك جامعًا للتبشير والإنذار.(٢)

رابعًا: المعنى الإجمالي:

أعاد الله تعالى التَّنبيه للحق، والاتِّعاظ بهلاك السَّابقين، فيقسم قائلًا: وتالله لقد أهلكنا أمثالكم وأشباهكم في الكفر يا معشر قريشٍ، مِن الأمم السَّابقة المكذبين بالرُّسل، فهل من متعظٍ منكم بهم؟ وهل من متذكِّرٍ يتذكَّر ويتَّعظ بالمواعظ، ويعلم أنَّ ذلك حقٌ، فيخاف العُقوبة التي حلَّت بالأمم السَّابقة؟

وأتبع ذلك.. الإخبار عن إحصاءِ جميعِ أعمالهم ورقابةُ الله عليهم، فقال: إنَّ جميع ما فعلتموه، وتفعله الأُمم والشُّعوب والأفراد من خيرٍ أو شرٍّ مكتوبٌ في اللَّوح المحفُوظ، وما مِن شيءٍ مِن أعمالِ الخلقِ وأقوالِهم وأفعالِهم إلَّا وهو مسطُورٌ في اللَّوحِ المَحفُوظ، وفي دَواوينِ الكَتَبةِ مِن الملائِكة وصَحائِفهم، وكلُّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وجليلةٍ وحقيرةٍ في كتاب عند الله قبل خلقه للإنسان قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨].(٣)

خامسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- كرَّر الله ﷻ تحذيره وتوبيخه للمشركين، ونبَّههم إلى أنَّه أهلك أشباههم في الكُفر من الأمم الخالية، فهل مَنْ يتذكر ومَنْ يتعظ بهلاكهم، ومَنْ يأخذ العبرة منهم كيلا يحقَّ عليه مثل ما حقَّ الله عليهم من الغضب والسخط والدمار؟!(٤)

٢- هناك وحدةٌ بشريةٌ، واتصال الوشائج بين كفار قريشٍ، ومنْ سبقهم من المكذبين الهالكين، فكأنهم تواصوا بالكفر جيلًا بعد جيل، وتوارثوا الضَّلال والطُّغيان، فهذا قسمٌ من الله بعزته وجلاله أنَّه أهلك واستأصل أشباهكم ونظائركم يا كفار قريشٍ، مِنَ المكذِّبين لأنبيائهم من الأمم

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٢٣).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٢٤.

(٣) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٨٦،١٨٧) بتصرف.

(٤) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السَّابقة، فما آن الأوان بعد أنْ تتيبوا إلى ربكم وتسلموا له قبل أن يأتيكم عذاب ربكم بغتةً وأنتم لا تشعرون.

٣- تقرر هذه الآيات وجوب تعزيز الرقابة الذاتية والوازع الديني لدى العباد من حيث اطلاع المولى ﷻ عليهم واحصاء أعمالهم.

٤- يجب أن يتصارع الإنسان في سبيل الخيرات، ويتسابق إلى فعلها، وأن ينمي حبه لفعل الخير، ويحث على فعله، والتحلي به؛ لأن الله ﷻ سيثيبه على فعله للخير، فقد وكَّل ملائكةً تكتب له الحسنات صغيرها وجليلها، في قوله وفي فعله، قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق:١٨]، وفي مقابل ذلك يجب عليه أنْ ينأى وينهى عن الشرِّ وفعله؛ لأنَّ الشرَّ يُردي بالناس إلى مهاوي الردى والهلاك، فقد وكَّل الله أيضًا ملائكةً كتبةً تكتب للعبد أعماله وأفعاله من المعاصي والآثام ﴿ **كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [هود: ٦] وقوله: ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠]، فليحذر الإنسان مما هو قادمٌ عليه من الحساب العسير على الجليل والحقير ﴿ **يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ [الدخان:٤١] وقوله: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٨٩]، وحتى لا يتحسر الكافر يوم القيامة، ويتفاجئ بكل ما دُوِّن له في صحيفته من صغيرٍ وكبيرٍ، نحو قوله: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٩].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

❖ **المطلبُ الخامِس: الجنَّة ثوابُ المتقين.**

قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)**﴾. [القمر: ٥٤-٥٥].

أولًا: مناسبةُ الآياتِ لِما قبلها:

لمَّا أخبر المَولى ﷻ عن أحوالِ الكَفرةِ في الدُّنيا والآخرة، واعظًا بها وإعلامًا بعظمته، وعلياءِ صفاته، وسِعة مملكته وشَاملِ عِلمه وقدرته، خَتم -جلَّ ثناؤه- بأحوال القِسْم الآخر مِن أهلِ السَّاعة وهم أهلُ الإيمانِ أهل طاعته، تتميمًا لذلك وإشارةً وبشارةً للسَّالكِ في أحسنِ المَسالك.(١)

ثانيًا: معاني الكلمات:

١- ﴿ **فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ** ﴾ أي في جنات وأنهار من الماء والخمر والعسل واللَّبن، ووُحِّد؛ لأنَّه رأسُ الآية، ثمَّ الواحد قد يُنبئ عن الجميع.(٢)

٢- ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ** ﴾ أي: في مجلسِ حقٍ، ومكانٍ رضيٍ لا لغوٌ فيه ولا كذبٌ ولا تأثيمٌ، وهو الجنَّة.(٣)

٣- ﴿ **عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ أي: مقرَّبين عند مليكٍ مُبهمٍ أمره في المُلك والاقتدار، فلا شيء إلَّا وهو تحت مُلكه وقدرته، فأيُّ منزلةٍ أكرم مِنْ تلك المنزلة، وأجمعُ للغبطة كلِّها والسَّعادةِ بأسرها.(٤)

ثالثًا: وجوه الإعراب:

١- ﴿ **فِي مَقْعَدِ**﴾ الجار والمجرور بدلُ بعضٍ مِنْ كل، من قوله: (في جنَّاتٍ)؛ لأنَّ المقعد بعض الجنَّات، ويجوز أن يتعلق بمحذوفٍ على أنَّه خبرٌ ثانٍ لـ(إنَّ).(٥)

٢- ﴿ **عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ عند مليكٍ: ظرفٌ متعلقٌ بمحذوفٍ صفةٌ لـ(جنَّاتٍ) أو لـ(مقعدٍ)، وقيل هو خبرٌ ثانٍ أو ثالثٍ لـ(إنَّ)، و(مليكٍ) صيغةُ مبالغةٍ، و(مقتدرٍ) صفةٌ لمليك.(٦)

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر (ج١٩/١٣٥) بتصرف.
(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج١٧/١٤٩).
(٣) انظر: محمد صديق خان، فتح البيان (ج١٣/٣١٠).
(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج٤/٤٤٢).
(٥) انظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه (ج٩/٣٩١).
(٦) انظر: المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: الأسرار البلاغية:

١- الإفراد في قوله: ﴿ **وَنَهَرٍ** ﴾ للاكتفاء باسم الجنس مراعاةً للفواصل، وكان مقتضى السِّياق أنَّ يقال: وأنهار؛ لمناسبة جنَّاتٍ.(١)

٢- ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ** ﴾ إضافة (مقعدٍ) إلى (صدقٍ) من إضافةُ الموصوف إلى صِفته للمبالغة في تمكُّن الصِّفة منه.(٢)

٣- الكناية في قوله: ﴿ **عِنْدَ مَلِيكٍ** ﴾ لأنَّه كنايةٌ عن تقريبِ المكانةِ والرُّتبة؛ أي: مقرَّبين عند مَنْ تعالى أمرُه في المُلك والاقتدار، والعندية: عنديةُ تشريفٍ وكرامةٍ.(٣)

٤- التَّنكير في قوله: ﴿ **مَلِيكٍ** ﴾ للتَّعظيم.(٤)

خامسًا: المعنى الإجمالي:

يخبر الحقُّ ﷻ في هاتين الآيتين عن أحوال المَتَّقين في الجنَّة، كما أخبر آنفًا عن أحوال الكفار المجرمين في النَّار، فيؤكِّد سبحانه أنَّ المتقين في بساتينٍ كبيرةٍ عظيمةٍ ، وأنهارٍ واسعةٍ يوم القيامة من ماءٍ وعسلٍ ولبنٍ وخمرٍ لذَّةٍ للشَّاربين، وهم آمنون مطمئنون في مجلس حقٍ، لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ عند الله ذي المُلِك والاقتدار، فلا شيء إلَّا وهو تحتَ مُلكه وقدرته.

سادسًا: مقاصد وأهداف المقطع القرآني:

١- وَصفَ الله ﷻ المؤمنين بعد وَصْفِ الكُفار؛ للمقارنةِ والموازنةِ والتَّرغيب والتَّرهيب، فالمؤمنون الأتقياء في جنان الخُلد التي تجري أنهار الماء والخَمر والعَسل واللَّبن من تحت قصورهم، وهم في كرامةٍ ومنزلةٍ عند ربهم المَالكِ القادرِ على ما يشاء، في مجلسٍ حقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ، وهو الجنَّة، قال تعالى واصفًا حالهم في الجنَّة: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ..** ﴾ [محمد:١٥].(٥)

٢- بدأت السُّورة الكريمة بإنذارِ وتخويفِ المشركين بقربِ وقوع يوم القيامة، وانتهت بهدوءٍ يُطمئن المؤمنين الحقيقيين في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ، وهذا هو الطَّريق المرسوم للتَّربية،

---

(١) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٩).

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٢٧/٢٢٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٩).

(٤) انظر: الهرري، حدائق الروح والريحان (ج٢٨/٢٥٩).

(٥) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج٢٧/١٩٠) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث يبدأ بالتَّحذير والتَّخويف، وينتهي بطمأنةِ النُّفوس المضطربة، وتقويم الأهواء المنحرفة، ورَفْعِ الخُوف والاضطراب، وعندئذٍ تُغمر الأرواح بالسَّكينة والهدوء بالقرب من الجوار الإلهي الأبدي.(١)

٣- يجب الإيمان بأنَّ الله هو المالك مالكُ المُلك الذي ليس له منازعٌ، وهو الحاكم الذي لا رادَّ لحكمه في كلِّ الوجود، وواجب اليقين بأنَّ الله هو القادر المُقتدر، النافذةُ قدرته على كلِّ شيءٍ خلقه في الوجود، فلا شيء إلَّا وهو تحت ملكوته وقدرته وسيطرته.(٢)

---

(١) يراجع: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل (ج١٧/٣٥٥).

(٢) يراجع: المرجع السابق (ج١٧/٣٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمــة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات. فأحمده تعالى أن أعانني ووفقني على إتمام هذا البحث المتواضع، فلا أدعي فيه الكمال، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو نسيان فمني ومن الشيطان.

وقبل ختام هذا البحث المتواضع أعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها، مع ذكر التوصيات الموجو الأخذ بها، والله ولي التوفيق.

أولًا: النتائج:

١. إنَّ علم المقاصد يعين على فهم كتاب الله ﷻ فهمًا صحيحًا وواضحًا ، من خلال استنباط المعاني والأهداف ، والتبحر في دلالاته ودقائق مكنوناته الخفية.

٢. عناية القرآن الكريم بكافة جوانب الحياة، فمنهج القرآن منهجٌ شاملٌ متكاملٌ مثاليٌ في عرضه للقضايا المحورية الكلية والجزئية.

٣. نهاية الطغاة والظالمين والمكذبين أخبر بها المولى ﷻ للعظة والعبرة وبيان القدرة الإلهية في تدمير الأقوام السابقة.

٤. تقرير التوحيد لله ﷻ والبعث يوم القيامة بمظاهر القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء، ومظاهر العلم والحكمة المتجلية في كل شيء خلقه الله ﷻ.

٥. إن المقصود الأعظم من خلق الإنس والجن هو عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به.

٦. لله ﷻ أن يقسم بما يشاء من خلقه للفت الأنظار إلى بديع صنعه ، وليس للناس إلَّا أن يمجدوا ويقدسوا خالقهم ويتدبروا في صنعه وخلقه.

٧. سورة الطور من السور التي عالجت موضوع العقيدة في نفوس المسلمين، فقد ركزت على أصول التربية والنشأة الإيمانية للفرد والمجتمع، وركزت على الوحدانية والنبوة والحديث عن يوم القيامة.

٨. انتفاع الذرية المؤمنة بالعمل الصالح لآبائهم، وترقيتهم بفضل الله وبنعمته لدرجتهم في الجنة، حتى تقرَّ أعينهم من غير أن ينقص من ميزان حسناتهم شيئا.

٩. تكفل الله ﷻ بحفظ نبيه من كل آفةٍ وسوء قد تلم به، وحثه ﷻ على الصبر في مواجهة الأذى والمشقة في طريق تبليغ الدعوة الإسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠. تحدى الله ﷻ المشركين وأرباب الفصاحة والبلاغة بالإتيان بمثل القرآن الكريم في أسلوبه وروعة بيانه، وبيان العجز الحسي الذي أخرس الفصحاء في مجابهة القرآن الكريم ومواجهة معجزة النبي محمد ﷺ.

١١. تناولت سورة النجم الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج، وعن اختصاص النبي ﷺ في الارتقاء إلى ما فوق السماء السابقة، ما لم يصل إليها قبله أحدٌ قط، وتحدثت السورة عن رؤية النبي ﷺ لآيات الله الكبرى وما كان فيها من دعوة للإيمان والتصديق بوعد الله في الآخرة.

١٢. الدعوة لكل مسلم بذكر الله وتسبيحه في كل وقتٍ وفي كل حين، حتى يحيى المسلم ذاكرًا وحامدًا لربه في هذه الحياة، وتتضج حياته بالربانية، وينذر حياته ومماته في ابتغاء مرضاة الله ورضوانه.

١٣. بيان معجزة معراج النبي ﷺ إلى السماء العلا ورؤيته لعجائب ملكوت الله ﷻ واطلاعه على أحوال بعض الناس في البرزخ.

١٤. يعد القرآن حكمة بالغة النهاية في الكمال والبيان، وذلك لصحة كلمه وطهارته الذي هو من عند الحكيم الخبير.

١٥. تناولت سورة القمر معجزةً حسية من معجزات النبي ﷺ الكبرى الباهرة، والدالة على صدق نبوته ألا وهي انشقاق القمر.

١٦. ذكَّرت سورة القمر بما لقيته الأمم الغابرة وأمثالهم من عذاب الدنيا؛ وذلك لأخذ العبرة من نهايتهم، وأنذرت الكفار باقتراب موعد وقوع القيامة، وحذرتهم بما يلقونه حين البعث من العُسر والشِّدة.

١٧. إنَّ الله ﷻ يسَّر حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه، بما فيه من حسن النظم وشرف المعنى، فله التصاق بالقلوب مع محبة، وامتزاج بالعقول السليمة مع قناعة.

١٨. الحث على حفظ القرآن الكريم وتذكر مراميه؛ لتكون زواجره وعلومه وهداياته حاضرة في النفس، وهي تعداد نعم الله ﷻ في أنه يسَّر الهدى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: التوصيات:

من خلال النتائج السابقة التي توصل إليها الباحث، يوصي الباحث بما يلي:

١. يوصي الباحث طلبة العلم الشرعي بالاهتمام بعلوم القرآن، والتركيز على علم المقاصد منها؛ فإنه يعين على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا، وتحكيم كتاب الله لما يعود بالنفع على المجتمع وعلى الفرد.

٢. يوصي الباحث العلماء والدعاة وطلاب العلم إلى توجيه الأنظار نحو القرآن الكريم، فإنَّه خيرُ دستورٍ لهذه الأمة، وخيرُ كتابٍ للتحكيم لمحاولة الخروج من الأزمات التي تعصف بالأمة الإسلامية.

٣. يوصي الباحث بضرورة استثمار العلم بمقاصد وأهداف السور القرآنية المستنبطة في الدراسات البحثية في بيان عظمة القرآن وإعجازه، فلربما تكون منطلقًا للدعوة إلى الله.

٤. يوصي الباحث عمادة المعاهد الأزهرية ودار الإمام الشافعي للعلوم الشرعية بالاهتمام أكثر في تعليم التفسير، وأن يكون تعليم علم التفسير جزءًا مهمًا من برامجها، وأن تضعه على أولوية العلوم التي تدرس فيها.

٥. أخيرًا أوصي نفسي أولًا وأوصي الأمة الإسلامية بتقوى الله ولزوم طاعته، لنيل رضوانه وجناته يوم لقائه.

وصلى الله وسلم على شفيع الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. (١٤٠٩هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)*. تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض: مكتبة الرشد.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي. (٢٠٠١م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الأصبهاني، أبو الشيخ عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري. (١٤٠٨هـ). *العظمة*. تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، الرياض: دار العاصمة.

الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين. (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م). *صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب*. ط١، السعودية: مكتَبة المَعارف للنَّشْرِ والتوزيع.

الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين. (د.ت). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. (د.ط)، (د.م): المكتب الإسلامي.

الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). *صحيح وضعيف سنن أبي داود*. ط١، (د.م): مكتبة المعارف.

الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). *صحيح وضعيف سنن الترمذي*. ط١، (د.م): مكتبة المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م). *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*. ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (١٤١٥هـ) *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن باديس، عبد الحميد بن محمد الصنهاجي. (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). *تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)*. تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). *صحيح البخاري*. ط١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، (د.م): دار طوق النجاة.

البصيري، عبد الله بن محمد. (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م). *أبيات مختارة تشتمل على: عقيدة، نصائح، مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب*. ط١، (د.م): مطابع الحميضي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (١٤٢٠هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م). *مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السِّور*. ط١، الرياض: مكتبة المعارف.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر.(د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (د.ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر. (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط٥، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي. (١٤٠٣هـ). معجم *ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. ط٣، بيروت: عالم الكتب.

البيجوري، الشيخ إبراهيم. (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م). *تيسير شرح جوهرة التوحيد*. (د.ط)، مصر: مطابع الأزهر.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي. (١٤١٨هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م). شعب *الإيمان*. تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، بومباي-الهند، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الدار السلفية.

التبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب العمري، أبوعبدالله، ولي الدين. (١٩٨٥م). *مشكاة المصابيح*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف. (١٤١٨هـ). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

جبل، د. محمد حسن حسن. (٢٠١٠م). *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. ط١، القاهرة: مكتبة الآداب.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الكلبي الغرناطي. (١٤١٦هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*. تحقيق: د. عبد الله الخالدي. ط١، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي. (١٤٠٥هـ). *أحكام القرآن*. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

جماعة من علماء التفسير. (١٤٣٦هـ). *المختصر في تفسير القرآن الكريم*. ط٣، (د.م)، (د.ن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد. (١٤٢٢هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. (١٤١١هـ-١٩٩٠م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

الحجازي، محمد محمود. (١٤١٣هـ). *التفسير الواضح*. ط١٠، بيروت: دار الجيل الجديد.

ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (١٣٧٩هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. (د.ط)، بيروت: دار المعرفة.

الحسني، إسماعيل. (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). *نظرية المقاصد عند ابن عاشور*. ط١، الرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي. (١٩٩٥م). معجم *البلدان*. ط٢، بيروت: دار صادر.

الحميري اليمني، نشوان بن سعيد. (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: د. حسين بن عبدالله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبدالله، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.

الحمد، محمد بن إبراهيم بن أحمد. (١٤١٥هـ). *الفاحشة عمل قوم لوط*. ط١، (د.م): دار ابن خزيمة.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). مسند *الإمام أحمد*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة: دار الحديث.

حوى، سعيد. (١٤١٢هـ-١٩٩٢م). *الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية*. ط٢، (د.م): دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

حوى، سعيد. (١٤٢٤هـ). الأساس في التفسير. ط٦، القاهرة: دار السلام.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (١٤٢٠هـ). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط)، بيروت: دار الفكر.

الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي.(١٢٨٥هـ). *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*.(د.ط)، القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية).

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. (١٤١٤هـ-١٩٩٤م). *البيان في عد آي القرآن*. تحقيق: غان مقدوري الحمد، ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محمد كامل قرهبللي، ط١، (د.م): دار الرسالة العالمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دروزة، محمد عزت. (١٣٨٣هـ). *التفسير الحديث*. (د.ط)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الدرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. (١٩٩٩م). *إعراب القرآن وبيانه*. ط٧، حمص-سوريا: دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق-بيروت: دار اليمامة، دار ابن كثير.

الدواداري، أبوبكر بن عبداله بن أيبك. (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م). *كنز الدرر وجامع الغرر*. تحقيق: بيرند راتكه، (د.ط)، (د.م): عيسى البابي الحلبي.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي.(١٤٢٠هـ). *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. ط٣، بيروت. دار إحياء التراث العربي.

ربيعة، محمد عبد الله. (١٤٢٣هـ-٢٠١١م). *علم مقاصد السور*. ط١، السعودية: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي. (١٤١٧هـ-١٩٩٦م). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، محمد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، ط١، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.

الريسوني، أحمد. (١٤١٢هـ-١٩٩٢م). *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*. ط٢، (د.م): الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق. (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م). *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب.

الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى. (١٤٢٢هـ). التفسير الوسيط. ط١، دمشق: دار الفكر.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (١٤١٨هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي. (٢٠٠٢م). *الأعلام*. ط١٥، (د.م): دار العلم للملايين.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤٠٧هـ). *الكشاف*. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (١٤٠٥هـ). سير أعلام النبلاء. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، (د.م): مؤسسة الرسالة.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة. (د.ت). حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني، (د.ط)، (د.م): دار الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (د.ت). *زهرة التفاسير*. (د.ط)، (د.م): دار الفكر العربي.

سابق، سيد. (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م). *فقه السنة*. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (١٤١٣هـ). *طبقات الشافعية الكبرى*. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، (د.م): هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

السجستاني، أبو بكر العُزيري محمد بن عُزير. (١٤١٦هـ-١٩٩٥م). *غريب القرآن*. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. ط١، سوريا: دار قتيبة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله. (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (د.م): مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى.(د.ت). *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم.(د.ت). بحر العلوم.(د.م)، (د.ن).

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي. (١٤١٨هـ-١٩٩٧م). تفسير القرآن. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١، الرياض: دار الوطن.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي. (١٣٨٢هـ-١٩٦٢م). *الأنساب*. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدايم.(د.ت). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (د.ط)، دمشق: دار القلم.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي.(١٤١٢هـ). في ظلال القرآن. ط١٧، بيروت- القاهرة: دار الشروق.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (د.ت). *الدر المنثور*. (د.ط)، بيروت: دار الفكر.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م). *الموافقات*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (د.م): دار ابن عفان.

شحاتة، د. عبد الله. (٢٠٠٠م). *تفسير القرآن الكريم*. (د.ط)، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

شرف الدين، جعفر. (١٤٢٠هـ). *الموسوعة القرآنية - خصائص السور*. تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. ط١، بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين. (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م). *التعريفات*. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعراوي، محمد متولي. (١٩٩٧م). *تفسير الشعراوي – الخواطر*. (د.ط)، (د.م): مطابع أخبار اليوم.

الشنقيطي، محمد *الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني*. (١٤١٥هـ–١٩٩٥م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (د.ط)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد بن علي. (١٤١٤هـ). *فتح القدير*. ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الشيخ علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني. (١٤١٩هـ–١٩٩٩م). *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية* الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية. ط١، الغورية، مصر: دار ركابي للنشر.

الشيرازي، ناصر مكارم. (١٤٢٦هـ). *الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل*. ط١، (د.م): مؤسسة النشر الإسلامي.

الصابوني، محمد علي. (١٤١٧هـ–١٩٩٧م). *صفوة التفاسير*. ط١، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

صالح، بهجت. (د.ت). *الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل*. (د.ط)، (د.م): دار الفكر للنشر والتوزيع.

الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٠هـ). جامع *البيان في تأويل القرآن*. أحمد محمد شاكر، ط١، (د.م): مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد. (١٩٩٨م). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط١، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني.(١٤١٤هـ–١٩٩٨م). اللباب في علوم الكتاب. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). *التحرير والتنوير*. (د.ط)، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عباس، عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–.(د.ت). *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*. جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (د.ط)، لبنان: دار الكتب العربية.

عباس، أ.د. فضل. (١٩٩٧م). *إتقان البرهان في علوم القرآن*. ط١، أربد– الأردن: دار الفرقان.

عبد الحميد عمر، د. أحمد مختار. (١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م). معجم *اللغة العربية المعاصرة*. ط١، (د.م): عالم الكتب.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري. (١٣٨١هـ). مجاز *القرآن*. تحقيق: محمد فؤاد سزگين، (د.ط)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

العثيمين، محمد بن صالح.(١٤٢٥هـ). *تفسير الحجرات – الحديد*. ط١، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (١٤٢٢هـ). *المحرر الوجيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلم، د. يوسف حامد. (١٩٩٤م). *المقاصد العامة للشريعة الإسلامية*. ط٢، الرياض: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي. (د.ت). عمدة *القاري شرح صحيح البخاري*. (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، (د.م): دار الفكر.

الفَتَّنِي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الكجراتي. (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م). مجمع *بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار*. ط٣، (د.م): مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظورا لديلمي. (د.ت) معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. (د.ت). *العين*. تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د.ط)، (د.م): دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة / بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (١٤١٨هـ). *محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. (د.ت). *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب*. (د.ط)، بيروت: دار الكتاب.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك.(د.ت). *لطائف الإشارات*. تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، إبراهيم. (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م). تيسير التفسير. ط١، عمان: (د.ن).

القطان، مناع بن خليل. (١٩٩٥). *مباحث في علوم القرآن*. ط٧، القاهرة: مكتبة وهبة.

قطب، سيد. (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). *معالم في الطريق*. ط٦، (د.م): دار الشروق.

القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين. (١٤١٦هـ). *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القِنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري. (١٤١٢هـ-١٩٩٢م). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. (د.ط)، صيدا-بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي. (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، (د.م): دار طيبة للنشر والتوزيع.

كحالة الدمشق، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني. (١٤١٤هـ-١٩٩٤م). معجم *قبائل العرب القديمة والحديثة*. ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكيلاني، د. عبد الرحمن إبراهيم. (١٤١٢هـ-٢٠٠٠م). *قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضًا ودراسةً وتحليلًا*. ط١، دمشق: دار الفكر.

الماتريدي، أبو منصور. (١٤٢٦هـ). *تأويلات أهل السنة*. تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي.(د.ت). النكت والعيون. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.

مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي.(١٤١٠هـ-١٩٨٩م). *تفسير مجاهد*. تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل. ط١، مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (د.ط)، (د.م): دار الدعوة.

مجمع اللغة العربية. (١٩٨٩م). *المعجم الوجيز*. (د.ط)، مصر: دار التحرير للطبع والنشر.

المحلي، السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت)، *تفسير الجلالين*. ط١، القاهرة: دار الحديث.

محمد أنور شاه، ابن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي. (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م). *فيض الباري على صحيح البخاري* . تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

المديني، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني. (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م). *المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث*. تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة: ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (١٣٦٥هـ-١٩٤٦م). تفسير المراغي. ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

مرتضى الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط)، (د.م): دار الهداية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسلم، مصطفى. (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م). *مباحث في علوم القرآن*. ط٤، (د.م): دار القلم.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د.ت). صحيح *مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المُطَرِّزِىّ، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي.(د.ت)، الغرب في ترتيب المعرب. (د.ط)، (د.م): دار الكتاب العربي.

المظهري، محمد ثناء الله. (١٤١٢هـ). *التفسير المظهري*. (د.ط)، الباكستان: مكتبة الرشدية.

معبد، محمد أحمد محمد. (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م). *نفحات من علوم القرآن*. ط٢، القاهرة: دار السلام.

مغنية، محمد جواد. (٢٠٠٩م). *التفسير الكاشف*. ط٤، بيروت: دار الأنوار.

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي. (١٤٢٣هـ). تفسير مقاتل. تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، ط١، بيروت: دار إحياء التراث.

مكي بن أبي طالب، أبو محمد حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي. (١٤١٦هـ-١٩٩٦م). *الهداية إلى بلوغ النهاية* في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، بيروت: دار ابن حزم.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. (١٤١٤هـ). *لسان العرب*. ط٣، بيروت: دار صادر.

الناصري ، محمد المكي. (١٤٠٥هـ-١٩٨٥). *التيسير في أحاديث التفسير*. ط١ ، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). *السنن الكبرى*. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (١٤١٩هـ-١٩٩٨م). *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*. تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب.

النيسابوري، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران. (١٩٨١م). المبسوط في القراءات العشر. تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، (د.ط)، دمشق: مجمع اللغة العربية.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*. ط١، بيروت: دار طوق النجاة.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي. (١٤١٥هـ). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (١٤١١هـ). أسباب نزول القرآن. تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

ياقوت، د. محمود سليمان. (د.ت). *إعراب القرآن الكريم*. (د.ط)، مصر: دار المعرفة الجامعية.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس الآيات

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة			
١.	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ..............	٥	١٥
سورة البقرة			
٢.	عَلَى المُوسِعِ قَدَرُه...............	٢٣٦	٤٣
٣.	إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ..............	١١٥	٤٣
٤.	إنَّ اللهَ يَأتِي بِالشَّمسِ مِنْ المَشْرِقِ...........	٢٥٨	٩٨
٥.	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ......	١٦٤	٤٧
٦.	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.............	١٨٥	١٢٩
٧.	مَنْ ذا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ	٢٥٥	١٤٢
٨.	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...........	٢٩	١٦١
٩.	كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً.................	٢٤٩	٢٠٨
سورة آل عمران			
١٠.	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي	١٩٠-١٩١	٤٩
١١.	وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ	٥٤	١٠٨
١٢.	سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ.................	١٥١	١١٣
١٣.	وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ..........	١٧٦	١٧٩
١٤.	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ....	٢٣-٢٧	٢٠٩
سورة النساء			
١٥.	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ	٨٢	ح
١٦.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	٤٨	٥٣
١٧.	إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...............	٤٠	٨٩
١٨.	قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ.........	٧٧	١٤٥
١٩.	إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ....	٣١	١٤٩
٢٠.	تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ.........	١٣-١٤	١٩٥
٢١.	وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ............	١٨	١٩٦
سورة المائدة			

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢.	وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ	٦٧	١٠٨
	سورة الأنعام		
٢٣.	لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ............	١٥٨	٥٣
٢٤.	ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أن قَالُواْ واللهِ رَبّنَا	٢٣	٦١
٢٥.	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ	٥٩	٩٩
٢٦.	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا	٦٥	٢٦
	سورة الأعراف		
٢٧.	أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ......	١٥٥	٣٧
٢٨.	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.............	١٥٦	٤٣
٢٩.	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجن............	١٧٩	٦١
٣٠.	لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ	٤١	١١٤
٣١.	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا..........	١٨٧	١٦٠
٣٢.	هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ.......	٧٣	١٩٥
٣٣.	وَلَقَدْ أَخَذْنَآ آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ.........	١٣٠	٢٠٣
٣٤.	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ....	١٣٣	٢٠٣
	سورة الأنفال		
٣٥.	وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ.............	٥٠-٥١	٢١٠
	سورة التوبة		
٣٦.	فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا فَزَادَتهُم إِيمَانًا	١٣٤	٥٥
٣٧.	إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَماتُوا	٨٤	١٤٩
٣٨.	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...........	٣٢-٣٣	١٧٤
	سورة هود		
٣٩.	تمتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيامٍ..........	٦٥	٣٥
٤٠.	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ...........	١٣	٩٨
٤١.	إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ............	١١٤	١٤٩
٤٢.	وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ.............	٦٤	١٩٥
٤٣.	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا............	٨٢-٨٣	٢٠٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٤.	كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ............	٦	٢١٧
	سورة الأنبياء		
٤٥.	وَجَعَلْنَا السماء سَقْفاً مَّحْفُوظاً	٣٢	٧٠
٤٦.	لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ	٨٧	٧١
٤٧.	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ	١٠٤	١١٢
	سورة النور		
٤٨.	ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً............	٤٣	١١٠
٤٩.	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا..........	٥٤	١٦١
٥٠.	فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ.....................	٦٣	٤١
	سورة يونس		
٥١.	مَتى هذا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ...............	٤٨	٥٨
٥٢.	فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً............	٩٢	٢٠٤
	سورة النحل		
٥٣.	وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ............	١٢٧	١١٤
٥٤.	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ	٦٢	١٤٤
٥٥.	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ	٥٧	١٤٤
	سورة يوسف		
٥٦.	فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ	٦٤	١١٤
	سورة الإسراء		
٥٧.	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا.............	١٦	٣٥
٥٨.	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى..............	١٥	٨٨
٥٩.	قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ	٨٨	١٠٠
٦٠.	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ	٩٩	١٠٣
٦١.	وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ.................	٧٩	١١٧
٦٢.	وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا................	٥٩	١٩٤
٦٣.	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا.............	١٦	٣٥
٦٤.	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ............	١٠١-١٠٣	٢٠٢
	سورة الكهف		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٥.	وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ............	٤٩	٢١٧
	سورة الفرقان		
٦٦.	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ...........	١	١٦١
٦٧.	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا.............	٢	٢١٤
	سورة الحجر		
٦٨.	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ.............	٩	١٠١
٦٩.	فَجَعَلْنَا عاليها سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ........	٧٤	١٥٣
٧٠.	إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ.......	٥٩-٦٠	٢٠٠
٧١.	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ..........	٢١	٢١٤
	سورة النمل		
٧٢.	وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ...........	٦	١٧٢
٧٣.	فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ............	١٣-١٤	٢٠٣
٧٤.	وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ..........	١٢	٢٠٣
	سورة الشعراء		
٧٥.	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ...........	٨٩	٢١٧
	سورة طه		
٧٦.	وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى..........	١٢٧	٢٠٩
	سورة ص		
٧٧.	كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ..........	٢٩	١٤
٧٨.	مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ.........	٥٠	١٨٢
	سورة فاطر		
٧٩.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ........	١٥	٦٠
٨٠.	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.........	١٨	٨٧
٨١.	وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ	٤٣	١٠٧
٨٢.	وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ	١٨	١٥٧
٨٣.	وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ......	٤	١٨١
	سورة الصافات		
٨٤.	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ.........	١٣٧-١٣٨	٢٥
٨٥.	قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا	٩٧	٨١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٦.	بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ..........	٤٦–٤٧	٩٢
٨٧.	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ........	١٣٧	٢٥
سورة العنكبوت			
٨٨.	وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ......	٤٠	٣٧
٨٩.	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا..........	١٢	١٥٧
٩٠.	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ...........	١٤	١٨٣
سورة الرعد			
٩١.	وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ...........	٨	٢١٤
سورة غافر			
٩٢.	لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ..........	٥٧	٤٢
سورة لقمان			
٩٣.	إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ...........	١٣	١١٣
٩٤.	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ......	٢٥	١٥٧
٩٥.	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ	٢٠	١٦١
٩٦.	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...	٦	١٦٣
٩٧.	وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ...........	٢٣	١٧٩
سورة الأحزاب			
٩٨.	يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ..........	٦٣	١٧٤
سورة يس			
٩٩.	سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا........	٣٦	٤٨
١٠٠.	أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ........	٧٧–٨٢	١٥٢
١٠١.	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ........	٨٢	٢١٣
سورة الزخرف			
١٠٢.	وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا	٧٢	٥٥
١٠٣.	وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا	١٩	١٢٤
١٠٤.	شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم......	٢٠	٢١٣
١٠٥.	أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ.........	٨٠	٢١٧
سورة سبأ			

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٦.	ذلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا	١٧	٨٠
	سورة الزمر		
١٠٧.	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى	٣	٦٢
١٠٨.	إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ...........	١٠	٨٠
١٠٩.	وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ	٦٧	١١٢
١١٠.	فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	٦٨	١١٢
١١١.	يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا	٦	١٤٩
١١٢.	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	٦٨	١٧٩
	سورة الشورى		
١١٣.	أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ............	١٨	١٣٦
	سورة الدخان		
١١٤.	يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا............	٤١	٢١٧
	سورة محمد		
١١٥.	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ.......	١٥	٢١٩
١١٦.	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ..........	٢٤	١٥
	سورة الحجرات		
١١٧.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ...........	١٢	١٤٥
	سورة ق		
١١٨.	وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ......	٣٨	٤٥
١١٩.	فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ.............	٤٥	٩٥
١٢٠.	وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ...........	٤١-٤٤	١٧٨
١٢١.	مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ..............	١٨	٢١٦
	سورة الأحقاف		
١٢٢.	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا.......	١٣	٩٣
١٢٣.	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ...	٣٣	١٠٣
	سورة الطلاق		
١٢٤.	لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ.................	٧	٤٣
	سورة الذاريات		
١٢٥.	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.........	١٥	٦٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٦.	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا.......................	٦٠	٦٨
١٢٧.	وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ....	٥٥	٩٩
١٢٨.	فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فما أَنْتَ بِمَلُومٍ	٥٤	١٧٨
سورة الطور			
١٢٩.	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ..........	١٧	٦٨
١٣٠.	فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ	٤٢	١٠٥
١٣١.	إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ	٧	٧٠
١٣٢.	وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبارَ النُّجُومِ....	٤٩	١٢٥
١٣٣.	أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ	٣٩	١٤٢
سورة النجم			
١٣٤.	إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى............	٤	٩٦
١٣٥.	فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى	١٠	١٢٩
١٣٦.	وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى. وَثَمُودَ فَما أَبْقى......	٥٠-٥٢	١٧٠
سورة القمر			
١٣٧.	بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ......	٤٦	٢٠٥
١٣٨.	اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ	١	١٦٠
سورة الرحمن			
١٣٩.	يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.........	٤١	٢١١
سورة الحشر			
١٤٠.	لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ.......	١٢	٢٠٧
سورة المزمل			
١٤١.	وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا	٨	١١٨
سورة المدثر			
١٤٢.	وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ	٤٥	٧٧
١٤٣.	كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ..........	٣٨	٨٨
١٤٤.	نَذِيرًا لِلْبَشَرِ..........	٣٦	١٦١
١٤٥.	وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ..........	٣١	٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م.
		سورة المعارج	
٩٤	٢٧	وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ........	١٤٦.
		سورة الحاقة	
٩٦	٤٢-٤٣	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ.........	١٤٧.
١٨٩	٦-٧	وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ.........	١٤٨.
		سورة النبأ	
١٧٩	٤٠	يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ..........	١٤٩.
		سورة التكوير	
٧٠	٦	وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.......	١٥٠.
		سورة الطارق	
١٥٢	٧	يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ........	١٥١.
		سورة الأعلى	
١٥٧	١٨-١٩	إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى........	١٥٢.
		سورة القارعة	
١٧٩	٤	يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ........	١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث

م.	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	رقم الصفحة
١.	مَنْ وَجَدتُمُوه يَعْملُ عَمَلَ قَومِ لُوطٍ................	أبو داود	حسن صحيح	٢٢
٢.	لعن الله من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط.............	النسائي	حسن	٢٣
٣.	نُصرتُ بالصَّبا............................	البخاري	صحيح	٣٢
٤.	سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور	البخاري ومسلم	صحيح	٦٥
٥.	ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ............	البخاري ومسلم	صحيح	٦٩
٦.	لا أُحصِي ثناءً عَليك أنتَ كَما أثنَيتَ	مسلم	صحيح	٧١
٧.	لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ............	مسلم	صحيح	٨٤
٨.	إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ	البخاري	صحيح	٨٥
٩.	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله	مسلم	صحيح	٨٩
١٠.	إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح.........	أحمد	حسن	٨٩
١١.	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَة	البخاري	صحيح	٩٩
١٢.	من أتى كاهناً أو عرَّافاً فصدقه	أحمد	حسن	٩٩
١٣.	كان رسول الله ﷺ بآخرةٍ إذا قام من المجلس......	أبو داود، النسائي، الحاكم	حسن صحيح	١١٧
١٤.	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ............	البخاري	صحيح	١١٧
١٥.	مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ............	الترمذي	صحيح	١١٩
١٦.	أنَّ النبيﷺ قرأ : (والنجم إذا هوى)	مسلم	صحيح	١٢١
١٧.	أوَّل سورة أُنزلت فيها سجدة: (وَالنَّجْمِ)............	الشيخان	صحيح	١٢٢
١٨.	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ	البخاري	صحيح	١٤٥
١٩.	نَهَى أنْ يَمدَحَ أحدٌ صَاحِبَه أمَامَ آخَرِينَ...........	الشيخان	صحيح	١٤٩
٢٠.	لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.......	البيهقي	صحيح	١٦٣
٢١.	عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ..........	الترمذي	صحيح	١٦٣
٢٢.	دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ.........	البخاري	صحيح	١٦٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م.	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	رقم الصفحة
٢٣.	سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجْمِ وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ.......	البخاري	صحيح	١٦٤
٢٤.	مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ...	مسلم	صحيح	١٦٦
٢٥.	أُنزل على رسول الله ﷺ بمكة وإني لجارية..........	البخاري	صحيح	١٦٧
٢٦.	رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقًّا بِشِقَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ بِمَكَّةَ............	الحاكم	صحيح	١٧٠
٢٧.	سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً ، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ..........	الترمذي	صحيح	١٧١
٢٨.	بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِنًى...................	مسلم	صحيح	١٧١
٢٩.	بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ...............	مسلم	صحيح	١٧٤
٣٠.	يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ...........	مسلم	صحيح	٢١١
٣١.	جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ.........	مسلم	صحيح	٢١٢
٣٢.	لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ...........	الحاكم	صحيح	٢١٤
٣٣.	أنهلك وفينا الصالحون.....	البخاري	صحيح	٢٢
٣٤.	شجرة نبق في السماء السابعة.......	البخاري	صحيح	١٣٤
٣٥.	رأى جبريل وله ستمائة جناح.......	أحمد	صحيح	١٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١.	الشاطبي	١٢
٢.	ابن عاشور	١٢
٣.	علال الفاسي	١٢
٤.	الريسوني	١٢
٥.	البغوي	١٩
٦.	الرازي	٢٢
٧.	الماتريدي	٢٨
٨.	سعيد بن المسيب	٣٢
٩.	الماوردي	٤٣
١٠.	ابن عادل	٦١
١١.	الفراء	١٨٤
١٢.	أبو حيان	٩٥
١٣.	الشنقيطي	١٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأماكن

م	اسم المكان	الصفحة
١	مدين	٦٩
٢	هجر	١٣٤
٣	المشلل	١٣٩
٤	أبو قبيس	١٧٠
٥	السويداء	١٧٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الألفاظ

م	اللفظ	الصفحة
١	قلال	١٣٣
٢	الصبا	٣٢
٣	الدبور	٣٢
٤	معتجرًا ببرد	٥٤
٥	قلال	١٣٣
٦	بُعاث	١٦٤
٧	الغرانيق	١٦٤
٨	يَثبُ في الدَّرْعِ	٢٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس القبائل

م	اسم القبيلة	الصفحة
١	ثقيف	١٣٨
٢	غطفان	١٣٨
٣	هذيل	١٣٩
٤	خزاعة	١٣٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com